

أطيف الربيع

أحمد زكي أبو تادي



أطراف الربيع

تأليف

أحمد زكي أبو شادي



أطيف الربيع

أحمد زكي أبو شادي

الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شبيث ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إن مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ليلي يسري

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ١٨٨٣ ٠

صدر هذا الكتاب عام ١٩٣٣.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٩.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرخصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المَصْنَف، الإصدار ٤.٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

المحتويات

٧	تصدير
١١	إلمامة
٢٣	إهداء الديوان
٢٥	شعر الديوان
١٣١	كلمة ختامية

تصدير

هذا النوع من الشعر يحتاج إلى شيء من البيان، وطريقة صديقي الدكتور أحمد زكي أبو شادي خليفة بإيضاح وإن قلّ.

فاجأ هذا الطبيبُ الشاعرُ الأديبُ السليقةَ العربيةَ مفاجأةً جاوز بها جرأةَ المجترئين على التجديد من قبل، لم يرعَ أن تلك السليقة بطيئةٌ في تحوّلها، حريصة على مألوفٍ يسرّها ويرضيها، وما زالت متشعبةً باقتناعها أن فيه الكفاية والغناء عن كل ما سواه. ورجل كأبي شادي خلّق رقيق الشعور نهاية الرقّة، نزوعاً إلى الأدب بجماع جوانحه، حتى إنّ تعلّمه الطب مع ما تتناوله فروعه الكثيرة من المزكونات الطبيعية، وتبحره في مدارس الكيمياء ومفاعيلها العجيبة، وتوفره بلا انقطاع على البحث في العوالم الحسية الصغرى من حيّة وجامدة؛ تلك العوالم التي تستغرق ذهن إنسان وتشغل قلبه بعجائبها عن كل شغل آخر، هذا الرجل لم يصدفه انصراف عقله الواسع الأيّد إلى تلك الكائنات يبلغ في إحاطته بدقائقها وجلالها مبلغ الاجتهاد والاستنباط عن أن يجنح بقلبه جنوباً مطلقاً من القيود إلى تلك العوالم المعنوية المتناهية في الصّغر والكبر، المختلفة ضروب الاختلاف، المحيطة بألوان الجمال الشاملة مواقع الحقائق من الطّرب واللذة في النفوس، كشمولها مواقع الأوهام الجميلة — أليمة كانت أو سارّة — من الطرب واللذة في النفوس.

قرأ أبو شادي الشعر عربياً فأشجاه، وقرأه إفرنجياً فأشجاه، وطالع التواريخ ومنها بخاصة أصول الأدب الإغريقي، وقارن بين متباين المذاهب في البيان؛ سواء أكانت تلك المذاهب خيالية وجدانية لا تعدو حكايات حال عن النفس كما هي في لسان الضاد، أم خيالية وجدانية موضوعية أساس الجمال فيها بناؤها على الحق أو الواقع أو ما يتشبه بهما كما هي في اللغات الإفرنجية، وعلى أثر هذه المطالعات وجد أبو شادي في نفسه باعثاً شديداً على وجهة فنية جديدة يوليها شطره؛ فأحدث في العربية شعراً سلساً بألفاظه،

قريب المأخذ بسهولة، سليماً بلغته جهد ما تسعه المعاني العصرية، متقيّداً بأوزانه، ولكن تقيّد الموشك أن يعمد إلى الافتكاك من كل ثقل الكلفة فيها، وعمّر أبيات منظوماته بمعانٍ تاريخية متشعبة المصادر، وصوّر جديدة من كل لون وضرب، وأفكار في الجمال آخذة من كل مأخذ شرقي أو غربي.

فهل كان لهذا الإحداث — وسليقتنا كما وصفناها — أن يمهد لشعره ممهّدت القبول عندنا قبل أن تتسع دوائر العرفان وتتنوّع المطالعات ويختلف الرأي عمّا هو عليه في الجمال ووسائل إظهاره وأساليب التعبير عنه؟

لم توجد تلك الممهّدت فيما قبل إلا قليلاً، ولكنها تتكاثر اليوم على قدر ما يتسع نطاق وقوفنا على المجهودات الفكرية، متأثراً بطغيان الأدب الفرنجي على أدبنا فيما نتصفح من الكتب الأصلية أو المترجمة، وبما تدفعنا إليه المستحدثات دفعا لا يقاوم من تفهّم الطرائف الفنية والبيانية واستحبابها على وجوها التي لم يكن لنا بها عهد فيما سلف.

وأبو شادي — بين أعماله الكثيرة الشاقة التي لا تضمها إلا رابطة شغفه بالعلم والأدب وأخذه بهما وتسخيره قواه الجَمّة لهما — يقول هذا الشعر في فضول من وقته، ولكنه يجمع له كل عزيمة رأيهِ وكل بواعث وجدانه. يقوله بحرارة واقتناع، يقوله على أن البداة تتناوله، وأن الناس جُدراء بأن يفهموه فهمه، يقوله مُرسلاً إرسالاً، وفي كل قصيدة صورة مستكملة لا بد منها، وكل صورة لها طرافتها وغرابتها وجزئياتها، وفي هذه الجزئيات إشارات تاريخية ورموز اصطلاحية، وفي هذا كله — جملةً وتفصيلاً — لا يعنيه أن يكون من قُرّائه مَنْ لم يطالع الميثولوجيا أو لم يتتبع ما نحا به الغربيون نحوها من أساطير الإسرائيلية القديمة والمسيحية الأولى، ولا يعنيه أن تكون الأسماء الأعجمية في شعرنا ممّا تنبو به أسماعنا، ولا يعنيه أن تكون طائفة من الألفاظ التي اتخذها من العربية قد نيّطت بها معانٍ هي غير معانيها في الأصل؛ معانٍ لا تدرك مراميها الحديثة إلا من طريق المقاربة أو المقارنة بالمواضع الأجنبية، بل كل همّه هو أن يبتّ بثّه ويتقن مثاله ويبلغ شعوره إلى أدنى خلجة من خلجات الحسّ فيه.

ويضيف إلى ذلك أنه لا يرى عيباً في الوثبات يثبها في استعاراته إلى أبعد مدّى، ولا يرى عيباً في بعض موازين الشعر يحرفها قليلاً أو كثيراً؛ لتكون من الجزالة أو السهولة أو الرنّة الموسيقية بحيث يريد، ولا في القوافي — وقد اتحد الحرف فيها — أن تلزم لزوماً لصيقاً ما أقرّه الجهابذة من مراعاة تجانس مخصوص فيها قبل الحرف؛ تجيش في نفسه أنشودة فينشدها، أو تتجلى لعينه صورة فينقلها، أو تتدفق في ذهنه خواطر فيشق لها

الأنهار بشقِّ قلمه السَّيَّال، وفي الكثير منها ابتكار عجيب وإبداع مدهش، وفي جوانب منها هَنَات من الإغراب في اللفظ أو المعنى يراها هَيِّنَات بجانب مأربه السامي الكبير. أمور قد بدا لي أن أشير إليها إشارة موجزة في هذا التصدير؛ ليتبَّين مطالعو شعر أبي شادي كُنْه طريقته فيه.

وإنها لطريقة يذهب بها مذهباً بعيداً في حرية القول، وغرضه أن يثير بها الحمية إلى الابتكار، ويسهل سُبُلًا وعرة كانت تثبط الهمم دون الاستقلال في التفكير والخلق والتقدير. فبارك الله في ذلك النابغة الذكي العامل، وفي الذرائع التي يُقَدِّم على اتخاذها؛ ليجتمع للأدب العربي من الإحاطة بكل شيء ما لم يجتمع من قبل.

خليل مطران

مصر في ١٥ أغسطس سنة ١٩٣٣

الإمامة

الشعر الحديث

هل للشعر اليوم مدرسة حديثة؟ وهل هذه هي المدرسة المثالية المنشودة؟ نعم هي موجودة حقًا.

والواقع أن الذي وَضَعَ الحجر الأول في بنائها هو الشاعر خليل مطران. لقد كان الشاعر خليل مطران يكتب قصصه الشعرية «الجنين الشهيد» وغيرها حين كان حافظ وشوقي يقلدان البارودي أو يعارضان القدماء، وكُنَّا نحن في صبانا نقرأ شعر مطران كما نقرأ حافظ وشوقي، وقد ترك الثلاثة في نفوسنا آثارًا لا تُمَحَى، ولكني أعتقد أن أثر مطران علينا كان قويًا واضحًا؛ فإذا كتبنا اليوم شعرًا نسمِّيه نحن حديثًا أو جديدًا، فمن فضل ذلك الرجل، وشَدَّ ما أخشى ألا تُعرَفَ له تلك اليد التي أسلفها، وتوارى كعادته مدعيًا أنها ليست له، وأنها لغيره!

وسيوافقني صديقي أبو شادي الذي أُسِّرُ كُلَّ السرور بكتابة هذه الإمامة لديوانه البديع، على أننا مَدِينُونَ لخليل مطران بكثير من التوجُّهات في شعرنا العصري؛ هو وضع البذور وفتح أعيننا للنور، ونحن إنما زِدْنَا على ذلك بما عرفناه في مطالعاتنا المتعددة، ويساعدنا على ذلك عِرْفَانُنَا باللغات المتباينة التي أوقفنا على التيارات الجديدة للأدب والفنون، وأطلعنا على الثقافات الحديثة في العالم المُتَحَضَّر، وإنَّ فـ «أطياف الربيع» التي نَظَمَهَا شاعر من جمعية أبولو، هي تحية لمطران رئيس أبولو الذي كان يكتب قصيدته «المساء»، ويجلس إلى البحر يستعرض الطبيعة، ويتكلم إلى الكون، ويناجي الله،

ويشرح عذاب الإنسانية، ويشعر بالفناء والعدم، ويحس في ساعة واحدة بالماضي والحاضر والمستقبل، بينما غيره كان يتكلم في «قفا نَبْكَ»، ويقول «أمن أم أوفى دمنة».

إن من المدرسة الحديثة التي يتكلم بلسانها أبو شادي، وحسن الصيرفي، وصالح جودت، والشابي وغيرهم، هي رَجْع الصدى لذلك الصوت البعيد الذي رَدَّده مطران في غير ضجة ولا ادعاء.

وماذا صنعت المدرسة الحديثة؟

لو لم تنشئ غير مجلة «أبولو» لكفاها فخراً. لينكر الناس على أبي شادي شعره إذا شاءوا، وليعجبوا بأطيف الربيع والشعلة وسواهما من دواوينه أو لا يُعجبوا، ولكنهم لا يستطيعون أن ينكروا لحظة أنه بمجهوده الجبار، وبثباته الممتاز، خلق مدرسة، ورفع علماً، وأخرج إلى النور شعراء كانوا بغير حق في الظلمات. لا يستطيعون أن ينكروا لحظة أنه وسَّع أفق الشعر العربي، وخرج عن قيود أثقلته وقعدت به أجيالاً طوالاً، وقد يكون في الخروج على هذه الأصول المرعية والتقاليد المتوارثة شيء من الصدمة التي لم تألفها النفوس بعد؛ وقد يكثر الخصوم والمعارضون والمنكرون، لا بد من هذا في كل تطور، وفي كل حركة جديدة يُقصد منها إلى التحرير والخلاص. وطالما رأيت أبا شادي في وسط هذه الزوبعة من المعاول المتساقطة ساهماً حزيناً، ولكنه لم يكن يائساً ولا جبناً، فبينما كان يصدر الأعداد الممتازة الضخمة من أبولو، وتارة عن شوقي، ومرة عن حافظ، مهما كلفه ذلك من التضحية في سبيل نشر آثارهما، مُخلِّداً ذكراهما وهو المنتقد لأساليبهما، الثائر على طريقتيهما، إذا به يقول الشعر في كل شيء وعن كل شيء؛ يقوله واصفاً الشارع والبيت، والزهرة والحقل، والنهر والبحر، والمدينة العامرة والكوخ الحقيق، لا يفوت إحساسه الدقيق شيء، شأن الفنان القوي الحواس، وهو بذلك يضرب مثلاً للشعراء عمَّا يجب أن يتناولوه الشعر من المعاني، مُنبِّهاً إياهم لما يجب أن يكون عليه الشاعر من الإحاطة بالحياة.

وطالما انتقدت أنه يكتب بكثرة وإفراط، حيثما الشعر يحتاج إلى غربلة، ثم أعود فأعذر إليه بين نفسي ونفسي، قائلاً إنه كشاعر فنان شره يجب الحياة يريد أن يلهيها التهاماً؛ فمن الواضح أنه لا يستطيع التمهُّل، ما دام دائب التدوُّق، دائب الجري وراء مفاتن الكون ومحاسنه، وما دام يشعر في كل لحظة شعور ألف شاعر.

والواقع أن دواوينه معرض ممتاز لحياة مليئة بالفن والجمال وعبادة الفن والجمال، فيأخذه بشئ الصور والخواج، غاصّة بما يعتورها من السخط والرضا والهدوء والثورة. ومما يميّزها ويرفعها في نظري أن أبا شادي ليس أناانياً؛ فليس شعره مقصوراً على نفسه

محيطاً بها كدائرة مركزها انفعالاته الخاصة، كلا، بل هو حُرٌّ طليق كالطائر الذي يسبح في جو فسيح مترامي الأطراف، يرى الكون من علٍّ؛ فيبهجه جماله وتفتنه محاسنه، فيندمج الجزء في الكل، فتصير الأغنية الخاصة وصفاً عاماً، وصدحة شاملة للعوالم بأجمعها. وهو يشبه الطائر أيضاً في أنه يكره القيود، يكره أن يستقرَّ في وَكْرٍ واحد، أو يأوي إلى أَيْكٍ واحد؛ فما تكاد القافية تقيده، حتى تشعر أنه ثار عليها ومضى إلى أخرى، ولعل هذا الطبع قد اكتسبه هو من كثرة مزاملته للنحل الذي لا يقنع بزهرة واحدة!

ويدرك القارئ بسرعة اقتناع أبي شادي بأن الشعر فن من الفنون الجميلة، وأن الشاعر يجب أن يعيش عيشة الفنان لا عيشة الكاتب الناظم، وما هي عيشة الفنان؟ هي أن يرهف أذنه للأصوات ويفتح عينه للألوان والصُّور، وأن يستدقَّ شَمُّه ولمسه، كذلك عاش ابن الرومي، وكذلك عاش الشاعر كيتس الذي كان ينام في الحقل ليشرب من ندى الطبيعة، وكذلك كان سيد درويش الذي كان يستقي أنغامه من جدول الكون، وكذلك يجب أن يعيش كل شاعر مُلهم، وأن يستمدَّ وَحْيَه من لوحة الكون، لا من الكتب والدواوين الأخرى، وأن يغمس قلمه في مداد الحياة، وأن يكتب ممَّا اكتسبه من التجارب والإحساسات، وما عرفه من مخالطة الناس، وألا يعبأ بما يصيبه منهم من خيبة وعثار، وألا يجزع لما يلقي من إنكار للجميل وعدم تقدير للمجهود والعبقرية؛ فكل هذه الآلام والمتاعب والأشجان لازمة للعبقريِّ الفنان يستمد منها شعره ويغذي خياله.

في نظرة سريعة يدرك القارئ أن أبا شادي ساخط غير راضٍ عن البيئة، اقرأ له مثلاً قصيدة «منازل النيل»، وهي عريضة عليه للظرف الذي قيلت فيه، كتبها بسرعة وهو منفعل متأثر بما يلقي أبناء النيل من النكران والغبن، أخبرني أنه نظمها في القطار وهو تحت تأثير الغضب من أجنبي ذكَّره بما تلقاه في مصر من الحيف والضيم، وتحت تأثير حُسن سيدة فتانة بجواره، فكان الغضب والحُسن يمليان القصيدة روحاً وصياغة في وقت معاً! ومنها هذا الشعر الجميل:

يَكْفِيهِ رِيٌّ فَيُمْسِي غَيْرَ ظَمَانٍ	مَنَازِلَ النَّيْلِ كَمْ فِي النَّاسِ ذِي ظَمَأٍ
تُتْلَى وَتُنْسَى كَمَا يُنْسَى الْجَدِيدَانِ	وَكَمْ شَكَاةٌ عَلَى طَرَسٍ وَفِي صُحُفٍ
كَأَنَّهَا لَمْ تَقُمْ يَوْمًا بِأَذْهَانٍ	وَكَمْ حَوَادِثَ يَمْضِي الْخَائِضُونَ بِهَا
وَإِنْ نَسِيتُ فَمَا أَحْيَا لِنَسْيَانٍ	أَمَّا أَنَا فَحَيَاتِي كُلُّهَا ظَمَأٌ

وعلى ذكر الظمأ، يتميز أبو شادي بأنه لا يرتوي أبداً، يقول مثلاً:

أَوَاهُ مِنْ ظَمْنِي وَهَلْ مِنْ ظَامِي مِثْلِي وَهَلْ ظَمًا بغيرِ حُدُودٍ
لَوْ كُنْتُ لِي لَعَرَفْتُ عَيْشِي نَاصِرًا خَضَلًا كَعَيْشِ الْبُلْبُلِ الْغَرِيدِ

تقول: إنه يشكو البيئة، يشكو عدم إنصاف الناس له، وديوانه هذه المرة زاهر بأنّه الشكوى:

قَدْ مَرَّقَنِي الْمَاسِي فِي مَعَارِكِهَا فَمَا رَثَيْتُ لِعُمْرِي حِينَ أَبْكِيهِ
لَكِنْ بَكَيْتُ عَلَى قَوْمٍ وَفَيْتُ لَهُمْ فَكَافَتُونِي بِتَعْذِيبٍ وَتَسْفِيهِ

ثم تعاوده نفسه السمحة الكريمة فيغفر، كما غفر المسيح، قائلاً: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، فيقول أبو شادي:

مَا بَالُ سَخْطِي يَسْتَحِيلُ مَحَبَّةً كَالنَّارِ سَاعَةً تَسْتَحِيلُ ضِيَاءً
مَا بَالُ أَطْيَافِ الرَّبِيعِ تَحَوَّلَتْ شَجَنًا وَعَادَتْ نَشْوَةً وَصَفَاءً
وَأَعِيشْ فِي دُنْيَا التَّفَاوُلِ نَاسِيًا دُنْيَا تَفِيضُ قَسَاوَةً وَعَدَاءً

وعندما يرجع إلى نفسه السمحة الكريمة، ويتجرد من غضبه وسخطه ترقُّ قيثارته وينظم شعراً من أعذب الشعر وأحلاه، كما ترى في مقطوعة «النظر الجريء»:

لَا تَرْهَبِي نَظْرِي الْجَرِيءُ هُوَ لَنْ يُسِيءَ وَلَوْ أُسِيءَ
هُوَ نَشْوَةُ الْحُبِّ الطَّهَوْرِ وَوَثْبَةُ الرُّوحِ الْمُضِيِّ
رُوحِي تُطَلُّ عَلَيْكَ فِيهِ وَتَجَلِّي الْقُدْسُ الْوُضِيِّ
وَتَعْبُ مِنْ هَذَا الْحَنَانِ شَرَابَ كَوْنِهَا الْهَنِيِّ
هُوَ خَلْسَةٌ مِنْ نِعْمَةٍ عَلَوِيَّةٍ لَيْسَتْ تَفِيءَ
فَعَلَامَ نَخْشَاهَا وَمَا فِيهَا سَوَى السُّكْرِ الْبَرِيِّ

ولطالما جلستُ إليه فأصغيت إليه يقصُّ ما يلاقيه من قسوة الناس وجحودهم، فأقول له: يا صديقي، نحن جنود في هذه الدنيا، نعمل لصالح الناس، ولا نبالي ما يقولون عنا، نعمل لخير الإنسانية ونترك الحكم علينا للتاريخ، ويبدو لي أنه كتب مقطوعة «الناس» تحت تأثير هذه الفكرة، وفيها يقول:

أَسِيرُ فَلَا أَرَى فِي النَّاسِ نَاسًا وَلَكِنِّي أَرَى صُورًا أَمَامِي
فَدَعْنِي فِي إِبَائِي فَهُوَ عِنْدِي أَجَلٌ مِنْ أَنْتِقَامِكَ وَأَنْتِقَامِي

وأبو شادي مشغوف جدًّا الشغف بالمثل الأعلى، ولعل هذا هو سر شقائه الذي يفيض من صفحات ديوانه فيضًا.

أذكر أنني قرأت قصة لتوماس هاردي تُدعى «الحبيبات» مُؤدَّاها أن رجلًا فنانًا عاش يطلب المثل الأعلى في الجمال، فصار المثل الأعلى يخذله، حتى بلغ المشيب ووجد نفسه يتهدَّم وينحدر إلى الفناء، فماذا صنع؟ مضى إلى تماثيله وأخذ مَعُولَه فهدمها كلها؛ لأنها أضاعت حياته هباءً منثورًا.

فأبو شادي مُغْرَم بالمثل الأعلى يريده في الأخلاق، ويريده في الجمال — بدليل الصُّور التي يتخيَّرها لديوانه — ويريده في أُمِّته بدليل إعجابه بغاندي: انظر قطعته الجميلة عنه، [في «صوم غاندي»]:

تَصُومُ مُكَفِّرًا عَنْ إِثْمِ دُنْيَا يَسِيرُ بِهَا الْقَوِيُّ عَلَى الضَّعِيفِ
أَتَيْتُ إِلَى الْوَرَى مِنْ قَبْلِ يَوْمٍ يُقَدِّسُ كُلَّ مَا تَعْنِي وَيُوفِي
وَدَنْبُ الْمُضْلِحِينَ إِذَا عَدَدْنَا لَهُمْ ذَنْبًا مُنَاصِرَةً الضَّعِيفِ

ولعل غرامه بالمثل الأعلى هو الذي دفعه إلى الكتابة عن الشامل المجهول، وأغراه بلفظة الألوهية بين حين وآخر، وجعله كَلَفًا بالتصوُّف والعبادة.

انظر قوله الجميلة [في] «لو كنت لي»:

لَوْ كُنْتُ لِي لَرَفَعْتُ كُلَّ نَظِيمِي لَكَ وَاتَّخَذْتُكَ نَشَوْتِي وَنَدِيمِي
وَجَعَلْتُ مَجْلِسَكَ الشَّهْيَ عِبَادَةً تُخْتَصُّ بِالْقُرْبَانِ وَالتَّكْرِيمِ

ولعل غرامه بالمثل الأعلى أو نزوعه إليه هو الذي جعله يشعر بالغربة والانفراد في هذه الأرض، و«باليتم» الذي يتكرّر في شعره في هاتِه الأيام:

الشَّيْبُ أَشْعَلَ عَارِضِيَّ وَلَمْ أَزَلْ	ذَاكَ الصَّبِيِّ شَرَابُهُ الْأَحْلَامُ
كُنَّا نَخَافُ مِنَ الرَّقِيبِ فَعَلِمْتُ	دُنْيَا الْهُمُومِ الْحُبِّ كَيْفَ يُضَامُ
وَحَيِّتُ مِثْلَكَ كَالْيَتِيمِ وَإِنَّمَا	أَنَا وَحْدِي الْبَكَاءُ وَالْبَسَامُ

وما أمرَ هذا اليتم والانفراد الذي يُشعره «بالأصفار» التي يراها حوله:

الأَرْضُ قَدْ مِلْتُ أَحَبُّ شَعَابِهَا	بِمَسَاوِي الْحَشَرَاتِ وَالْدَّيْدَانِ
حَتَّى أَكَادُ أَحْسُ أَنْ فَجَاجَهَا	فَقَدْتُ بِشَاشَةِ حُسْنِهَا الْفَتَانَ
وَعَدْتُ حَرَامًا لِلنَّبُوغِ وَمَرْتَعًا	لِلْعَاجِزِينَ وَوَصْمَةً لِلْإِنْسَانِ

ولعل غرامه بالمثل الأعلى هو الذي جعله يكره النفاق، ويثور حين يرى الذين يجب أن يأخذوا بيدنا إلى المثل الأعلى هم الذين يتمرّغون في الحضيض.
خذُ مثلاً أبياته البديعة عن سُبْحَةِ الفقيه:

كَمْ مِنْ فَقِيهِ فِي ثِيَابٍ مُنَزَّهِ	وَيُطِلُّ مِنْ عَيْنَيْهِ رُوحَ أَثِيمِ
تَجْرِي أُنَامِلُهُ عَلَى خَرَزَاتِهِ	جَرِي اللَّئَامِ عَلَى جِسَابِ كَرِيمِ
وَتَلُوحُ سُبْحَتُهُ كَتُغْبَانٍ بِلَا	رُوحِ سَوَى رُوحِ الْفَقِيهِ الْعَاتِي
مَنْ ذَا رَأَى التُّغْبَانَ سُبْحَةً عَائِدِ	وَرَأَى الصَّلَاةَ مُصَابَ كُلِّ صَلَاةِ

مسكين أنت أيها الصديق! أشفاقك تعلّقك بالمثل الأعلى، ولكنك تذكر أنك سابق زمنك فتقول:

لَا تُصَحِّكُونِي بِالْمَدِيحِ فَإِنِّي	مُتَعَتِّرٌ خَجَلًا عَلَى أَمْدَاحِي
بَلْ فَأَنْتُونِي بِالْجُنُونِ لِأَنِّي	أَمَنْتُ بِالْأَخْلَاقِ وَالْأَرْوَاحِ
وَنَسِيتُ أَنِّي سَاقٍ زَمَنِي وَمَا	زَمَنِي بِدُنْيَا اللُّؤْمِ وَالْأَشْبَاحِ

وأين تذهب في ضيقك ولئن تشكو؟ لا المنصورة تُنسيك، ولا الإسكندرية بما فيها من جمال وفتنة، ولا بورسعيد التي تتخيل الحُسن فيها متوثباً للزوال.

مَا بَالُ هَذِي الشَّمْسِ تُرْسِلُ وَجَدَهَا فَوْقَ اللَّهَبِ عَلَى الْمِيَاهِ حِيَالِي
مَا بَالُ هَذَا الْمَوْجِ يَخْفِقُ هَكَذَا خَفَقَ الْحَيَاةِ تَوَثَّبَتْ لِزَوَالِ

وعندما يبدو لك سَخَفُ الحياة، عندما تُحِسُّ بالفناء والزوال تتصل بالله، وتقول في بيت رائع:

إِنْ شِئْتَ صَافَحْتَ إِلَهَهُ مُحَدَّثًا وَقَرَأْتَ مَا أَوْحَى بِهِ الدِّيَانُ

فيا أخي الشاعر، هذه الشاعرية التي تتدفق، وهذه الإنسانية المُعَذِّبة الجيَّاشة بالآلام والآمال والأحلام والأوهام، المُحَاطَة بالصُّور والألوان والطيور والأشباح، المندمجة في الطبيعة، المتصلة بالخالق الفنان الأعظم عن سبيلها؛ هذه القوة التي تزخر بها نفسك فتتنظمها شعراً جديداً ممتازاً، فهي مظاهر جديرة بالإعجاب الكبير.

ولعل هذه الحيوية العجيبة هي التي جعلتك لا تُعْنَى بالصياغة اللفظية؛ فإذا حضرك المعنى وساعفك الخيال حلَّقت بأي جناح تلقاه، ولعلك لهذا السبب كالشلال المنحدر لا يهتم إلا أن يبدو رائعاً وجليلاً، وأن يكون مظهرًا من مظاهر القوة، من أمثلة نيتشه، ومن أبطال إبسن كبراند مثلاً، تؤمن بالقوة، وتحتقر الضَّعْف والضعفاء، وترثي لهم وتبكي عليهم.

وماذا يُرَاد من الشاعر أكثر من أن يكون حيوية تتدفق؟ وما هو الفرق في الواقع بين الشعر وسواه؟ الفرق هو ذلك الاسترسال والتسلسل في الشعر، والتقطع والهدوء في غيره، وماذا يُرَاد من الشاعر أكثر من أن يندمج في الحياة والكون اندماجاً تاماً؟

وأراك في الحق متصلًا بالحياة والكون اتصالاً عجيباً، وماذا يُرَاد من الشاعر أكثر من أن يكون فنه ناضجاً طليقاً؟ وقد عبّر شاعرنا عن هذه الروح في قصيدة «طلاقة الفن» أجمل تعبير.

لكي نضع أبا شادي ومريديه في مواضعهم، ولكي نحدّد بالضبط مكانهم في الأدب المصري الحديث، يجب أن نُعَيِّن بالضبط أغراضهم في الشعر، ويجب أن نتساءل: هل لهم طابع خاص؟ أم هم يكتبون الشعر جُزَافاً؟ ويجب أن نحدّد بالضبط صِلَتَهُم بالشعر العالمي

الحديث، ويجب أن نعلم حقاً مبلغ اتصالهم بالحركة الأدبية العامة، ويجب أن نفهم تماماً مقدار ما كان للحرب العالمية من أثر في أذهانهم وأعصابهم.

إن الذي يريد أن يبحث هذا كله يجب عليه أن يحيط إحاطة واسعة بالأدب العالمي، قبل الحرب وبعدها؛ إذ من الثابت أن أهم ميزة للعصر الحاضر هي اتصال الأمم بعضها ببعض، وانحدار التيارات الفكرية وغيرها من بلد إلى آخر، فأصبحنا نرى كاتباً مثل أندريه مورو الفرنسي يغرم بالأدب الإنجليزي ويؤلف كتاباً قيماً عن الشاعر بيرون، ونرى كاتباً فرنسياً مثل ليجوي يكتب كتاباً عن الأدب الإنجليزي يصير مرجعاً عند الإنجليز. وبقدر ما تقترب الفوارق من الزوال، بقدر ما تكون التغيرات في الأمم شاملة ومتقاربة. فقد لاحظنا من أطلعنا على الأدب الحديث في الأمم المختلفة، في إنجلترا وفرنسا وألمانيا مثلاً، شبهاً غريباً في الاتجاهات الشعرية الجديدة: نرى أدباء الشباب يكوّنون أسرة متشابهة الأفراد وإن اختلفت ملامحهم قليلاً، ويضربون على نغمة واحدة وإن تنوّعت ألحانهم، ويمكن أن نصفهم وصفاً عاماً بما كتبه ليجوي عن أدباء الإنجليز الحديثين في كتابه «تاريخ الأدب الإنجليزي الحديث»، قال: «يتميّزون بالرشاقة والإيمان، وأحياناً بالابتكار، وغالباً الصراحة التي تمزّق كل المظاهر الخادعة التي تُبرقع أوجه التقاليد، ونجد إحساسهم بالواقع ممتزجاً بالظرف والحنان، وفي شعرهم استسلام دائم ومرارة وميل للرجوع بالروح إلى مواطن الذكريات الغالية.»

أمّا نحن في مصر فبين عاملين: عامل الأدب العربي بتقاليده المحفوظة وحرماته المتوارثة، وبين ما وصل إلينا من ثقافة أوروبا. وبينما نحن لا يمكننا مطلقاً أن نفصل عن مجد قوميتنا؛ فإننا كذلك لا يمكننا أن نهرب من تيار أوروبا الذي يغمرنا غمراً. يستحيل أن نعيش في عزلة، يستحيل ألا نقرأ باللغات التي تعلّمناها، فإنّ نحن لا نزال نقرأ المتنبي مثلاً، ونحبه ونحفظ له، ولا يمتنعنا ذلك من تناول ديوان للشاعر ت. س. إليوت فيه شعر عصري حديث، عليه طابع الزمن الحاضر بكل ما فيه من حركات اقتصادية واجتماعية، أو ديوان للشاعر إميل فارهارت مثلاً فيه شعر عن الآلات والمعامل.

فماذا تصنع مدرسة أبولو إذن؟

ماذا يصنع أبو شادي؟ ولأي غرض يرمي حين يخرج ديوان «أطياف الربيع» أو «الشعلة» أو غيرهما من دواوينه؟

من هم هؤلاء — شعراء الشباب — ولأي فريق ينتمون؟ أرومانطيقيون هم؟ أم شعرهم واقعي؟ أم بين هذا وذاك؟

إن شعرهم جميعاً له تلك الصفات التي سبق أن ذكرتها عن ليجوي: ويبدو أن شعراء الشباب عندنا شديداً الشبه بشعراء الشباب في إنجلترا وفرنسا، لا أدعي أنهم جُودوا مثلهم أو بلغوا مبلغهم، وإنما أؤكد أنهم على آثارهم، وأن التغيرات العالمية لم تتناول بلداً دون آخر؛ فإني كلما طالعت لشاعر من هؤلاء الشباب خطر في بالي أن أقرنه بنظيره في مصر، أو بالذي روحه من روحه، أو بمن كان على غرارهِ.

فالذي يقرأ شيئاً لهارولد منرو أو همبرت وولف يذكر في الحال حسن الصيرفي والشاعر رامي، في الذكريات البعيدة، والتنويح المُلازم لروح ظامئة تنتعش بما تشربه من العذاب.

ومن أي صنف أبو شادي؟

الحق أنه شيء قائم بذاته، وإن كان بلا شك من مدرسة الصوريين الذين تتألف مواد فنهم من حقائق الحياة، من صور مجتمعة، وكتل متماسكة، من الخوالج العقلية والعاطفية، ووظيفتهم أن يبرزوها لنا بدون أن تُشوّه، يُبدونها بكل نضارتها وقوّتها؛ فنُجسّها كما هي مباشرة قبل أن تعبت بها يد الحياة العملية الجبارة؛ ولذلك يقتصد الشاعر في لفظه فلا يزخرف ولا يبين.

ولكنه في كثير من الأحيان يجعلني أتذكر الشاعر والتر دلامار، وخصوصاً عندما قرأت للصديق أبي شادي قصيدته «الأصدقاء»، فإن للشاعر أبي شادي كما للشاعر دلامار نظرة إلى الدنيا كنظرة الطفل الحائر، ولهما كذلك غرام باستثارة الأشباح على طريقة رمزية.

وعلى ذكر الشعر الرمزي أقول إن الشاعر الموهوب عبد الرحمن شكري هو رافع علم هذا النوع من الشعر، وإني أوجه نظر الذين يحبونه إلى أن د. هـ. لورنس الشاعر والروائي المعروف، هو الذي حوّل الشعر الرمزي إلى عاطفة مُرَكَّزة، بحيث تصبح الكلمات العادية «حُمماً سائلة، ممّا قالتها، ومما تركته بدون أن تقوله»، ومن البديهي أن المدرسة الحديثة التي يرفع علمها أبو شادي في مصر وبتزعمها بحق متأثرة بالثقافة الإنجليزية، أمّا في البلاد الأخرى كسوريا وشمال أفريقيا فالثقافة الفرنسية هي الغالبة، وإذا ذُكر الشعر الفرنسي الحديث فأكيد ما قاله رينيه لالو من أن أثر بودلير وموسيه ولامارتين لا يزال حياً، وهو الذي يلون شعر شُبَّان فرنسا، والبلاد المتأثرة بثقافة فرنسا؛ فعندما تقرأ شعراً لأندريه دوما وهنري دي رينيه في فرنسا يطالعك من ورائهما خيال موسيه وبودلير وفرلين، وعندما تطالع شعر الشابي بالعربية تقسم أنه متأثر كذلك بهؤلاء الشعراء،

وعندما تقرأ لشعراء سوريا أو تعلم ما يطلقونه عليهم من الألقاب تؤكد في الحال أثر الثقافة الفرنسية في آدابهم.

ومهما يكن من أثر الثقافة الفرنسية؛ فإن شعراء الشباب في سوريا كعمر أبي ريشة وعلي الناصر (بودلير سوريا) والشابي في تونس، ينطبق عليهم من الوصف ما ينطبق على شعراء الشباب الإنجليز، وعلى شعراء الشباب في مصر، وهو الوصف الذي أطلقه ليجوي عليهم وسبق أن ذكرته.

وصفتان أخريان لاحظتهما في شعر الشباب على الإطلاق: الأولى القلق العميق وعدم الاستقرار، وديوان أبي شادي الجديد «أطياف الربيع» ناطق بذلك، زاهر بما فيه من آيات الخوف وقلة الأمان؛ فهو غير آمن على حبه، غير آمن على حياته، غير آمن على مستقبله، غير آمن على حاضره. هذا القلق الممزوج بالتشاؤم تارةً وبالتفاؤل أخرى، هو ما عابه وسيعيبه عليه نقاد كثيرون، ولكنه في الحقيقة نتيجة لازمة لما يصطدم به من الحوائل ويعترضه من التثبيط، وما تُقابل به جهوده من المعاول التي لا ترحم.

أما الصفة الثانية فهي الجرأة النادرة في إبداء الأفكار، وفي طرُق المواضيع التي لم تُطرق من قبل، وأمامنا من الأمثلة قصيدة للشاعر صالح جودت في أبولو يصف فيها نفسية امرأة عاهرة؛ فقد أخبرني أنه انتقد لطرق موضوع كهذا، فقيل له: كيف تطرق موضوعاً كهذا وشعرك أجدر بشيء غيره؟ فأجاب مندهشاً: وهل هذه المرأة خارجة عن الإنسانية؟ هل هي من الألى نبذهم الدهر:

وَحَلَفَهُمْ وَصَدَّ الْبَابَ عَنْهُمْ فَنَامُوا خَلْفَ أَسْوَارِ الْحَيَاةِ

ولذلك أصبحت لا تليق بالشعر ولا أن يكتب عنها الشعراء؟ وإذا لم يكن الشعر العصري شعراً إنسانياً شاملاً فما ميزته إذن؟ ولكن محرر أبولو رحب بها ونشرها في غير تردد. إن الإنسانية العميقة والشعور القوي بعذاب المضطهدين وحرمان الضعفاء، يجب أن يكونا ممّا يهتم له الشاعر الحديث إذا أراد أن يكون لشعره صبغة عالمية، أو إذا أريد أن يطمع في الخلود.

وأبو شادي متفرد في هذه الجرأة، اقرأ له مثلاً «الجمال العرييد». إنني لواثق أن أصدقاءنا المحافظين سيُصدَمون بما فيها من تصوير قوي جريء، وبما فيها مما يُسمّى نداء الجنس Sex Appeal. وقد قرأت قصيدة فريدة في هذا الباب للشاعر لورنس تدعى

«البرق» شبيهة كل الشَّبَه في روحها الجريئة بقصيدة أبي شادي، وإني أحثُّ الأدباء على قراءتها.

وميزة أخرى في شعر أدباء الشباب لا يجب أن تفوتني الإشارة إليها، ميزة سيجدها القارئ ظاهرة في شعر أبي شادي من أول ديوانه إلى آخره، ولو لم يكن فيه غيرها لكفاه فخراً، وكان جديراً بالإشادة والذكر، تلك الميزة هي أن الأشياء المألوفة التي نراها كل يوم في حياتنا، الأشياء الأرضية البسيطة، إنما هي مواضيع لشعر الشاعر الذي يكسبها جلالاً؛ ويغدق عليها من خياله، ويلبسها من ثياب الروعة، ممّا يجعل لها قيمة الظواهر العلوية، والروائع الكونية، فقط «مشمش» له قصة، وكلبه «بنجو» له أخرى، والشجرة التي يراها أمام منزله يخاطبها، وفي هذا الشأن يقول الشاعر الأمريكي هويتمان: إن الناس يفقدون التمتع ببناء الأبراج الشامخة يوم يفقدون التمتع ببناء الحانوت المتواضع.

ولا جدال في أن مدرسة أبولو في اتصالها بالأدب العالمي، ومتابعتها للتيارات الفكرية الجديدة، وفي إيمانها برسالتها كمجددة للشعر العربي، موسّعة لأغراضه، محدّدة لوظيفته كعمل إنساني شامل، وكجامعة تضم شباب أدباء الشرق في ندوة واحدة.

إن مدرسة أبولو بهذا قد استرعت الأنظار إليها؛ فهي تمثّل طلاقة الفن، كما تمثّل التجاوب الفني بين أعضائها، وهما الركنان الأصيلان لروعة الحياة الفنية التي هي عماد الشعر الحي في أي أمة، ومآل مثل هذه الحركة أن تنهض بالشعر العربي في غير حدود.

إبراهيم ناجي

إهداء الديوان

أَبْتُ مِنْ التَّلْهُفِ رُوحَ ظَامِي
فُؤَادًا حَسْبُهُ بَعْضُ ابْتِسَامِ
أَشَعَّتْهَا وَأَشْرَبُهَا مُدَامِي
غَدَا قَلْبِي حُطَامًا فِي حُطَامِ
مِنْ الْأَشْلَاءِ أَشْتَاتُ دَوَامِي
كَعَاصِفَةٍ تَرَامَتْ فِي الرَّغَامِ
وَهَذَا الشَّعْرُ أَطْيَافَ الظَّلَامِ

إِلَى الرُّوحِ الْجَمِيلِ وَكَمْ إِلَيْهِ
فَلَا يُصْغِي لِأَلَامِي وَيَنْسَى
أَعِيشُ بِبَسْمَةٍ وَأَعُدُّ زَادِي
حُرْمْتُ جَمَالِكَ الْمَعْبُودِ حَتَّى
كَأَنَّ الذُّكْرِيَّاتِ بِهِ بَقَايَا
وَصَارَتْ مُهْجَتِي التَّكْلَى بِحُبِّي
وَعَيْشِي خُدْعَةً لِلَّيْلِ تَتَرَى

* * *

وَتَاهُ الْحُسْنُ بِاللَّحْنِ الْبَدِيعِ
تَمُوجُ بِنَشْوَةِ الرُّوحِ الْوَدِيعِ
وَجَفَّفَ مَا تَرَقَّرَقَ مِنْ دُمُوعِي
بِخَمْرِ الْحُبِّ فِي أَدَبِ رَفِيعِ
مَرَحْنُ تَأْمَلَاتِي بَلْ خُشُوعِي
ظِلَامَ فُؤَادِي الْقَلْبِ الصَّرِيعِ
وَصَارَ الشَّعْرُ أَطْيَافَ الرَّبِيعِ

وَحِينَ تَنْفَسَ الْإِصْبَاحُ شِعْرًا
وَرَدَدَتْ الصَّبَاحَةُ أَغْنِيَا
وَطَوَّقَنِي النَّسِيمُ بِكُلِّ عَطْفِ
وَحَيَّتَنِي الْأَزَاهِرُ وَهِيَ سَكْرَى
وَدَاعَبَتِ الْعَصَافِيرُ اللَّوَاتِي
عَرَفْتُ يَدَ الْأُلُوهَةِ مِنْكَ تُنْضِي
فَحَالَ دُجَايَ أَضْوَاءَ بِشْعَرِي

شعر الديوان

تحت الوسادة

حَبَّاتُ أَغَانِي الْحُبِّ تَحْتَ وَسَادَةٍ بِسَرِيرِهَا
فَكَأَنَّمَا حَبَّاتُ بِهَا رُوحًا تَجُنُّ لِنُورِهَا
وَاسْتَنْشَقْتُ مِنْهَا الْعَبِيرَ وَقَبِلْتُ مَعْنَاهَا
فَرَأْتُ بِهَا نُورَ الْحَيَاةِ وَحَظَّهَا وَغْنَاهَا
وَمَضَتْ تُدَاعِبُ رُوحَ هَذَا الشُّعْرِ فِي تَحْنَانِهِ
وَكَأَنَّمَا هُوَ مُلْهَمٌ مِنْهَا بِسِحْرِ بَيَانِهِ
وَأَطَالَتِ الْإِحْسَانُ وَالْإِلْهَامُ مِنْ [...] يَهَا¹
وَكَأَنَّمَا قَلْبِي الَّذِي حَمَلْتُهُ بَيْنَ يَدَيْهَا
وَأَحْسَتِ اللَّهَبُ الْحَنُونَ يَفِيضُ بَيْنَ سُطُورِهِ
فَإِذَا لَهَيْبُ شُعُورِهَا يَلْقَى لَهَيْبَ شُعُورِهِ
تَتَعَارَفُ الْأَرْوَاحُ وَهِيَ عَلَى نَوَى بَجْسُومِهَا
وَتَذُوقُ مِلءَ الشُّعْرِ طَعْمَ غَرَامِهَا وَهُمُومِهَا
تِلْكَ السُّطُورُ عَوَاطِفِي وَمَشَاعِرِي وَجَنَانِي

¹ هكذا بالأصل.

فَتَرَفَّقِي بِعَزِيزٍ مَا تَحْوِيهِ مِنْ حَفَقَانٍ

شاطئ الأحلام (خليج استانلي - رمل الإسكندرية)



خليج استانلي: هذه الكابينات الأنيقة كأنها حفلة الأولياد والبحر ملعبها، وهذه هي عرائس البحر وجنّيات البحر - الصاوي.

وَدَعُوا الْحِسَانَ مَكَانَهَا تَحْتَلُّ
وَاللَّابِسَاتِ الْحُسْنَ وَهُوَ أَجَلُّ
فِيهِ وَإِنْ مَلَكَ الْبَيَانَ الْفُلُّ
مِثْلُ الْعَوَاطِفِ يَغْتَلِي وَيَزِلُّ
مُهْجٌ يَحَارِبُهَا الْهَوَى فَتَذِلُّ
وَيَلِي «كَيْوَيْد»^٢ الْعَزِيزُ «أَبُولُو»^٣
فَلِكُلِّ رَمَزٍ لِلنَّعِيمِ مَحَلُّ
جَيْنَ الْعُيُونِ تَشْوِقُنَا وَتَدِلُّ
أَشْهَى الْكُنُوسِ نَذْوُقُهَا وَنَعْلُ
بِأَحَبِّ مِنْ هَذَا الَّذِي يَبْتَلُّ
بَارَقَ مِنْ صَفْوٍ عَلَيْهِ نُطْلُ

رُدُّوا شُعَاعَ الشَّمْسِ حَيْثُ تُطْلُ
الْخَالِعَاتِ مِنَ الثِّيَابِ أَجَلَهَا
كُلُّ لَوْنٍ لِلْأَزَاهِرِ صِبْغَةً
مَسْرَحُ الْبَحْرِ وَثَابٌ بِهِ
وَيَظَلُّ يَغْبَتُ بِالصَّخُورِ كَأَنَّهَا
«فِينُوسُ»^٢ تَمْرَحُ فِيهِ بَيْنَ مَفَاتِنِ
وَطْنِ الْأُلُوهَةِ فِي الْحَيَاةِ بِمَا وَعَتْ
لَا تَسْقِنِي الْخَمْرَ الْمُعْتَقَةَ الْمُنَى
جَيْنَ السَّوَاعِدِ فِي الشَّهْيِ لِسُمْرَةٍ
الْحُسْنُ لَمْ يُعْبَدْ طَهُورًا عَارِيًا
وَاللَّهُوُ لَمْ يُغْنَمْ بَرِيئًا حَالِيًا

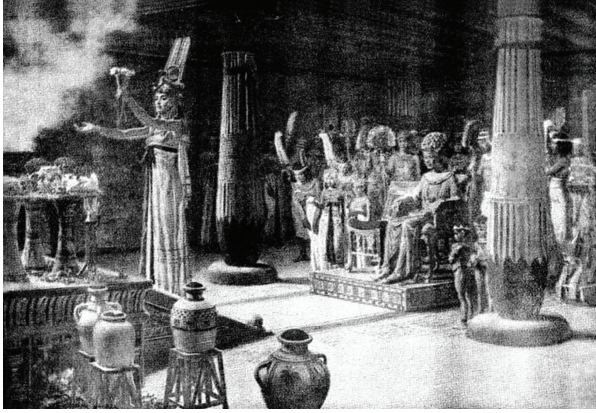
^٢ إلهة الجمال.

^٣ إله الحب.

^٤ إله الشعر.

فَرِحْتُ بِهِ الْأُمُّ الطَّبِيعَةُ مِثْلَمَا
مَرَأَى حَيَاةَ الشَّعْرِ مِنْ أَوْزَانِهِ
وَمُنَى مِنَ الْأَحْلَامِ تَرْفُصُ حَوْلَنَا
كُرُمْتُ فَكُلُّ نَاهِلٍ مِنْ طَيِّبِهَا
لَأَقَى الْوَصَالَ الْعَاشِقُ الْمُغْتَلُّ
وَيَعُودُ لِلْإِكْتَارِ فِيهِ مُقِلُّ
وَمِنَ الْحَقِيقَةِ مَا حَكَاهُ الظُّلُّ
وَقَسْتُ فَأَيُّ صَدَى هُنَاكَ يُبِلُّ

في المعبد



في المعبد.

وَقَفْتُ تُنَاجِي «الشَّمْسَ» حِينَ تَجَاهَلَتْ
نَطَقَتْ بِرُوحِ الشَّمْسِ وَاسْتَوَحَّتْ بِهَا
وَمِنَ الرُّمُوزِ حَقَائِقُ وَدَقَائِقُ
وَقَفْتُ تَحِنُّ لَهَا الضَّحَايَا مِثْلَمَا
فِي الْهَيْكَلِ الْمُصْغِي إِلَيْهَا رَهْبَةً
وَتَرَى النُّقُوشَ تَقْمَمْتُ أَشْكَالَهَا
وَكَأَنَّما الْعُمْدُ الَّتِي رَفَعَتْ مَدَى
أَنَّ الشُّمُوسَ بِحُبِّهَا تَتَلَّالَا
مَعْنَى يَبُوحُ بِهِ إِلَهُ تَعَالَى
حَتَّى نَكَادُ نَرَى الْأَصِيلَ مِثْلَا
حَنُّ الْبُخُورِ تَجَاهَهَا إِقْبَالَا
حَتَّى الظَّلَالُ بِهِ وَقَفْنَ ظِلَالَا
أُمُّ تُطِلُّ وَلَا تُرِيدُ زَوَالَا
هَذِي الْفُنُونِ بِزَهْوِهَا تَتَعَالَى

وَإِذِ الْقُدُورُ تَضَمَّخَتْ أَنْفَاسُهَا بِالْحُبِّ مِنْ أَنْفَاسِهَا يَتَوَالَى
وَالشَّمْسُ تَبْسِمُ رَوْعَةً وَتَأَلَّهَا لَمْ لَا وَقَدْ عَشِقَ الْجَمَالَ جَمَالًا

* * *

هَذِي حَيَاةَ النَّيْلِ رَبَّةَ عَرْشِهِ وَمُنَى «أَتُونَ» رَشَاقَةً وَجَلَالًا
وَقَفْتُ تَصَلِّيَ وَالصُّفُوفُ وَرَاءَهَا كَالدَّهْرِ يَجْمَعُ نَحْوَهَا الْأَمَالًا
رَفَعْتُ يَدًا بِالزَّهْرِ وَهُوَ شَفِيعُهَا وَتَمُدُّ أُخْرَى فِي ابْتِهَالِ طَالًا
وَالْحُورُ وَالْوُلْدَانُ مِنْ أَتْبَاعِهَا حَتَّى الْخَيَالُ لَهَنَ لَيْسَ خَيَالًا
وَإِذَا بِأَخْنَاتُونَ يُنْصِتُ غَارِقًا فِي الْحُلْمِ يَرْقُبُ حَوْلَهُ الْأَجْيَالًا
وَهَبَ السَّلَامَ إِلَى الْقُلُوبِ مُوَاسِيًا وَرَأَى الْحُرُوبَ سَفَاهَةً وَضَلَالًا
وَتَحَالَفَا وَالشَّمْسُ فِيمَا أَشْرَقَتْ بِهِمَا ضِيَاءَ خَالِدًا وَكَمَالًا
وَكَأَنَّمَا هَذِي الْأَشْعَةُ لَمْ تَزَلْ مِنْ ذَلِكَ الْأَمْسِ الْعَظِيمِ مَقَالًا
نَطَقَتْ بِهَا الذَّرَاتُ لَوْ يُصْغَى إِلَى مَا حُمِّلَتْهُ تَفَاوُلًا وَسَوَالًا
وَالْفَنُّ يَنْتَظِمُ الْقُرُونُ فَإِنَّهُ رُوحَ الزَّمَانِ فَمَا يَهَابُ مُحَالًا

زيوس ويوروبا (كبير الآلهة ونموذج الجمال)

شَاقَهُ الْحُسْنُ وَكَمْ شَاقَ الْجَمَالَ كُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ بَلْ مَا فِي الْخَيَالِ
لَيْسَ بِدَعَا مِنْ إِلَهٍ قَادِرٍ أَنْ يَنَالَ الْحُسْنَ مِنْهُ الْإِبْتِهَالِ
أَوْ مُحَالًا مِنْ جَمَالٍ مُعْجِزٍ أَنْ تَرَى الْمَالُوفَ مِنْهُ كَالْمُحَالِ

* * *

خَطَرْتُ بِنْتُ الْمَلِكِ السَّافِرَةَ فِي رَبِيِّ الشَّاطِئِ تَلْهُو سَاجِرَةَ
وَالْمَرْوُجُ الْخَضِرُ تَزْهُو حَوْلَهَا بَيْنَ نُورٍ وَمَعَانٍ نَاضِرَةَ
وَبَدَا الشَّاطِئُ فِي رُوحِ الصَّبَا وَأَمَانِي الْحُبِّ فِيهِ طَائِرَةَ

^٥ يشير إلى نفرتيتي زوجة عاهل مصر إخناتون، وهي المرئية في موقف الصلاة والابتهاال.

^٦ إخناتون ونفرتيتي.

* * *

وَرَأَاهَا دُمَيَّةَ الْفَنِّ «زَيْوُس» وَغَنَى الدُّنْيَا وَأَحْلَامَ الْكُفُّوسِ
فَاشْتَهَاها وَهُوَ أَشْمَى مَنْزِلًا وَهِيَ أَشْمَى مِنْهُ فِي حُسْنِ بَسُوسِ
وَأَبَى اسْتِهْوَاهَا إِلَّا عَلَى صُورَةِ الْفَنِّ تَسْتَهْوِي النَّفُوسِ

* * *

فَتَرَأَى فِي خَيَالِ الْحَيَوَانِ الْأَلِيفِ الطَّبْعِ وَالْجَمِّ الْحَنَانِ
صُورَةَ النُّورِ الْبَهِيِّ الْمُنْظَرِ الْخَفِيفِ الظِّلِّ تَرْضَاهُ الْحِسَانِ
وَاكْتَسَى مِنْ لَوْنِهِ الصَّافِي حُلَى فَإِذَا الْمَرْجُ بِمَرَاهُ يُزَانِ

* * *

وَدَنَا مِنْ رَبَّةِ الْحُسْنِ الَّتِي قَدْ تَجَلَّتْ فِي مَصَفِّ الْأَلْهَةِ
فِي دُعَابَاتٍ يُحْيِيهَا بِهَا كَتَحِيَّاتِ الْقُلُوبِ الْوَالِهَةِ
أَلْقَتِ الْخَوْفَ وَنَاجَتْهُ كَمَا دَاعَبَ الطُّفْلُ الدَّمَى الْمُسْتَأْلِهَةَ

* * *

وَأَتَتْ بِالزَّهْرِ إِكْلِيلًا لَهُ ثُمَّ عَقْدًا شَاقَهُ فِي جِيدِهِ
فَارْزَدَهِيَ فِي نَشْوَةِ الْحُبِّ كَمَا يَزْدَهِي الْمُعْتَزُّ مِنْ تَأْيِيدِهِ
وَانْتَنَتْ تَرْكَبُهُ فِي خِفَّةٍ فَأَتَمَّتْ حَظَّهُ فِي عِيْدِهِ

* * *

وَمَضَى فِي الْيَمِّ يَجْرِي سَابِحًا غَانِمًا مُلْغًا فَرِيدًا رَاجِحًا
وَجَمَالًا عَبَقَرِيًّا بَيْنَمَا كَانَ هَذَا الْكُونُ يَرْزُو صَادِحًا
وَتَوَلَّى يَحْمِلُ الْحُسْنَ إِلَى حَيْثُ يَلْقَى الْحُسْنَ عَرْشًا صَالِحًا

* * *

وَتَجَلَّى بَعْدَ ذَا فِي صُورَتِهِ حِينَ «يُورُوبَا» بَدَتْ فِي رُتْبَتِهِ
وَارْتَضَتْهُ بَعْدَ لَأَيِّ زَوْجِهَا حِينَ عَدَّ الْكُونُ مَرَأَى زَوْجَتِهِ
كَمْ كَبِيرٍ بِصَغِيرٍ يَغْتَلِي وَصَغِيرٍ بِكَبِيرٍ لَمْ يَتَهُ

إيليا وصموئيل

نَظَرَ الشَّيْخُ نَظْرَةً مِنْ حَنَانٍ
نَظْرَةً أَشْبَعَتْ بِالْهَامِ رُوحَ
رَبَّتِ السَّاعِدَ الْقَرِيرَ قَرِيرًا
وَتَرَى زُرْقَةَ السَّمَاءِ تَرَاءَتْ
نَفَذَتْ مِنْ غُصُونِ نَافِذَةِ النَّبِيِّ
وَتَجَلَّى الْمُصْبَاحُ بِالنُّورِ أَمْوَا
وَبَدَأَ فِي سُكُونِهِ الْأَسْرِ اللَّيْلِ
وَتَحَالَ الْأَصْبَاحُ فِي مَلْبَسِ الشَّيْخِ
لَكَأَنَّ الزَّمَانَ وَهُوَ مُسْنٌ
وَكَأَنَّ الْكِتَابَ فِي يَدِهِ النَّشِ
تَلَمَّحَ الْحِكْمَةَ الْعَمِيقَةَ وَالْفِكَ
وَتَرَى شَعْرَهُ الْمَهَيْبَ نُصُوعًا
مَشْهُدٌ صَاغَهُ الزَّمَانُ لِيَحْيَا
كَأَنَّ لَوْنًا مِنْ نَفْسِ أَحْدَاثِهِ الْكُبَى

* * *

هَتَفَ الْوَحْيُ فِي نَهْيِ الطِّفْلِ إِذْ قَا
فَتَغَذَى مِنْ رُوحِهِ بِجَمَالٍ
وَمَضَى فِي الزَّمَانِ يَغْرُو جَرِيئًا
أُمٌّ أَسْعَدَتْ بِهِ فِي حَيَاةٍ
مِثْلَمَا أَسْعَدَ الْبَيَانُ بِمَرَأَى

* * *

رُبَّ طِفْلٍ رَعَتْهُ أُمٌّ حَنُونٌ
وَتَوَلَّاهُ هَادِيًا مَنْ تَوَلَّى
وَأَثَرُوا فِيهِ الرُّجُولَةَ وَالنُّبَى
صَيَّرَتْهُ الْأَقْدَارُ مِنْ قَادَةِ الْفِكَ

وَأَبٌ فِي كِفَاحِ عَيْشٍ شَقِيٍّ
وَحَبَّاهُ بِعُطْفِهِ الْأَبَوِيِّ
لَمْ يَصْدَقِ التَّجَمُّلُ الرَّوْحِيَّ
رِ نَبِيًّا أَوْ فِي مَقَامِ النَّبِيِّ

أفرديت وأدونيس

هَلُمِّي دُمُوعَ الْجَمَالِ هَلُمِّي وَلَا تَكْتَفِي
وَيَا جَذْوَةً فِي اشْتِعَالِ أَطِيلِي وَلَا تَنْطَفِي
لَهَيْبًا بِقَلْبِي الْوَفَى

* * *

جَثَّتْ قُرْبَهُ «أَفْرَدِيَتْ» تَنُوحُ نَوَاحَ الْمَرُوعِ
بِقَلْبٍ كَسِيرٍ شَتِيَتْ يَسِيلُ مَسِيلَ الدُّمُوعِ
وَيُفْشِي الْأَسَى فِي الزُّرُوعِ
عَلَتْ صَرْخُهُ دَاوِيَهُ فَهَزَّتْ عَتِي الصُّخُورِ
كَأَنَّ الْمُنَى الْفَانِيَهُ تَطُوفُ بِأَهْلِ الْقُبُورِ
وَتُخَيِّي الشَّجَى وَالتُّبُورِ
أَحَبَّتْهُ دُونَ الْوَرَى وَمَا الْحُبُّ إِلَّا الْخُلُودُ
وَلَكِنَّهُ مَا ارْتَضَى حَيَاةَ الْغَرَامِ السَّعِيدِ
شَغُوفًا بِوَحْشٍ يَصِيدُ
فَجُنَّتْ جُنُونُ الْغَرَامِ إِذَا الْقَدَرُ اسْتَنْزَفَهُ
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ضَرَامُ تُخَادِعُهُ مُثْلِفُهُ
وَتَمْنَحُهُ مُخْلِفُهُ
جَثَّتْ قُرْبَهُ عَارِيَهُ وَقَدْ غَرَقَتْ طَيَّيَ يَأْسِ
سَوَى فَضْلَةٍ بَالِيَهُ مِنْ الْيَأْسِ فَالْيَأْسُ يُمْسِي
فَنَاءً لِجِسْمٍ وَنَفْسِ
وَأَسْنَدَتِ الرَّأْسَ وَلَهَى وَصَاحَتْ بِسُخْطِ الْغَرَامِ
فَأَصْغَى «أَبُولُو» إِلَيْهَا وَأَقْسَمَ أَنْ لَا يُضَامَ
إِلَهُ يَسُوسُ الْأَنَامَ
وَبَيْنَا «أَدُونِيس» تَدْعُو وَقَدْ أَطْبَقَتْ نَاضِرِيهَا
بِصَوْتٍ مِنَ الرُّوحِ يَحْدُو وَيَدْعُو الْبَرَائَا لَدِيهَا
وَيُزْجِي الضَّحَايَا إِلَيْهَا

إِذَا الْكُونُ سَاجَ سَقِيمٍ فَنَالَ «الْأَلْمَبَ» الصَّمَمُ
 سَوَى مِنْ «أَبُولُو» الرَّحِيمِ وَقَدْ نَالَ مِنْهُ الْأَلَمُ
 فَكَمْ خَصَّهَا بِالنَّعْمِ
 فَأَنْبَتَهُ زَهْرَةً هِيَ الْأَيْمُونُ الْجَمِيلُ
 نُشَاهِدُهَا حَسْرَةً عَلَى أَلَمٍ يَسْتَحِيلُ
 بِهِ الْحُبُّ مَوْتَ الْعَلِيلِ
 فَفَارَقَهَا فِي الْمَسَاءِ مُصِرًّا عَلَى صَيْدِهِ
 وَمَا هَابَ مَوْتَ الضِّيَاءِ وَكَمْ مَاتَ فِي مَجْدِهِ
 وَلَا خَافَ مِنْ لَحْدِهِ
 وَغَادَرَهَا وَهْيَ فِي تَلَهُّفِهَا ظَامِئُهُ
 وَفِيهَا شُعُورٌ خَفِيَ بِنَشْوَتهَا الْخَاطِئُهُ
 وَحَسَرَتِهَا النَّاشِئُهُ
 وَمَا كَادَ أَنْ يَتَوَارَى وَأَنْ يَتَحَدَّى الظَّلَامُ
 كَمَنْ وَدَّ يَغْزُو النَّهَارَا — وَإِنْ فَاتَهُ — فِي اقْتِحَامِ
 وَلَوْ غَابَ بَيْنَ الْغَمَامِ
 إِذَا بِالْجَوَادِ الْعَزِيزِ مِنْ الْجَهْدِ يَلْقَى الْعِثَارُ
 وَبِالْمَوْتِ طَفَرًا يُجِيزُ — لِرَتِّ^٧ بَدَا — أَخَذَ ثَارُ
 مِنْ الْفَارِسِ الْمُسْتَتَارِ
 فَلَقَى «أَدُونِيسَ» حَتَفَهُ عَلَى الْأَرْضِ بَيْنَ الدِّمَاءِ
 وَلَمْ يَعْرِفِ الْمَوْتُ رَأْفَهُ لِحُسْنِ رَبِيبِ السَّمَاءِ
 لَهُ فِي الْأَلْمَبِ الرَّجَاءُ
 وَرَنَتْ لَهُ صَيْحَةً فَنَاحَ الْفَضَاءُ الرَّحِيبُ
 وَنَارَتْ لَهُ ثَوْرَةً وَأَنَّ الْوُجُودَ السَّلِيبُ
 وَقَدْ شَامَ فَقَدْ الْحَبِيبُ
 وَطَارَتْ لَهُ «أَفْرَدَيْتَ» بِلَوْعَتِهَا وَالْهَوَى

^٧ الرَّتُّ هو الخنزير البرِّي أو الحُلُوف Sus Scrofa.

فَأَلْفَتْهُ مَيْتًا يَبِيتُ مَبِيتَ الْمُنَى فِي الثَّرَى
وَقَدْ كَانَ زَيْنَ الْوَرَى
وَلَكِنَّهَا فِي ذُحُولٍ عَدَاهَا الدَّمُ الْمُزْهَرُ
عَذَابٌ وَيَأْسٌ يَطُولُ وَمَوْتُ لَهُ آخَرُ
كَذَاكَ الْهَوَى الْمُقْفَرُ
فَيَا لَوْعَةً لِلطَّبِيعَةِ بِغُصْنٍ وَمَاءٍ وَصَخِرِ
تَرَأَتْ مَعَانِي الْفَجِيعَةِ بِهَا فِي سَكُونٍ وَدُغْرِ
وَنَاحَتْ بِشَعْرِ وَشَعْرِ
هَلُمِّي دُمُوعَ الْجَمَالِ هَلُمِّي وَلَا تَكْتَفِي
وَيَا جَذْوَةً فِي اشْتِعَالٍ أَطِيلِي وَلَا تَنْطَفِي
لَهَيْبًا بِقَلْبِي الْوَفَى

ميلاد الربيع

(أبيات مرتجلة في مناسبة.)

أَمِنَ الْعَوَاصِفِ وَالْدُمُوعِ هَذِي الْمَلَاخَةُ لِلرَّبِيعِ
بَدَتْ الْأَشْعَةُ فِي الظَّلَا لَ كَمَا تَأَلَّقَتْ الدُّمُوعُ
وَلَدَتْهُ أَيَّامُ التَّقَشُّ فِ وَالْتَبَّثْلِ وَالْخُشُوعِ
وَأَتَتْ بِهِ الْأَيَّامُ كَالْـ أَطْيَافٍ مِنْ جِصْنٍ مَنِيعِ
فَإِذَا الصَّبَاحُ بِآيَةٍ سَحَرِيَّةٍ عَنْهُ يَضُوعِ
هَذِي الْأَشْعَةُ جُسِدَتْ فِي كُلِّ حُسْنٍ تَسْتَطِيعِ
مَا بَيْنَ زَهْرٍ خَاشِعِ وَسَوَاهُ مُعْتَكِفِ وَدِيعِ
هَذَا بِحَالٍ لِلصَّلَا وَذَاكَ مُلْتَفِتُ سَمِيعِ
يَا عَيْنُ مَا النَّبْعُ الَّذِي عَمَرَ الْجَمَالَ بِهِ الرَّبِيعِ
جَاءَتْ بِهِ حُورُ الْجَنَانِ وَحَادَرَتْ أَنْ لَا يَضِيعِ
وَضَعَتْهُ فِي الرُّوضِ الْوَضِيعِ عَ فَشُرَفَ الرُّوضِ الْوَضِيعِ
فَإِذَا بِهِ الْكَوْنُ الرَّفِيعِ عَ لِصَاحِبِ اللَّبِّ الرَّفِيعِ

وَتَلُوحُ مِنْ خَلْفِ الْـ أَزَاهِرِ وَالْمَدَامِعِ لِلْجَمِيعِ
رُوحُ الْمَحَبَّةِ وَالِدُ عَابَةِ وَالتَّجَاوُبِ وَالشَّفِيعِ
هِيَ لَمَحَّةٌ خُطِفَتْ مِنْ الْـ خُلْدِ الْعَصِيِّ أَوْ الْمُطِيعِ
نَحْيًا بِهَا فَوْقَ الْحَيَا ةٍ عَلَى تَنَسُّكِهَا الْخَلِيعِ
وَنَرَى الْإِلَهَ حَيَالَنَا فِي كُلِّ إِعْجَازٍ بَدِيعِ

* * *

أَحْلَى التَّحَايَا لِلرَّبِّيعِ حِ حَيَاةٌ مَا يُوجِي الرَّبِّيعِ

رسالة الربيع

بَسَمَ الرَّبِّيعُ بِرَنْبِقٍ وَبَوْرَدَةٍ وَأَطْلَّ يَهْتَفُ مِنْ نُغُورِ لَيْلِكَ^٨
فَأَجَبْتُهُ بِتَحِيَّةٍ عُلوِيَّةٍ وَعَشَقْتُ فِيهِ النُّورَ مِنْ حَدِّكَ
وَلَمَحْتُهُ مُتَهَلِّلًا مُتَوَتِّبًا فَرَأَيْتُهُ عَرَفَ الْجَمَالَ لَدَيْكَ
هَتَفَ الرَّبِّيعُ فَمَنْ لِمُهْجَةٍ شَاعِرٍ بِمُنَى الرَّبِّيعِ تُصَاعُغُ مِنْ شَفَتَيْكَ
وَحُلَى مِنَ النُّوَارِ الْثُمُّهَا كَمَا لَثَمَ الصَّبَاحُ النُّورَ مِنْ عَيْنَيْكَ
الشَّاعِرُ الْفَنَانُ تَرَقَّبُ رُوحُهُ نَجْوَاكَ شِعْرًا يَسْتَحِيلُ إِلَيْكَ
فَإِذَا نَفَحَتْ فَكُلُّ أَلْوَانِ الصَّبَا وَالْحُبِّ رَاقِصَةً تُطِلُّ عَلَيْكَ
وَتَصُونُ حُسْنَكَ لِلْفُنُونِ مُتَوَجًّا بِحُلَى تَفُوقُ حُلَى عَلَى نَهْدَيْكَ
وَإِذَا بَخِلَتْ فَيَا أَسَى جِرْمَانِهِ بَلْ يَا أَسَى لِلْفَنِّ بَيْنَ يَدَيْكَ

عند الجبل الراصد

سَاءَلْتِ عَنْ أَلْمِي وَعَنْ أَهَاتِي أَوْمًا لَحَظْتَ بِهَا رِثَاءَ حَيَاتِي
وَنَظَرْتِ مِنْ عَيْنَيَّ وَحْيَ عَوَاطِفِي فِي عَالَمِ الْأَحْلَامِ لَا الْغَايَاتِ

^٨ الليليك: زهر اللعلع.

وَمِنْ السُّكُوتِ سَوَاحِرُ الْكَلِمَاتِ
فِي جَبَرَةِ الْجَبَلِ الرَّفِيقِ الْعَاتِي
صِيغَتْ مِنَ الْأَشْوَاقِ وَالْأَنَاتِ
وَالْحُزْنِ فِي لُغَةٍ بِغَيْرِ أَدَاةٍ
غَابَتْ مَعَانِيهَا غِيَابَ رُؤَايَ
حَتَّى بَبْعُضِ إِشَارَةٍ وَسِمَاتِ
فَأَعْتَبْتِهِ كَالطَّلِّ لِلزَّهْرَاتِ
فِي رُوحِ فَلَسَفَةٍ كُرُوحِ أَدَاةٍ

حِينَ السُّكُوتِ يُظِلُّنَا بِجَمَالِهِ
حَيْثُ التَّقْيِينَا دُونَ وَعْدِ سَابِقِ
فَوْقَ انْبِسَاطِ الْعُشْبِ وَهُوَ كَجَنَّةٍ
فَرَأَيْتَنِي أَغْضِي وَأَنْبِسُ بِالْهُوَى
فَوَعَيْتُ مِنْهَا مَا وَعَيْتُ وَإِنَّمَا
مَاذَا عَلَى الظُّمَانِ إِنْ هُوَ لَمْ يَبْنِ
إِنْ شِئْتُ أَدْرَكْتَ الظُّمَاءَ بِرُوحِهِ
أَوْ شِئْتُ سَاءَلْتُ الْمُعَذَّبَ هَكَذَا

* * *

أَتَمَلَّكَ الْأَكْوَانَ فِي كَلِمَاتِي
جَرِي الْحَيَاةِ بِمُفْعَمِ بَحْيَاةٍ
وَوَهَبْتُ مَنْ تَهَبُ الْجَمَالَ صَلَاتِي
لِلْإِلَهَةِ تَرْعَاهُ بِالنَّفَحَاتِ
خَالٍ مِنَ الْأَرْبَابِ وَالرَّبَّاتِ
وَحَلِمْتُ بَعْدُ فَرَدَدْتُ نَعْمَاتِي
مَا بَيْنَ أَحْزَانٍ وَبَيْنَ شَكَاةٍ
فَصَبَبْتُ حَيْرَتَهُ عَلَى خَفَقَاتِي

أَخْفَقْتُ فِي حُبِّي لِأَنِّي حَالِمٌ
تَجْرِي الْعَوَالِمُ فِي مَجَالِ عَوَاطِفِي
فَوَهَبْتُ حُبِّي لِلْجَمَالِ جَمِيعِهِ
وَجَعَلْتُ شِعْرِي نَفْحَةً عُلوِيَّةً
فَإِذَا الْوُجُودُ بِأَسْرِهِ فِي مَا تَمَّ
حَتَّى سَمِعْتُكَ فَاتَّهَمْتُ عَقِيدَتِي
فَسَأَلْتُ قَلْبِي عَنْكَ وَهُوَ بِفَرْحَةٍ
فَإِذَاهُ مُضْطَرِبٌ بِلَوْعَةٍ حَائِرٍ

* * *

أَخَذَ النَّبِيُّ هُدَاهُ مِنْ عَرَفَاتٍ
وَتَبَّ الْعُطُورِ مِنْ ازْدِهَارِ نَبَاتِ
لَثَمَ الضَّرِيرِ الطَّيْفَ فِي الظُّلُمَاتِ
فَتَلَاقَتْ الْبَسَمَاتُ بِالْعَبْرَاتِ

وَأَخَذْتُ صُورَتِكَ الْعَزِيزَةَ مِثْلَمَا
تَتَبُّ الْعَوَاطِفُ مِنْ جَمَالِ خُطُوطِهَا
فَلَثَمْتُ أَلْوَانَ الْعِزَاءِ بِوَحْيِهَا
وَبَكَيْتُ لَكِنْ بِالْأَسَى فِي نَشْوَةٍ

* * *

أَوْ عَنْ نَعِيمِ تَشْتَهِيَنَ لِذَاتِي
كَبَقِيَّةِ الْأَسْحَارِ فِي الْفَلَوَاتِ
لِلْحُسْنِ مَا اسْتَبَقَيْتُ مِنْ صَفَحَاتِ
قَبَسًا فَصَارَ النُّورُ مِنْ آيَاتِي

لَا تَسْأَلِينِي عَنْ سَلَامِ يُرْتَجَى
طُوبَى الْكِتَابِ سِوَى الْبَقِيَّةِ مِنْ هَوَى
لِلْحُسْنِ مِنْهَا مَا يَشَاءُ فَإِنَّمَا
فَإِذَا عُنِيَتْ بِهَا خَلَقَتْ بِلِيلِهَا

عذارى الخيال

أَمْتَعِي الشُّعْرَ يَا عَذَارَى الْخَيَالِ
أَيُّ دُنْيَا هَذِي الَّتِي تَتَعَالَى
أَيُّ دُنْيَا هَذِي، وَأَهْوَنُ دُنْيَا
كَيْفَ يَحْيَا عَلَى ظِمَاءٍ وَيَفْنَى
يَا عَذَارَى الْخَيَالِ أَنْتَنَ أَرْبَابُ
لَيْسَ يَهْوَى الْغُرُورَ إِلَّا صَغِيرُ
كُنْ أَنْتَنَ لِلْفُنُونِ عَزَاءُ
خُلِقَ الْحُسْنُ لِلْفُنُونِ قَرَابِيبِ
كُلَّمَا زَوَدَتْ أُولَى الْفَنِّ مِنْهَا
جَيْنَمَا الْحُسْنُ لَا يَزَالُ أُسِيرًا
فَإِذَا الْحُسْنُ ضَائِعٌ لَمْ يُبْلَغْ

يُنْجِبِ الشُّعْرُ كُلَّ غَالٍ وَحَالٍ
فَوْقَ فَنِّ الصَّدَاحِ وَالْمَثَالِ
صَاغَهَا الشُّعْرُ رَوْعَةً لِلْمَحَالِ
أَهْلُهُ حَوْلَ مَنْبَعِ الْجَمَالِ
وَلَيْسَ الْأَرْبَابُ أَهْلَ الدَّلَالِ
يَتَعَالَى فِي غَيْرِ مَعْنَى التَّعَالَى
فِي وُجُودٍ يَسِيرُ سَيْرَ الْخَبَالِ
سَنَ وَلَكِنَّهَا لِغَيْرِ الزَّوَالِ
بِجَلَالٍ جَادُوا لَهَا بِجَلَالِ
جَيْنَمَا الْوَهْمُ سَيِّدٌ لَا يُبَالِي
غَايَةَ الْحُسْنِ وَالْفُنُونِ الْعَوَالِي

* * *

يَا عَذَارَى الْخَيَالِ أَمْتَعِنَ وَجَدًا
نِي فَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ هَذَا الْخَيَالِ

زهر الليمون

خَلَقْتَهُ أَنْفَاسَ الطَّبِيعَةِ نَفْحَةً
وَكَاَنَّهُ لَمْ يَزِدْهُرَ بِبَيَاضِهِ
وَالْعَطَرُ يَعْبَقُ مِنْهُ مِثْلَ عَوَاطِفِي
يَا لِلشَّدَى الْقُدْسِيِّ مِنْهُ وَهَلْ شَدَى
أَبْدَعْتَ بِالْوَصْفِ الْجَمِيلِ لَزْهُرِهِ
أَشْبَعْتُ رُوحِي مِنْ شَمِيمِ غَيْرِهَا
حُمَلْنَ أَشْبَاهَ الْغُصُونِ قَصَائِدًا
فَإِذَا فُؤَادِي فِي رَبِيعٍ نَاضِرٍ
كَمْ مِنْ صَغِيرٍ لِلْجَمَالِ رَأَهُ مَنْ

لِلْحُبِّ وَاسْتَوَحَّتْ بِهِ رُوحَيْنَا
إِلَّا لِيَوْمِيَّ بِالصَّفَاءِ إِلَيْنَا
هَيْهَاتَ تَعْرِفُ فِي التَّخِيلِ مَيْنَا
إِلَّا الَّذِي أَعْطَاهُ عَطْفُكَ دَيْنَا
فَإِذَا سَطُورُكَ كَالْبَرَاعِمِ زَيْنَا
وَسَلَبْتُ أَسْطَرَهَا الَّذِي اسْتَوْحِينَ
لِلزَّهْرِ فَابْتَسَمَ الَّذِي حُمَلْنَ
مِنْهَا وَمِنْكَ وَقَدْ بَكَى وَتَغَنَّى
فَهُمَ الْجَمَالَ مَدَى لَهُ فَتَمَنَّى

قلب الشاعر

إِشْرَاقُهَا الْمُتَدَلِّلُ الْمُتَهَادِي
مِنْ عَالَمِ الْأَرْوَاحِ وَالْأَبَادِ
رَمَزُ الطَّهَارَةِ وَالْجَمَالِ الْهَادِي
تَتَأَمَّلُ الْمَحْظُوظَ فِي الْعُبَادِ
ذِكْرَكَ أَنَّ الْكَوْنَ مِلءُ فُؤَادِي
وَالْخَلْقُ جَنْبَ تَحَرُّقِي وَوَدَادِي
وَهَوَاجِسِ الْأَسْحَارِ وَالْآرَادِ
سِحْرِ يَهِيمٍ بِهِ الزَّمَانُ الْحَادِي
حَقْبُ تَعَوُّدٍ مِنَ الْقَدِيمِ الْعَادِي
لِتَنَالَ أَعْلَى الْوَحْيِ مِنْ إِنْشَادِي
بِالْخُلْدِ وَحْيِ الشَّاعِرِ الْوَقَّادِ

سَاءَلْتُ عَنْ حِسِّي أَمَامَ الشَّمْسِ فِي
وَعَنِ الَّذِي حَبَّبْتُهُ عَنْ دُنْيَا الْوَرَى
وَذَكَرْتُ حُبَّكَ لِلْهَلَالِ لِأَنَّهُ
تَتَأَمَّلِينَ سَنَاهُ مِثْلَ إِلَهَةٍ
تَتَأَمَّلِينَ وَتَسْأَلِينَ فَهَلْ دَرْتُ
مَا الشَّمْسُ مَا الْقَمَرُ الْمُطْلُ وَمَا الْوَرَى
خَلِّي النَّسِيمَ وَزَهْرَهُ وَطُيُورَهُ
وَتَلْقَيْتِي لِفُؤَادِي الْمَغْمُورِ فِي
تُصْغِي إِلَى هَمْسَاتِهِ وَحَنِينِهِ
وَخَوَاطِرُ الْآتِي الْبَعِيدِ تَرَاجَعَتْ
إِنَّ الْعَبَاقِرَةَ الَّذِينَ اسْتَأَثَرُوا

* * *

غَيْرَ الْجَمَالِ هُوَ الْخَيَالُ الْبَادِي
أَمَالُ كَالْأَطْفَالِ بَيْنَ تَنَادِ
لَهُوَ بَوَادِي ثُمَّ غَيْرَ بَوَادِ
مِنْهَا وَتَغْرِقُ حَسْرَتِي وَجْدَادِي
فَوْقَ الْعُبَابِ عَلَى ظِلَالِ الْوَادِي
لَبَّيْتُ أَنْتِ الْبَدْرُ وَهُوَ يُنَادِي

وَلَقَدْ أَطِيرُ مَعَ الْخَيَالِ فَلَا أَرَى
تَنَصَادُمُ الْأَحْدَاثِ وَالْأَرْوَاحِ وَالْـ
هَذِي تَصِيحُ وَهَذِهِ تَجْرِي عَلَى
صُورٍ بِلَا عَدٍّ تَمُوجُ عَوَاطِفُ
فَأَرَى الْمَلَاخَةَ وَحْدَهَا بِسَامَةٍ
وَأُطِلُّ فِي قَلْبِي فَأُبْصِرُهَا كَمَا

الأحلام

وَالْحُلْمُ يُسْكِرُ مِنْ رُوحِكَ
فَمِنْ جُرُوحٍ كَجُرُوحِكَ
شِعْرُ الْحَنِينِ لِمَنْ يَهْوَاهُ
وَالْبَدْرُ يَسْكُبُ أَضْوَاءَهُ
يَبُثُّ فِي الْحُسْنِ رَجَاءَهُ

أَسْكَرَتْ بِالْأَحْلَامِ هَوَاهُ
فَإِنْ يُغْنِ الشُّعْرُ مُنَاهُ
فِي نَشْوَةِ الْبَدْرِ الزَّاهِي
رَأَيْتُهُ مِثْلَ إِلَهٍ

وَالْحُسْنُ سَاهٍ أَوْ لَاهٍ
وَالطَّيْرُ فِي صَمْتٍ كَعَلِيلٍ وَالِدَّوْحُ فِي لَهْفٍ مَكْبُوتٍ
وَالْبَحْرُ - مَرَأَى كُلِّ جَمِيلٍ - أَمْسَى كَتِيهٍ فِيهِ يَمُوتُ
هَذَا الضَّيَاءُ لِفَقْدِ خَلِيلٍ
وَكَانَ يَعْزِفُ أَلْحَانَهُ وَدَمْعُهُ يُفْشِي نَجْوَاهُ
وَالْحُزْنُ يَقْطَعُ أَوْزَانَهُ وَكَمْ يَعُدُّ الْحُزْنُ غِنَاهُ
قَلْبًا تَشْرَبُ أَلْوَانَهُ
فَلُحْتَ أَنْتِ بِإِشْفَاقٍ فَكَادَ يُسْقِطُ قَيْثَارَهُ
وَقُلْتَ دَعِ حُبِّي الْبَاقِي يُزِيلُ دَمْعَكَ أَوْ نَارَهُ
وَإِنْ يَكُنْ لِلْخَلَّاقِ
فَجَاءَ يَبْسِمُ فِي عَطْفٍ وَقَالَ أَنْتِ تَوَاسِيْنَ
أَنْتِ الصَّغِيرَةُ هَلْ يَكْفِي عَطْفٌ لَدَيْكَ فَتُخَيِّبِْنَ
مَنْ بِالتَّعَذُّبِ يَسْتَشْفِي
فَقُلْتَ حِينَ مَدَدْتَ يَدًا تُجَفِّفُ الدَّمَعَ الْحَيَّا
يَدِي الصَّغِيرَةَ لِي أَجْدَى بَعْطِفَهَا مِمَّنْ يَحْيَا
جُحُودَهَا بَأْسًا وَمَدَى
وَجِئْتُ بِالزَّهْرِ الْحَالِي لِرَأْسِهِ وَالْغُصْنُ يُطِلُ
قُطِفَتْهُ كَالْأَمَالِ تُظِلُّهُ أَوْ لَسَنُ تُظِلُ
إِلَّا خَيَالًا لِخَيَالِ
وَقُلْتَ هَذَا مِنْ نَفْجِكَ هَذَا الْعَبِيرُ شَذَى لُبِّكَ
إِنْ كَانَ جُرْجِي مِنْ جُرْجِكَ فَمَا عَرَفْتُ أَسَى قَلْبِكَ
وَقَدْ عَرَفْتُ مَدَى نَوْجِكَ
وَهَمَّتْ أَنْتَ بِعَرْفَانِي وَمَا وَهَمْتُ بِعَرْفَانِكَ
لَيْنُ غُرْرَتِ بِمِيزَانِي فَمَا غُرْرْتُ بِمِيزَانِكَ
وَقَدْ فَطَنْتُ لِأَحْزَانِكَ
هَذَا الْفَضَاءُ بَدَا مُلْكُكَ هَذِي الطَّبِيعَةُ مِنْ جُنْدِكَ
فَاطْرَحْ هُمُومَكَ أَوْ شُكَّكَ فَالْكُونُ يُفْتَنُ مِنْ شَدُوكِ

وَكَمْ يَبْنُ لَدَى أَنْكَ
إِنِّي أَعِيشُ بِهَذَا الْكَوْنُ لَكِنْ بِأَحْلَامِ الشَّعْرِ
لَا عِيشَةَ لِأَسَى وَلِمَنْ فِي النَّاسِ فِي وَزْرِ يُزْرِي
بِكُلِّ إِجْلَالٍ لِلْحُسْنِ
فَلْتَطَرِّحْ دُنْيَا النَّاسِ وَلْتَحْيِ مِثْلِي فِي الْأَحْلَامِ
مَا أَجْمَلَ الْحُلْمَ الْأَسَى مُتَقَدِّسًا فَوْقَ الْأَلَامِ
وَتَوَرَّةِ الدَّهْرِ الْقَاسِي
لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا حُبِّي وَقَدْ تَجَرَّدَ مِنْ جِسْمِي
لَطَرْتُ مُصْطَحِبًا قَلْبِي فِي عَالَمِ الصَّفْوِ الْمُسْمِي
إِلَى رَوَائِعِ الْحُبِّ
لَسْتُ الَّذِي يَرْضَى الْأَسْرَا وَفِي فَضَاءِ الْفَنِّ أَطِيرُ
مَنْ لَمْ يَعِشْ رُوحًا حُرًّا وَإِنْ تَحَرَّرَ فَهُوَ أَسِيرُ
مَا الْحُبُّ حُبٌّ لِلْأَسْرَى

* * *

أَسْكَرْتُ بِالْأَحْلَامِ هَوَاهُ وَالْحُلْمُ يُسْكِرُ مِنْ رُوحِكَ
فَإِنْ يُغْنِ الشَّعْرُ مَنَاهُ فَمِنْ جُرُوحٍ كَجُرُوحِكَ
شَعْرُ الْحَنِينِ لِمَنْ يَهْوَاهُ

عبادة

إِنِّي لِأُخْلِصُ لِلْحَيَاةِ عِبَادَتِي وَأَرَى الْعِبَادَةَ نَشَوْتِي وَسَعَادَتِي
هَلْ غَيْرُ مَحْرَابِ الْجَمَالِ أَخْصُهُ بِدَمِي وَأَنْشِقُ مِنْ شَدَاهُ هِدَايَتِي
فَاحِ الْبُحُورِ فَلَحْتُ أَنْتِ زَكِيَّةٌ بِالْحُسْنِ حَتَّى خَلْتُ أَنْكَ غَايَتِي
لَمْ لَا إِحَالٍ وَفِي الْأُنُوثَةِ بِهِجَتِي وَهِيَ الْحَيَاةُ وَفِي الْحَيَاةِ صَبَابَتِي
قَدْ طَرْتُ فِي دُنْيَا الْحَيَاةِ وَمَا أَرَى هَذَا الْخِيَالِ سِوَى مَسَالِكِ مُهَجَّتِي
وَسَخَرْتُ مِنْ دُنْيَا الْحَيَاةِ وَلَا أَرَى دُنْيَا الْحَيَاةِ سِوَى بَيَانِ مَحَبَّتِي
لَا تَسْتَقِرُّ بغيرِهَا نَفْسٌ وَإِنْ عَلِقْتُ بِأَقْدَسِ عَالِمٍ أَوْ رَبَّةٍ
لَا تَدْعِي أَنِّي الَّذِي لِفُؤَادِهِ شَغَفٌ بِغَيْرِ الْمُسْتَعْرِزِ لِغَادَتِي

لَوْ لَا شُعُورِي بِالْجَمَالِ مُنَزَّهَا
وَأَرَى التَّنَزُّهَ لِلْجَمَالِ وَلَاءَهُ
وَأَرَاكَ فَاتِنَةً الْمَشَاعِرِ فِي حُلَى
فَلِمَنْ تَكُونُ عِبَادَتِي إِنْ لَمْ تَكُنْ
بِالرُّوحِ وَالْجِسْمِ الطُّهُورِ وَكُلِّ مَا
مَا صُنْعْتُ مِنْ غَزَلِي الْمُنَزَّهِ آيَتِي
لِلْفَنِّ حَتَّى يُعْرِفَا بِجَلَالَةِ
مِنْ عِبْقَرِي حَنَانِكَ الْمُتَهَافِتِ
لِسَنَاءِ «أَفْرُودِيَّت» أَيَّ عِبَادَتِي
أَغْنِي جَعَلْتُ عِبَادَتِي وَسَعَادَتِي

زهرة الحب

تناول الشاعر بطاقة معايدة مزهرة من أنسة أديبة فبعث إليها بهذه الأبيات:

سَلَامًا زَهْرَةَ الْحُبِّ
نَشَرْتُ هَوَايَ فِي عِيدِ
وَفُحِّتِ شَذَى فَأَلْهَمَنِي
شَذَى وَصَدَى لِفَاتِنَةٍ
بَعَثْتُ لَهَا تَحِيَّاتِي
تَخَفَى فِي بُيُوتِ الشُّعْ
فَلَمَّا جَاءَ جَنَّتْهَا
فَأَلْقَاهَا مُقَدَّسَةً
وَلَكِنْ بَجَلْتُ مِنْهُ
فَخَصَّنَتْهُ بِمُهَجَّتِهَا
سَلَامًا نَضْرَةَ الْوَادِي
وَفِي نَجْوَاكِ أَعْيَادِي
حَزِينِ الْبُلْبُلِ الشَّادِي
تُرَوِّي الشَّاعِرَ الصَّادِي
فُؤَادِي بَيْنَ إِنْشَادِي
رِ وَهُوَ الْمُخْتَفِي الْبَادِي
تَجَلَّى الْعَابِدُ الْفَادِي
بِأَطْيَافٍ وَعُبَادِ
أَغَانِي السَّاحِرِ الْحَادِي
وَطَوَّقَ سِحْرُهُ الْوَادِي

عودة الطائر^٩

(نُظِمَتْ فِي حَفْلَةِ عَرَسِ رَاقِصَةٍ).

ارْقُصْ وَعَرِّبْ يَا فُؤَادِي
السَّجُنُ لَا يَرْضَاهُ شَادِي
حَتَّى وَلَوْ أَفْنَيْتَنِي
غَنَّى كَمَا غَنَيْتَنِي

^٩ انظر قصيدة «الطائر التائه» في ديوان «الشعلة» ص ٣٤.

ارْقُصْ فَهَـذِي لَيْلَةٌ
 الْحُبُّ فِيهَا دَوْلَةٌ
 مَنْ عَلَّمَ الطَّيْرَ الرُّجُوعَ
 مَنْ بَلَغَ الطَّيْرَ الدُّمُوعَ
 النُّورَ مَسْكُوبٌ رَشِيقُ
 خَمْرٍ مِنَ الظَّرْفِ الرَّقِيقِ
 مَنْ صَاغَهَا أَوْ صَبَّهَا
 الْجَوْ مَسْحُورٌ بِهَا
 وَاللَّحْنُ، يَا لِلْحَنِ فِي
 كَرِسَالَةِ الْقَلْبِ الْوَفِيِّ
 قَدْ مَارَجَتْ ضَوْءَ الْقَمَرِ
 فَإِذَا الْمَحَبَّةُ وَالسَّمَرُ
 وَالرَّقْصُ لَمْ أَشْعُرْ بِهِ
 وَالْحُسْنُ فِي تَحْبِيبِهِ
 فِي أَيِّ دُنْيَا تَنْتَهِي
 طَرْفٌ مِنَ الْفَنِّ الشَّهِي
 تَتَلَقَّفُ الْأَجْزَامُ مِنْهُ
 فِي كُلِّ نَجْمٍ يَفْتَتِنُ
 أَرْسَلْتُ رُوحِي حُرَّةً
 حَتَّى أَرَاهَا مَرَّةً
 فَتَعَبَّدَتْ هَذَا الْجَمَالَ
 حَتَّى إِذَا تَمَّ الْمُحَالَ
 أَهْلًا وَأَهْلًا يَا حَبِيبِي
 أَسْرَ الْعِتَابُ مَعَ الرَّقِيبِ
 خُذْ قَبْلَتِي أَخْذَ الْمُنَى
 فِيهَا الْحَرَارَةُ وَالسَّنَا
 جَمَعَتْ صَلَاتِي وَابْتِهَالِي
 لَمْ تَخْلُمِ الدُّنْيَا بِهَا
 وَالْخُلْدُ مِنْ أَرْبَابِهَا
 إِلَّا حَزِينٌ أَسْكَرَكَ
 هَلْ كَانَ مِنْ دَمْعِي الشَّرْكَ
 كَالصَّفْوِ فِي دُنْيَا الْهُمُومِ
 قَدْ هَيَّئْتُ خَلْفَ الْغُيُومِ
 إِلَّا إِلَهَ الْعَاشِقِينَ
 وَالنَّاسُ شَبَّهُ الْحَالِمِينَ
 هَذَا النَّسِيمُ الْمُضْطَرِبُ
 فِيهَا النَّالُ وَالطَّرِبُ
 فَالضُّوءُ وَاللَّحْنُ سَوَاءُ
 فِي كُلِّ أَنْفَاسِ الْهَوَاءِ
 إِلَّا مَعَانِي لِلْحَيَاةِ
 لِلرَّقْصِ عَلَّمَهُ لُغَاةُ
 هَـذِي الْأَغَانِي السَّابِحَاتِ
 هَيْهَاتَ يُدْرِكُهَا الْمَمَاتِ
 هَا كُلَّ مَعْنَى طَائِرِ
 قَلْبٌ كَقَلْبِ الشَّاعِرِ
 بَيْنَ الْأَغَانِي وَالضُّيَاءِ
 تَحْيَا حَيَاةَ الْأَنْبِيَاءِ
 شَوْقًا إِلَى مَعْبُودِهَا
 وَهَبْتُهُ كُلَّ وُجُودِهَا
 هَذَا فُؤَادِي يَنْتَظِرُ
 وَهَزَمْتُ حُرَّاسَ الْقَدَرِ
 مِنْ كُلِّ أَطْيَافِ الرَّبِيعِ
 فِيهَا الْبَشَاشَةُ وَالْدُمُوعُ
 وَصَفَتْ بِتَغْيِيرِ الْفُؤَادِ

وَتَضُمُّ أَلْوَانَ الْخَيَالِ وَالْآنَ أَنْتَ الْأَسْرِي
يَلْقَاكَ لُقْيَا السَّاحِرِ يَا لَيْلَتِي طُرِدَ السَّحَرُ
وَتَجَاوِبَ الشَّوْقِ الْمَعَادُ صِرْتُ الْأَسِيرَ لِشَاعِرِ
هَيْهَاتَ تَخْدَعُ نَاطِرِي وَسَبَّكَ أَحْلَامِي وَحُبِّي
فَإِذَا جَمَالُكَ رَهْنُ قَلْبِي فِي رَوْعَةٍ لَا تَنْتَهِي
قَدْ أَسْلَسَ الْحُسْنَ الْعَصِي طُولِي إِلَى الْأَبَدِ الْقَصِي

الأغاني الصامته

يَا مَنْ تَسَائِلُ عَنْ شِعْرِي وَالشَّعْرُ فِي صَمْتِي نَاطِقُ
الشَّمْسُ مِنْ قَبْلِ الْفَجْرِ تُوْجِي بِنُورٍ لِلْعَاشِقِ
وَالنُّورُ يُلْمَحُ فِي السَّرِّ تَشْدُو بِأَنْعَامِ الْحُبِّ
كَمْ فِي الْأَثِيرِ تَحِيَّاتُ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَمِنْ قَلْبِي
كَمْ فِي الْهَوَاءِ صَبَابَاتُ مِلءَ الْوُجُودِ عِبَادَاتُ
لَا تَسْأَلِينِي عَنْ حُبِّي بَلْ سَأَلِي الْقَلْبَ الْخَافِقُ
قَلْبٌ كَقَلْبِكَ لَا يُنْبِي إِلَّا بِإِحْسَاسِي الدَّافِقُ
مِنْ الْمَشَاعِرِ وَاللُّبِّ
لَا تَحْرِمِينِي أَيَّ مَنَى قَدْ تَشْتَهِيهَا لِي رُوحِي
لَيْسَ الْوِدَادُ يُعَدُّ غِنَى أَمَامَ حُبِّ مَكْبُوحِ
وَنَحْوِ جُرْحِ كَجُرُوحِي
بَلْ سَامِحِي قَلْبِي الظَّامِي إِنْ بَاتَ يَرْشَفُ مِنْ قَلْبِكَ
وَإِنْ أَتَيْتُ بِالْأَمِي إِلَى التَّعَلَّةِ مِنْ حُبِّكَ
فَصُنْتِ لِي رُوحِي الدَّامِي
مَنْ ذَا يَرُدُّ هَوَايَ الْحُرِّ مَتَى رَأَى وَنَاجَاكِ
وَمَنْ يَصُدُّ غُبَابَ الْبَحْرِ عِنْدَ الْعِنَاقِ بِلُقْيَاكِ

وَالشَّطُّ جَذْلَانُ يَفْتَر

ليلة في المعبد

عَرَفْنَاهَا عَلَى حَاطِرِ
كَأَنَّ غَرَامَنَا فِيهَا
أَبَيْنَا كُلَّ وَهَابِ
خَلَقْنَاهُ بِأَنْفُسِنَا
طَعْنَا الدَّهْرَ وَالْدَّهْرُ
أَلَيْسَ الْحُبُّ مَهْمَا لَا
تَلَاَقَيْنَا بِمَعْبِدِنَا
كَأَنَّ قَدْ ضَمِنَا الصَّفْ
فَلَمَّا ضَمِنَا الْحُبَّ
طَرَحْنَا الْعَقْلَ جَيْنَ الْقَلْبِ
فَفَاضَ الشَّعْرُ مِنْ لَحْظِي
وَكِدْتُ أَذُوبُ فِي قُبْلَا
أَبَيْنَا النُّورَ فَالْقُبْلَا
وَلَمْ أَحْفَلْ بِصَوْتِ الْوَقْفِ
فَمِنْ ثَغْرِ إِلَى نَهْدِ
مَنَاهِلُ لِلْحَيَاةِ وَعَتِ
نَعْمَنَا بِاخْتِضَانِ الْحُبِّ
فَلَا هُوَ مُفْلِتٌ مِنَّا
وَيَعْبَثُ ضَاحِكًا أَبَدًا
فَضَجَعْتُنَا مَبَانِيهِ
يُنَاوِلُنِي تَفَنُّنُهَا
فَأَسْحَرُ مِنْ تَحَايِلِهَا
وَأَعَشَقُ كُلَّ مَا يَبْدُو
مَعَانٍ كُلُّهَا فِتْنُ

وَهَلْ حُبٌّ بِلَا حَاطِرِ
هَوَى رُوحَيْنِ فِي شَرَرِ
وَجِئْنَا نَحْنُ بِالْأُنْسِ
وَجِئْنَا ظُلْمَةَ الْيَاسِ
مَنْ اسْتَهْزَأْنَا حَائِرُ
نَ يَبْقَى الْجَامِحُ الثَّائِرُ
وَلَمْ نَحْذَرْ مِنَ الْقَدْرِ
وَوَطَّعَ جَمَالَهَا السَّحْرِي
وَكَمْ لِلْحُبِّ إِعْجَازُ
بُ وَثَابُ وَنَهَارُ
وَمِنْ قَلْبِي وَأَنْفَاسِي
تِ أَشْوَاقِي وَإِينَاسِي
تُ شُعْلَةُ مُهْجَتِي الْحَرَى
تِ أَوْ بِهِوَاجِسِي الْحَيْرَى
وَمِنْ نَهْدِ إِلَى ثَغْرِ
أَحَبَّ مَنَاهِلِ الشَّعْرِ
نِعْمَةً مَنْ تَبَنَّا
وَلَا نَحْنُ زَجَرْنَاهُ
كَمَا شَاءَتْ أَمَانِيهِ
وَوَثَبْتُنَا مَعَانِيهِ
وَطَعَمَ الشَّوْقِ مِنْ فَمِهَا
وَأَسْكُرُ مِنْ تَأْلِمِهَا
عَلَيْهَا مِنْ مَعَانِيهَا
وَلَكِنْ لَسْتُ أَذْرِهَا

فَأَنْشَقُّهَا وَالْثِمُّهَا وَأَرْشُفُهَا وَأَطْوِيهَا
وَأَلْبَبْتُ حَائِرًا أَبَدًا عَلَى شَغَفٍ أَنْاجِيهَا
فَمَرَّتْ لَيْلَتِي صُورًا مِنْ الإِعْجَازِ لَا تُنْسَى
فَجَدَّدَ سِحْرُهَا نَفْسِي وَكُنْتُ الْفَاقِدَ النَّفْسَا

الطائر الحائر

(تصدير كتاب قصصيّ للأنسة جميلة محمد العلياني).

أَهْلًا «جَمِيلَةً» بِالْحَيَاةِ كَمَا رَأَتْ عَيْنَاكِ
فِيهَا مَعَانٍ تُسْتَطَابُ فَأَيُّهَا مَعْنَاكِ
حَلَلْتِ الْوَانَ الْمَحَبَّةَ وَالْجَمَالَ الْأَسِرَ
وَشَرَحْتَ قِصَّةَ طَائِرٍ بَيْنَ الْمَقَاتِنِ حَائِرٍ
وَوَصَفْتَ أَطْيَافَ التَّنَاجِي وَالْعَذَابِ الْقَاسِي
وَمَظَاهِرَ الْحَرَمَانِ وَالْأَلَامِ بَيْنَ النَّاسِ
هَذِي هِيَ الدُّنْيَا كَمَا صَوَّرْتَهَا لِلْغَافِلِ
لَهْفِي عَلَى الزَّهْرِ الْجَمِيلِ مِنَ الْهَجِيرِ الْقَاتِلِ
لَا يُسْأَلُ الْفَنَّانُ عَنْ آرَائِهِ وَرَجَائِهِ
بَلْ يُسْأَلُ الْفَنَّانُ عَنْ إِعْجَازِهِ بِأَدَائِهِ
وَأَرَاكِ فَاتِنَةً الْعَوَاطِفِ بِالْخِيَالِ السَّاجِرِ
أَنْفَاسُ شَاعِرَةٍ لَهَا أَنْفَاسُ وَحْيِ الشَّاعِرِ

الزهر الناعس

يَا زَهْرُ مَا لَكَ لَا تُحِيبُ بِالْعِطْرِ رُوحًا مَا ابْتَعَدَ
قَدْ نَمَتْ عَنْ رُوحِي الْحَبِيبُ مَا النَّوْمُ عَنْ حُبِّي رَشَدَ
يَا زَهْرُ هَلْ يُغْنِي الْخِيَالَ عَنْ نَفْحِ عِطْرِ سَاجِرِ
يَا زَهْرُ هَلْ يَذْرِي الْجَمَالَ إِلَّا فُوَادُ الشُّاعِرِ
فِيمَ النَّعَاسِ أَيَا حَبِيبِي وَالْقَلْبُ يَرْقُبُ يَقْطُتْكَ

هَلْ صِرْتُ عِنْدَكَ كَالْغَرِيبِ
غَيْرِي يَشْمُكَ ثُمَّ يُلْقِي
أَمَّا أَنَا فَيَصُونُ شَوْقِي
مَا لِي ظَمِئْتُ وَقَدْ سَقِيتُ
مَا لِي فَنِيتُ وَقَدْ حَيَّيْتُ
أَوْكُلُ هَذَا مِنْ سُلُوكِ
عَطِرٌ وَلَوْ مِنْ حُنُوكِ
أَمْ شَاقَّ غَيْرِي مُهَجَّتَكَ
بِكَ نَاسِيًا حَتَّى الْجَمِيلِ
لَكَ كُلُّ مَعْنَاكَ الْجَمِيلِ
مَا لِي اُكْتَأَبْتُ بِنَشْوَتِي
مَا لِي أَخَاصِمُ نِعَمَتِي
يَا نَائِمًا عَنِّي هَنِيئًا
لَوْلَاهُمَا مَا كُنْتُ شَيْئًا

الجمال العرَبيد

الآن يَا قَلْبَ الْخَلِيِّ
الْحُبُّ يَفْتَحُ الْحُصُوكَ
حَاكِيَ الْخَلِيِّ بِهَا الشَّجِي
فِي مَعْبِدِ الْحَرْبِ فِي
حَرْبِ الْغَرَامِ وَفِي الْهَوَا
ثَارَتْ وَقَدْ أَخْفَى السُّكُوكَ
لَمْ أَدْرِ كَيْفَ دَخَلْتُ هَذَا الْ
فَكَأَنِّي طِفْلٌ شَرِيبٌ
حَتَّى إِذَا عَايَنْتُهُ
يَلْقَى السَّلَامَ مَعَ الْقِتَا
الآن تَلْقَى الْمُعْجَزَةَ
نَ بَرُوجِهِ الْمُتَحَفِّزَةَ
كِلَاهُمَا مُسْتَسْلِمٌ
أَجَوَائِهِ لَا تَرْجِمُ
عَوَاصِفُ كَتَرَقِيبِي
نُ هُبُوبُهَا وَتَهْيِيبِي
مَعْبِدَ الْحُرِّ الْكَرِيمِ
حَدُّ أَرْشَدَتُهُ يَدُ النَّعِيمِ
كُنْتُ الشَّهِيدَ بِسَاحِهِ
لِ وَيَشْتَفِي بِجِرَاحِهِ

* * *

قَالَتْ حَبِيبِي مَرْحَبًا
مَا لِي سَوَى هَذِي التَّحِيَّةِ
فَلَنَمُتْهَا وَلَنَمُتْهَا
وَجَعَلْتُ لِلْقُبُلَاتِ أَصْ
وَكَذَلِكَ الْأَرْوَاحُ كَالْ
وَكَذَلِكَ الْأَنْفَاسُ كَالْ
قَبْلَتْهَا مِنْ كُلِّ قَلْبٍ
أَهْلًا وَأَهْلًا يَا حَبِيبِي
ةٍ مِنْ حَبِيبٍ لِلْحَبِيبِ
وَضَمَمْتُهَا ضَمَّ الْمَرْوَعِ
دَاءَ التَّحِيَّةِ وَالْوُلُوعِ
أَجْسَامِ تَظْمَأً أَوْ تَجُوعِ
الْحَاظِ تَنْطِقُ بِالدُّمُوعِ
جِي فِي ابْتِسَامِ الْمُضْطَرِبِ

فَإِذَا التَّلَهُّفُ فِي السَّكِي
هَذَا النَّعِيمُ أَرَاهُ رَأً
فِيمَ التَّخَوُّفِ وَالْحَيَا
حُذْ يَا فُؤَادِي - لَا تَخَفْ -
عُمْرُ جَدِيدٌ يَا فُؤَا
قَبَلْتُهَا فَلَتَّمْتُ أَحَدَ
وَضَمَمْتُهَا فَضَمَمْتُ أَغْ
لَا الرُّوحُ تَشْبَعُ لَا وَلَا
نَهَمٌ عَلَى نَهَمٍ وَجُو
حَتَّى إِذَا سَقَطَ الرَّدَا
هُرَعِ الْهُوَى لِلْحُسْنِ يَحْ

* * *

مَا هَذِهِ الْأَضْوَاءُ وَالْ
أَكْذَا الْمُصَوِّرُ مِنْ سَمَا
مَا لِلتَّهْيِيبِ مَالِئًا
شَأْنُ الْمَعَايِدِ تَجْمَعُ الشَّيْ
فَتَبَسَّمَتْ وَتَنَهَّدَتْ
وَاسْتَسْلَمَتْ وَتَمَنَّعَتْ
فَرَكَعَتْ عَنْ بُعْدِ أَحْيِي
مِنْ كُلِّ إِحْسَاسٍ تَفِي
وَنَظَرْتُ ثُمَّ نَظَرْتُ لِلْ
فَرَأَيْتُ مَا مَعْنَى الْحَيَا
وَرَكَعْتُ عَنْ قُرْبِ لَأْسِ
فَرَأَيْتُهَا مُلِئَتْ بِأَحْ
أَرْزُو إِلَيْهَا ثُمَّ أَرْ
وَتَنَالَ جِسْمِي رِعْشَةً
رُوحَانٍ قَدْ خَلَقَا كَمَا

أَلْوَانٌ مِنْ رَبِّي الْكَرِيمِ
ءِ الْفَنِّ يَبْتَدِعُ النَّعِيمِ
لُبِّي وَقَلْبِي لَا يَهَابُ
حَ الْرَزِينَ إِلَى الشَّبَابِ
بِالنُّورِ وَالنَّارِ مَعَا
حَتَّى دَنَا مَا أَمْتَنَعَا
«أَفْرُدَيْتَ» السَّاجِرَةَ
ضُ بِهِ عُيُونِي الشَّاعِرَةَ
جِسْمِ الْبَدِيعِ الْمُسْتَحْيِ
ةَ فَمَا الْحَيَاةُ بِكُلِّ حَي
تَوَجِّي الْعُيُونَ النَّاعِسَاتِ
لَامِ الْغَرَامِ التَّائِهَاتِ
نُو خَاطِفًا أَسْرَارَهَا
وَكَاَنَّ جِسْمِي اشْتَارَهَا
خُلِقَ الضِّيَاءُ مَعَ الْحَرَارَةِ

يَتَمَازَجَانِ تَهَافُتًا وَكِلَاهُمَا قَدْ نَالَ ثَارَهُ
فِي كُلِّ حَالٍ كَيْفَمَا اعْدَ تَنَنَّا يَنَالَانِ الْخُلُودَ
فَإِذَا هُمَا افْتَرَقَا فَمَا هَذَا الْوُجُودُ مِنَ الْوُجُودِ

* * *

خُذْ يَا فُؤَادِي مَا اشْتَهَيْتُ
الآنَ فِي قَفْصِ الْغَرَا
هُوَ مَعْبُدٌ لَمْ يَذَرِهِ
فِيهِ الْفُتُونُ مَعَ الْفُتُو
دُنْيَا مِنَ الشَّغَفِ الطَّلِي
قَدْ بَاتَ يَحْرُسُهَا الزَّمَانُ
لَمْ أَرْضَ مَرْحَمَةً لَهَا
وَعَصَارَةُ الرُّوحِ الْحَبِي
أَنهَكْتُهَا إِنَّهَا ضَوْ
هَذِي مُنَاجَاةُ الْجُسُو
فَإِذَا الْجَمَالُ مُعْرِضٌ
وَإِذَا هُ مُبْتَسِمٌ لِمَا
وَالنُّورُ تَضْطَرِبُ الظَّلَا
كَقَوَامِهَا السَّاجِي عَلَى
فَسَأَلْتُهَا الْغُفْرَانَ وَالْ
لَكِنَّهَا كَانَتْ بَدُنْ
فَتَنَهَدَتْ وَاللَّيْلُ يَذْ
وَلِحَاطُهَا كَالنَّجْمِ تَنْ
فَإِذَا الْغَرِيبُ^{١٠} يَنَالُ مَلْ
وَإِذَا الْقَرِيبُ^{١١} غَذَا الْغَرِيبِ

سَتْ مِنَ الْجَمَالِ الشَّارِدِ
مَ بَدَا خِيَالُ الصَّائِدِ
إِلَّا الْهُوَاةُ الْمُلهَمُونَ
نَ حَبَّذَا هَذِي الْفُتُونُ
قَ وَمِنْ جُنُونِ الْعَابِدِينَ
نُ وَقَدْ وَفَى لِلْعَاشِقِينَ
أَبَدًا فِي الْعُنْفِ الْحَنَانُ
بِ يُجَلِّهَا هَذَا الْهُوَانُ
فِي تَبَتَّلَ فِي الصَّلَاةِ
مَ حَكَّتْ مُنَاجَاةَ الْإِلَهِ
وَأَنَا الْمُحِبُّ الْجَانِي
لَاقَاهُ مِنْ إِيْمَانِي
لُ بِهِ اضْطَرَّابُ الْعَاشِقِ
هَذَا الْفَرَّاشُ الْخَافِقِ
أَضْوَاءُ تَضْحَكُ مِنْ سُؤَالِي
يَا لِلْوَصَالِ وَلِلْخِيَالِ
نُو كَالْغَرِيبِ الزَّائِرِ
ظُرُّ فِي شُعُورِ الْحَائِرِ
عَبْنَا وَمَعْبَدْنَا مَعَا
بِ وَمَا وَعَى مَا قَدْ وَعَى

^{١٠} الليل.

^{١١} الشاعر.

وَإِذَا الْمَلَا حَةُ وَالْغَرَا
مُ خَيَالُ قَلْبِي الشَّاعِرِ
وَإِذَا الْوُجُودُ بِأَسْرِهِ
عَبَثُ الْإِلَهِ السَّاجِرِ

خلف الطبيعة

يَا مَنْ تَفَتَّشَ عَنْ جَمَالِ وَجُودِهَا
فِي وَحْيِ عَيْنَيْكَ الْجَمَالِ لِشَاعِرِ
حَدَّثْتَ عَنْ قَلْبِي حَدِيثَ غَرَامِهِ
مَنْ ذَا أَبَاحَ لَكَ الْوُصُولَ لِسِرِّهِ
النَّشْوََةُ الْكُبْرَى عَرَفْتَ نَعِيمَهَا
فَدْعِي التَّأَمُّلَ فِي هَوَايَ وَحَسْرَتِي
لَكَأَنِّي اسْتَوْدَعْتُ حَسْرَةَ خَالِقِي
فَلَوَاعِجَ الْقَلْقِ الدَّفِينِ تَحْفَنِي
وَأَطَارِحُ الْخَلَاقِ شِعْرَ عَوَاطِفِي
صُورَ الْوُجُودِ الْبَاسِمَاتِ قَصَائِدًا
فَرِحْتُ^{١٢} كَفَرَحَةِ طِفْلَتِي بِأَبَوْتِي
مَنْ ذَا الَّذِي يَدْرِي فَلَوْ فَقَدَ الْوَرَى
مَا ذَلِكَ الْقَلْقُ الْمُسَاوِرُ مُهْجَتِي
هُوَ فِي صَمِيمِ مَشَاعِرِي مُتَغَلِّغٌ
إِنْ تَبَحَّثِي خَلْفَ الْغُرُوبِ فَخَلَفَهُ
دُنْيَا احْتَوَتْهَا مُهْجَتِي وَلَرُبَّمَا
دُنْيَا تَمَلَّكَهَا الْجَمَالُ بِكُلِّ مَا
فِيهَا الْعَوَاصِفُ وَالْعَوَاصِفُ مَا لَهَا

حارسة الفن

(مُهَذَّاةٌ إِلَى السَّيِّدَةِ الْمُهَذَّبَةِ زَيْنَاتِ إِمَامِ فَهْمِي زَوْجَةِ الصَّدِيقِ الْعَزِيزِ حَسَنِ الْجَدَاوِيِّ).

^{١٢} صُورَ الْوُجُودِ.

مَنَابِعَ الْفَنِّ كَمْ نَاجَاكِ فَنَّا
وَزَعَتْ لَمْ يَحْظَ مَفْتُونٌ وَلَوْ أَمَلَا
حَتَّى أَمْتَلَتْ لِمَنْ رَاعَتْكَ حَارِسَةً
جَمَعَتْ فِي ظِلِّهَا الْمَمْدُودَ حَالِيَةً
قَدْ كِدْتُ أَفْقِدُ إِيمَانِي فَأَرْجِعْنِي
وَكَمْ بَخَلْتِ وَكَمْ أَفْنَاهُ جِرْمَانُ
فِي الْحُلْمِ مِنْكَ بِحَظٍّ فِيهِ غُنْيَانُ
لِلْفَنِّ فَأَبْتَعْتَ الْفَنَّا إِيحْسَانُ
وَقَلَّمَا جَمَعْتَ نَجْوَاكِ أَزْمَانُ
مِنْهَا إِلَى الرُّشْدِ إِحْسَانُ وَإِيْمَانُ

* * *

أَهْلًا بِجَنَّةٍ دُنْيَا أَنْتِ «زَيْنَتْهَا»
مَحْضَتُهُ الْوَدَّ عُمْرًا وَهُوَ يُكْسِبُنِي
أَرْخَصْتُ كُلَّ عَزِيزٍ فِي مَحَبَّتِهِ
مَا خِفْتُ يَوْمًا عَلَى نَجْوَاهُ مِنْ زَمَنِي
وَصَاحِبٌ هُوَ فِيهَا الْآنَ جَنَانُ
بِوُدِّهِ مَا اشْتَهَى فَنٌّ وَفَنَّا
فَمَثَلُهُ بِعَزِيزِ النَّفْسِ يَزْدَانُ
فَأَنْتِ دُنْيَا لَهُ بَلْ أَنْتِ أَكْوَانُ

* * *

لَمَّا رَأَيْتُكَ فِي الْأَمَالِ حَاكِمَةً
وَأَنْتِ فِي حُسْنِكَ الْعُلُويِّ ظَافِرَةٌ
رَوْحٌ وَفِيٍّ وَمُلْكٌ مِنْ مَحَبَّتِهِ
وَطِفْلَةٌ كَرْبِيعِ الْحُبِّ فِي مَرَحٍ
عَرَفْتُ كَيْفَ تَصُونُ الْفَنَّ حَارِسَةً
وَحَوْلِكَ الْحُبُّ أَلْحَانٌ وَالْوَأْنُ
بِكُلِّ مَا يَشْتَهِي فِي الْخُلْدِ إِنْسَانُ
وَمَرْبَأٌ بِجَمَالِ الصَّفْوِ فِتْنَانُ
وَوَجْهَهَا بِمَعَانِي النُّورِ ضَحْيَانُ
وَأَيْنَ يَرُوي حَنِينَ الرُّوحِ ظَمَانُ

معابد الحب

مَعَابِدَ الْحُبِّ إِنِّي الْهَائِمُ الصَّادِي
لَمْ تَلَقِ رُوحِي صَفِيًّا تَسْتَضِيءُ بِهِ
لَقِيتُهَا وَكَأَنِّي مَا لَقِيتُ سِوَى
جَعَلْتُ كُلَّ صَلَاتِي فِي عِبَادَتِهَا
أَهِيْمُ مَا بَيْنَ أَبَادٍ وَأَبَادٍ
إِلَّا صَفِيَّةٌ أَحْلَامِي وَإِنْشَادِي
حُلْمٌ مِنَ الْوَهْمِ لَا خَافٍ وَلَا بَادٍ
وَإِنْ تَنَهَيْتُ صَلَاتِي بَيْنَ عِبَادٍ

* * *

مَعَابِدَ الْحُبِّ رُوحِي لَا حُدُودَ لَهَا
وَحَدَّثْتُ كُلَّ مُنَاجَاتِي وَإِنْ نُشِرَتْ
فَسَامِحِينِي عَلَى دِينِ أَهِيْمُ بِهِ
فِي كُلِّ رُكْنٍ عَزِيزٍ مِنْكَ إِيمَانِي
عَلَى الْجَمَالِ بِأَزْمَانٍ وَأَزْمَانٍ
وَهَيِّئِي لِي رَجَاءً عِنْدَ دِيَانِي

وَمَا ضَحِيَّةَ رُوحِي عِنْدَ سَاحَتِهِ إِلَّا تَبَارِيحُ وَجْدَانِي وَالْحَانِي

* * *

مَعَابِدَ الْحُبِّ مَا لِلْحُبِّ مُضْطَهَدًا وَحَاذِرُوا مِنْ زَمَانٍ جِدَّ هَيَّابٍ
تَحَجَّبُوا وَهُمْ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا لَكِنَّهَا بَيْنَ نِيرَانٍ وَإِرْهَابٍ
عُلُوِيَّةٌ أَنْتَ كَالْجَنَاتِ قَدْ خُبِنَتْ وَنَشْتَفِي بِمَزِيحِ الشَّهْدِ وَالصَّابِ
نَمْشِي إِلَيْهَا عَلَى الْأَسْيَافِ قَاطِعَةً

* * *

مَعَابِدَ الْحُبِّ مَا لِي كُلَّمَا ظَفِرْتُ مَا لِي أَرَى الْحُلْمَ يُوحَى يَقْظَتِي فَإِذَا
لَهُ الْحَيَاةُ فَلَا أَجْنِي سِوَى أَلْمِي رُوحِي لَدَيْكَ كَمَنْبُودٍ وَمُتَّهِمٍ
بِنَقْظَتِي مِنْ مَعَانِي الْيَاسِ فِي الْحُلْمِ

الفنان

أَمَانًا أَيُّهَا الْحُبُّ أَتَيْتُ إِلَيْكَ مُشْتَفِيًا
تَصِيحُ بِلَفْظِهَا النَّارِ كَأَنِّي مَطْمَحُ النَّارِ
فَأَنْتَ مَلِيكَ أَنْفَاسِي تُحَارِبُ كُلَّ إِحْسَاسِي
فَرَارَ الْمُذْنِبِ النَّائِرِ بِجَيْشِ حَانِقٍ زَاخِرٍ
وَأَنْتَ السَّيِّدُ النَّاهِي لَكَ فَاتُوا رَحْمَةَ اللَّهِ
بِهَيْكَلِ الْمُنَادِينِ وَأَنْ عَادُوكَ لِلدِّينِ
أَمَانًا أَيُّهَا النَّاوي خَلَّتْ وَنَأَتْ عَنِ الرُّقْبَا
وَهَذَا الدَّهْرُ يَتْبَعُنِي أَذْنِبِي أَنْبِي تَبَعُ
وَأَنَّ الْخُلُقَ مُذْ جَحَدُوا فَمَا لِلنَّاسِ مِنْ دِينٍ
عَبَّ بِلَ عَنْ رُوحِهَا الطَّرْقُ

وَلَكِنْ مِلُّوْهَا قَلَقُ
فَمَا لِحَوَاطِرِي الْحَيْرَى
وَمَا لِي أَشْهَدُ الْأَحْلَا
أَمَانًا هَذِهِ رُوحِي
خَلَقْتَ مِنْى سَمَاوَاتٍ
وَرُوحِي مِلُّوْهَا الْقَلَقُ
تَرُومُ الْيَوْمَ تَعْذِيبِي
مَ كَالْأَيَّامِ تُغْرِى بِي
وَجِسْمِي طَوْعُ مَا تَرْضَى
فَجَزْتُ بِمُهْجَتِي الْأَرْضَا

* * *

دَلَفْتُ إِلَى سَمَاءِ الْحُبِّ
وَقَدْ صَارَ الْهَجِيرُ بِهِ
دَلَفْتُ إِلَى مَفَاتِنِهَا
وَهَلْ يَعْصِي أُسِيرُ الْفَنِّ
وَمَا كَادَتْ مُنَايَ تَرَى
إِذَا بِمُنَى وَأَيِّ مُنَى
يَمُوجُ الْجَوُّ بِالْأَلْحَا
وَيَعْبُقُ مِنْ شَذَى «نَيْسَا
فَمَا لِلْجَوِّ مِثْلُ النَّفِّ
وَمَا لِلْحُبِّ ذَابَتْ فِيهِ
وَمَا لِي قَدْ طَرَحْتُ الْهَمَّ
تُذِيبُ حَرَارَةَ الْحُبِّ
فَهِيَ بِمَعْبَدِي الضَّاحِي
نَسِيمَ الرُّوحِ وَالرَّاحِ
وَكَمْ عُدَّتْ مُحَرَّمَةً
لَحْظًا بَاحٌ أَوْ شَفَةً
رَحَابَ الْحُسْنِ تَرْمُقُنِي
تَوَاتِينِي وَتَعَشُقُنِي
نَ وَهُوَ الصَّامِتُ النَّاطِقُ
نَ» مِثْلُ الطَّائِشِ الْعَاشِقِ
سِ إِيْمَانٌ وَأَحْلَامُ
— هِ الْآمُ وَالْآمُ
وَالْهَمُّ يُنَادِينِي
تُلُوجَ الْهَمِّ فِي لَيْنِ

* * *

تَأَمَّلْ أَيُّهَا الْقَلْبُ
مَفَاتِنُهَا قَدْ اجْتَمَعَتْ
صَلَاتُكَ مَا لَهَا حَدٌّ
تَسَاوَى الْحُرُّ وَالْعَبْدُ
تَأَمَّلْ أَيُّهَا الطَّائِشُ
لِمَاذَا أَنْتَ تَضْرِبُنِي
تَأَمَّلْ هَذِهِ الدُّنْيَا
وَكَادَتْ تَخْدَعُ الْأُخْرَى
فَصَلِّ وَنَاجْ مَنْ تَهْوَى
إِذَا عَبَدَا الْهَوَى مَعْنَى
تَأَمَّلْ لَا تَخَفْ غِبْنَا
وَقَدْ أَعْطَيْتُكَ الدُّنْيَا

* * *

وَلَمَّا أَقْبَلْتُ وَثَبْتُ
مَعَانِي الْحُبِّ مِنْ نَفْسِي

بِأَيِّ لُغَى أُحْيِيَهَا تَصَادَمَتِ الْعَوَاطِفُ وَالْـ
مَعَانِي مِنْ مَشَاعِرِهَا فَطَوَّقَ حُسْنُهَا الْغَالِي
عَزِيزًا شَوْقَ شَاعِرِهَا أَهَذَا الْحُسْنُ فِي كَنَفِي
وَكُلِّي عَبْدُهُ الطَّائِعُ مُنَحْتِ الْآنَ يَا شَغْفِي
فُتُونِ الْخَالِقِ الرَّائِعِ كَأَنِّي حِينَمَا عَانَقُ
حُتْهَا بِغَرَامِي الدَّافِقِ تَرَكْتُ مَعَالِمَ الدُّنْيَا
وَنَالَ مَشَاعِرِي الْخَالِقِ وَقَدْ أَدْرَى وَلَا أَدْرَى
سَنَاهَا فِي ذِرَاعِي سَنَاهَا نِعْمَةَ الدُّنْيَا
هَوَاهَا يُبْدِعُ الْحَيَا أَحَقًّا ثَلْتُ مَا فِي الْخُلْـ
دٍ مِنْ مَعْنَى وَإِحْسَاسِ فَيَا لِنَعِيمِي الْوَافِي
وَأِنْ شُرِّدْتُ فِي النَّاسِ يَدَيَّ يَدَيَّ لَا تَدْعَا
خُلُودَ سَعَادَتِي يَمْضِي سَمَاءَ الْحُبِّ صَافِيَةً
وَنَائِيَّةً عَنِ الْأَرْضِ وَمَنْ عَرَفَ «الْأَلْمَبَ» كَمَا
عَرَفْتُ وَذَاقَ نِعْمَاهُ أَبِي كُلَّ الْإِبَاءِ فِرَا
قَ رَبِّ قَدْ تَوَلَّاهُ

* * *

لَقَدْ أَخَضَعْتَنِي عَطْفًا تَرَفَّقْ أَيُّهَا الطَّائِعُ
وَعُدْتَ فَلَمْ أَعُدْ أَشْفَى نَأَيْتَ فَلَمْ أَكُنْ أَشْفَى
فَفِي الْحَرَمَانِ تَعْذِيبُ أَهْذِي غَايَةَ الْحُبِّ
فَتَعْذِيبُ فَتَطْطِيبُ وَفِي الْإِحْسَانِ تَطْطِيبُ
وَنَارِي كُلُّهَا نِعْمَى نَعِيمِي كُلُّهُ حَرَقُ
وَحَرْبِي تُضْمِرُ السَّلْمَا فَسَلِمِي يُضْمِرُ الْحَرْبَا
غَيْبًا أَقْتُلُ الْفِكْرَا فَمَا لِي لَمْ أَعِشْ غِرَا
وَأَذْفُنْ مُهْجَتِي الْحَيْرَى فَالْقَى الْحُبَّ مُبْتَسِمَا

* * *

وَهَذَا الصَّفْوُ يَشْمَلُنِي رَأَتْ حُزْنِي وَأَحْلَامِي
بِبَسْمَةِ رُوحِهَا الْفَنِّي فَرَدَّتْ كُلَّ آلَمِي

وَكُنَّا قَدْ هَزَمْنَا الْحَرَ
فَلَمْ نَلْبَسْ سِوَى الْأَشْوَا
وَنِمْنَا نَوْمَةَ الْحُبِّ
بِجِسْمٍ كُلُّهُ عَبَقُ
أَشْمُ عَبِيرِهَا الْفَنَّا
وَأَشْرَبُ هَذِهِ الْأَلْوَا
وَأَصْفَحُ عَنْ أَسَى الْمَاضِي
فَهَذِي نِعْمَةُ الْمَاضِي
أَطْلِي يَا حَيَاةَ الرُّو
شَرَابِي مِنْكَ أَضْوَاءُ
أَطْلِي وَانْظُرِي شَغْفِي
عِبَادَاتٍ خُصِّصْتُ بِهَا
وَلَكِنْ أَيْنَ نَظَرْتُهَا
يُظَلِّلُهَا حَنَانُ الْحُبِّ
وَعَابَتْ هَذِهِ النَّظَرَ
وَأَسْتَوْجِي مَعَانِيَهَا
وَأَسْمَعُ نَقَّةَ الْقَلْبِ
فَيُذِرْكُ نَهْدَهَا طَرَبِي
فَلَمَّا نَلْتُ مَعْنَاهَا
جَعَلْتُ الشُّعْرَ مَبْنَاهَا

وَالْحَرُّ يُعَادِينَا
قِ فَالْأَشْوَا تُغْنِينَا
وَعِطْرُ الْحُبِّ فَيَّاحُ
وَرُوحُ دُونِهَا الرَّاحُ
نَ فِي سُكْرِ يُحَيِّرُنِي
نَ مِنْ نُورٍ يُدَاعِبُنِي
وَإِنْ ضَحَى مَسْرَاتِي
أَتَتْ فِي نِعْمَةِ الْآتِي
حَ فِي عَيْنِي تُحْيِينِي
وَقَوَّتِي أَنْ تَنَاجِينِي
تَرَى مَعْنَى عِبَادَاتِي
وَفِي عَيْنِي مِرَاتِي
وَقَدْ هَامَتْ بِأَحْلَامِ
مِنْ مَلَكُوتِهِ السَّامِي
تُ خَلَفَ الْغَيْبِ فِي الرَّبِّ
كَأَنِّي نَاطِرُ رَبِّي
لَأَعْرِفَ سِرَّهُ بِدَمِي
وَيَخْفِقُ سَاكِراً بِفَمِي
وَنَالَتْ كُلُّ مَا أَعْنِي
وَعَانَقَ فَنَاهَا فَنِي

السكوت

مَا لِلْسُّكُوتِ يَطِيبُ عَنْهُ
كَالْفَجْرِ لِلنَّهْرِ الْجَمِيعِ
مَا بَالُ ثَوْرَةِ نَفْسِكَ الظَّمِّ
أَتَعَبْتُ رَاحَتِكَ الْعَزِيبِ
وَأَظَلُّ أَعْشَقُ شِعْرِكَ الْآ
دَكَ هَلْ سُكُوتُكَ مِنْ صَلَاتِكَ
لِ إِذَا تَبَسَّمَ عَنْ صَفَاتِكَ
أَيُّ بِصَمْتِكَ لَمْ تَوَاتِكَ
زَرَّةٌ بِالتَّحَدُّثِ عَنْ حَيَاتِكَ
غَرِيدُ عَشْقِي لُطْفُ ذَاتِكَ

وَبَنَاتُ وَحْيِكَ لَنْ أَمَلَّ
شَعْرُ تَغْنِيَةِ الْحُرِّ
وَتُرْدُّ الْمُهْجِ الرَّقِيءِ
فَعَلَامَ جِرْمَانِي وَفِي الْـ
رُوحِ كَرُوحِكَ لَنْ تَجِفَّ
وَالْقَنْ خَصْمٌ لِلْقَنَا
ارْحَلْ وَدَعْنَا يَا سَكُوءَ
حَدِيثَهُنَّ بِمُعْجَزَاتِكَ
فَ فَكُنْ بَيْنَ مُغْنِيَاتِكَ
قَعْلَ لَحْنَهُنَّ بِمُسْكِرَاتِكَ
جِرْمَانِ قَسْوَةَ كُلِّ فَاتِكَ
لَهَا مَنَاهِلُ أَغْنِيَاتِكَ
عَةِ وَالسَّمَاحَةِ مِنْ لِدَاتِكَ
تُ فَلَيْسَ فَنِّي مِنْ هَوَاتِكَ

الأحدب

(مشهد من الأسطورة المكسيكية «الحنطة الثائرة».)



الأحدب.

فِي قَدِيمِ الْآبَادِ غَرَّدَتِ الْأَرْضُ بِلَحْنِ الْمَحَبَّةِ الْقُدْسِيِّ

لَمْ يَكُنْ أَهْلُهَا سِوَى كُلِّ مَحْبُوبٍ سَعِيدٍ وَكُلِّ قَلْبٍ وَفِي
فَاسْتَوَى الْأَحْدَبُ الْخَبِيثُ عَلَى الْعَرْشِ كَثِيبًا بِمُلْكِهِ السُّفْلِي
حَائِرًا لَا يَرَى سَبِيلًا إِلَى الثَّأْرِ بَيْنَ النَّاسِ وَالْوُجُودِ الْهَنِي

* * *

اسْتَوَى الْأَحْدَبُ الْمُرَوَّعُ كَالْقَرْدِ وَأَوْفَى بِرُوحِهِ إِبْلِيسُ
فَوْقَ صَخْرٍ كَقَلْبِهِ اخْضَرَ كَالْمَاءِ إِذَا نَالَهُ النَّبَاتُ الْحَبِيسُ
مَشْهُدٌ لِلتَّنَاقُضِ الْجَمِّ مَنْ فَنُّ عَجِيبٍ فِيهِ النَّفِيسُ الْخَسِيسُ
وَتَرَاءَى الْأَصْبَاغُ فِي جَوْهِ الْقَاسِي كَمَا يُجْتَلَى النُّحَاسُ الرَّسِيسُ^{١٣}

* * *

أَيُّ دُنْيَا هَذِي مِنَ الصَّخْرِ وَالْمَعْدِنِ وَالطُّحْلِبِ الَّذِي سَاءَ لَوْنَا
أَيُّ مَرَأَى هَذَا الَّذِي يَجْعَلُ الْفَنَّاَنَ يَهُوَى وَيَكْرِهُ الْفَنَّ عَيْنَا
أَيُّ سُوءٍ يَطْلُ مِنْ هَذِهِ اللَّوْحَةِ لِلْفَنِّ إِنْ تَمَثَّلَ مَعْنَى
أَيُّ رَمَزٍ وَأَيُّ نُطْقٍ وَإِفْصَاحٍ وَهَوْلٍ وَوَحْشَةٍ تَتَجَنَّى

* * *

جَلَسَ الْأَحْدَبُ الْمُرَوَّعُ حَيْرَانَ وَمِنْ حَوْلِهِ الطُّيُورُ الْكَوَاسِرُ
فِي نِظَامِ الْحُرَاسِ حَوْلَ زَعِيمٍ وَجْهُهُ صُورَةُ الرَّدَى وَالْمَخَاطِرُ
وَتَرَاءَى الطُّيُورُ أَنْفُسَهَا لَوْنًا مِنَ الشَّرِّ سَاكِنًا وَهُوَ طَائِرُ
فِي سَوَادِ الْجِلْبَابِ وَالْمِعْطَفِ الْأَبْيَضِ كَاللَّيْلِ مُقْحِمًا نُورَ ثَائِرُ

* * *

مَشْهُدٌ دَاعِبَتْهُ رُوحٌ مِنَ السَّحْرِ فَأَوْحَى بِرُوحِهِ الْأَثَرِيَّ
وَتَجَلَّى الْبُخُورُ فِيهِ ضَحَايَا فِي دُخَانٍ يُصَاغُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ
وَعَجِيبُ النُّقُوشِ وَالنَّحْتِ فِي الصَّخْرِ تَهَاوِيلُ لِلزَّمَانِ الْعَتِيِّ
هُوَ مَرَأَى أَحَارٌ مِنْ نَظَرَتِي فِيهِ أَفِيهِ غَبَاوَةُ الْعَبْقَرِيِّ

^{١٣} الرئيس: الأثري الصدي.

* * *

صَاحَ: «يَا عَبْدُ خُذْ إِلَى ظَاهِرِ الْأَرْضِ حَرِيصًا رُسْلًا لَنَا أَوْفِيَاءَ»
خُذْ لَهَا ذَلِكَ «التَّحَاسُدَ» وَ«الْأَثَرَةَ» وَ«الْمَكْرَ» وَ«الدَّنَا» وَ«الرِّيَاءَ»
قَالَ هَذَا لَهُ وَقَدْ رَكَعَ الْعَبْدُ وَلَاءَ وَالطَّيْرُ أَصْغَى وَلَاءَ
وَهُوَ فِي فَرْحَةٍ بِمَا بَثَّ فِي الْأَرْضِ مِنَ الرُّسْلِ كَيْ تُعَانِيَ الشَّقَاءَ

بين المروج (عبادة الحزن)

وَتُطِلُّ فِي غَيْبِي وَفِي أَحْلَامِي
خَمْرًا مِنَ الْأَنْعَامِ وَالْأَلَامِ
بِالْفَنِّ تُسَكِّرُ رِيشَةَ الرَّسَامِ
بِالْحُبِّ حِينَ سِقَامُهَا كَسَقَامِي
أَحْنُو بِكَاسِ هَوَى وَكَاسِ مُدَامِ
وَمَنَاحَةَ الْمَفْقُودِ مِنْ أَيَّامِي
بِدَمِي وَأُودِعَ فِي فُؤَادِي الدَّامِي
فَسَقَطْتُ فِي كَنَفِ الْمُرُوجِ أَمَامِي
مِنْهَا وَكَانَ سَلَامُهَا لِسَلَامِي
أَوْ أَنَّ شِعْرِي غَيْرُ رُوحِ هَيَامِي
وَعَوَاصِفِ مِنْ قَسْوَةِ الْأَيَّامِ
وَتُمِيتُ كُلَّ رَجَائِي الْبَسَامِ
أَجْفَلْتُ نَمَّ قَصَدْتُ كَهْفَ ظَلَامِي
فَنَّا مِنَ الْإِبْدَاعِ وَالْإِلْهَامِ
قَلِقًا أُفْتَشُ عَالَمِي الْمُتَرَامِي
وَالصَّمْتُ بَعْضُ عِبَادَةِ الْمُتَسَامِي
حَرَقِي وَإِنَّ زُكُودَهُ لِحُطَامِي

جَلَسْتُ تُفَكِّرُ فِي خَيَالِ غَرَامِي
وَتَعْبُ مِنْ شِعْرِي وَوَحْيِ صَبَابَتِي
فَتَهْزُهَا مِثْلِي وَتُسَكِّرُهَا كَمَا
تَاهَتْ بِدُنْيَا الْحُبِّ فَهِيَ غَنِيَّةٌ
وَتَخَيَّلَنِي عَاطِفًا وَمُوَاسِيًا
حَتَّى إِذَا مَا قَدْ ذَكَرْتُ شَقَاوَتِي
وَعَرَامِي الْمَاضِي الَّذِي كَفَّنْتُهُ
غَلَبَتْ عَلَيَّ مِنَ الشَّجُونِ عَوَاصِفُ
وَالْتَعْتُ حَتَّى لَمْ أَرُدَّ تَحِيَّةً
فَتَوَهَّمْتُ أَنِّي نَسِيتُ وَدَادَهَا
وَالْحُبُّ يَعْلَمُ أَنَّي فِي غَمْرَةٍ
أَحْيَا بِأَشْجَانِ تُمِيدُ رَوَاسِيًا
فَإِذَا فَرَزْتُ إِلَى الضِّيَاءِ هُنَيْهَةً
وَعَرَفْتُ عَنْ طِيبِ الْمُرُوجِ وَإِنْ تَكُنْ
وَسَكَنْتُ لِلنَّفْسِ الْحَزِينَةِ جَانِبًا
فَأَعْبُ كَأْسَ الْحُزْنِ وَخِدي صَامِتًا
وَأَصُونُ عَنْهَا الْحُزْنَ إِنْ شُبُوبُهُ

مدام بترفلاي

(نظمها الشاعر ارتجالاً على أثر إحدى مشاهداته لهذه الأوبرا المشجية.)

دَمْعِي «مَدَامُ بَنَزَفَلَايَ» دَمِي «مَدَامُ بَنَزَفَلَايَ»
خُلِقَا لِمِثْلِ عَذَابِكَ الْقَاسِي وَمَا لَهُمَا سِوَايَ
أَبْصَرْتُ مَصْرَعَكَ الْمَكْرَرَ كَالْمَاسِي فِي نُهَائِي
حِينًا تُصَوِّرُ فِي الْحُبُورِ وَكُلُّ مَا فِيهِ أَسَايَ
وَتُشَامُ فِي السَّقَمِ الْمُبْرِحِ مُسْتَسْرًا فِي حَشَائِي
يَا خُلُوةَ الرُّوحِ الْحَبِيبِ شَجِي ذِكْرَاكَ غِنَائِي
مَا لِي أَرْوَمُكَ فِي الْمَشَاهِدِ وَالْعَوَاطِفِ مُقْلَتَائِي
وَتَعْبُ رُوحِي مِنْ عَذَابِكَ مَا يَنْوُءُ بِهِ حَجَائِي
أَكْذَا الْغِنَى لِلنَّفْسِ الْآمِي أَهَذَا مُبْتَغَائِي
أَعَذَابُ رُوحِي طَهْرُهَا الْمُبْقِي عَلَيْهَا أَمْ فَنَائِي
أَفْدِيكَ لِلذِّكْرِ فَهَذَا شِعْرُ تَقْطِيعِي فِدَائِي
يَا لِلْسَّذَاجَةِ وَالْحَنَانِ تَبَدَّدَا كَشَدَى هَوَائِي
يَا لِلضَّحِيَّةِ لِلْحَيَاةِ نِدَاؤُهَا أَبَدًا نِدَائِي
خَدَعْتُكَ أَطْيَافُ الرَّبِيعِ وَكَمْ حَسِبْتُ بِهَا نِدَائِي
وَالْحُبُّ يَلْعَبُ مَارَحًا مَرَحَ الصَّبَاةِ فِي بُكَائِي
وَالطَّيْرُ يَبْنِي عُشَّهُ كِبَاءً وَهَمِي فِي صَبَائِي
وَالْغَيْبُ يُخْفِي سِرَّهُ كَالْبَشْرِ إِنْ أَخْفَى عِدَائِي
خَدَعْتُكَ فِي شَتَّى مَرَاثِيهَا وَكَمْ خَدَعْتُ رَجَائِي
فَفَقَدْتُ كُلَّ مُؤَمِّلٍ وَلَفِظْتُ رُوحَكَ فِي مُنَائِي
فَإِذَا الضَّحِيَّةُ مُنْتَهَاكَ وَلِلضَّحِيَّةِ مُنْتَهَائِي

البأس الساحر

أَنَا لَا أُخَادِعُ أُمَّتِي بِنَصِيحَتِي
مَنْ ذَا يُسَخِّرُ مُهْجَتِي وَعَوَاطِفِي
وَطَنِي الْعَزِيزَ بَكَيْتُ حَظَّكَ حِينَمَا
تَخَذُوا التَّنَائِدَ دَيْدَنَا وَتَفَرَّقُوا
مَا كُنْتُ مَأْجُورًا وَلَسْتُ بِأَجْرٍ
لِهَوَاهُ أَوْ يَلْهُو بِرُوحِ الشَّاعِرِ
خَذَلَ الْبُنُونَ مُنَاكَ خَذَلَ الْفَاجِرِ
جَرَحَى التَّخَاذُلِ تَحْتَ جَيْشِ ظَافِرِ

عَنِمْوَا إِذَا اقْتَسَمُوا هَوَانَ الْخَاسِرِ
أَنَّ التَّنَاحَرَ مَأْرَبٌ لِلنَّاحِرِ
هُوَ سَاحِرٌ مِنْكُمْ وَأَعَجِبْ سَاحِرِ
لَكُمْوَا فَإِنَّ الْحَزْمَ أَبْلَغُ سَاحِرِ
جَمُّ الْبُطُولَةِ مُسْتَقِلُّ الْخَاطِرِ
بِعَوَامِلِ التَّفْرِيقِ ضَرْبَةٌ قَادِرِ
غَيْرُ الْقَوِيِّ يُعِيدُ حَظَّ الْعَاثِرِ
حِينَ التَّعَاوُنِ قَاهِرٌ لِلْقَاهِرِ

وَتَفَادَفُوا تَهُمَ الْهَوَانَ كَأَنَّمَا
مَنْ مُبْلَغٌ أَحْدَانَهُمْ وَشُيُوخَهُمْ
تَمْضُونَ أَنْتُمْ كَالضَّحَايَا بَيْنَمَا
لَوْلَا تَنَابُذُكُمْ لَأَدْعَنَ بَأْسُهُ
وَالآنَ يَا وَطَنِي الذَّلِيلَ أَلَا فَتَى
يَقْضِي عَلَى هَذَا التَّنَابُذِ ضَارِبًا
فَيُعِيدُ مَجْدَكَ وَهُوَ مَجْدُهُمْوَا فَمَا
إِنَّا بِعَصْرِ لِلتَّعَاوُنِ وَحْدَهُ

سماسرة الهوان

أَشْجَى كَمَا يُشْجَى الْعِمَامُ بِمَوْطِنِي
صُورُ الْحِدَادِ لِمَحْزَنٍ وَلِمَحْزَنٍ
فِي شُعْلَةِ الْحَقْدِ الْمُدْمِرِ لَا يَنِي
وَهُمُ الْجُنَاةُ وَإِنْ عُدَّتْ الْمُجْتَنِي
الْمَجْدُ أَنْ يُؤْذِيَ أَخَاهُ بِمَطْعِنٍ
وَإِذَا التَّنَابُذُ مِثْلُ دَاءٍ مُزْمِنٍ
هَذَا الْهَوَانُ يَنَالُ عِزَّةَ مَوْطِنِي

مَا لِي وَأَطْيَافُ الرَّبِيعِ تَشُوقُنِي
فَيَجِيءُ حَتَّى فِي الرَّبِيعِ كَأَنَّهُ
وَطَنِي نَكَبْتَ بِكُلِّ غِرٍّ نَافِخٍ
يَتَظَاهَرُونَ وَأَنْتَ وَحْدَكَ غَارِمٌ
كُلُّ يُحَقِّرُ نَدَهُ وَكَأَنَّمَا
فَإِذَا التَّعَاوُنُ سَبَّةٌ وَجَرِيرَةٌ
لَوْلَا سَمَاسِرَةُ الْهَوَانِ لَمَا غَدَا

هدأة الصيف

قَلَقُ الْعَوَاطِفِ بَلْ تَنَامُ هَنِيئًا
فَإِذَا تَبَاطَأَ لَا تَرَاهُ بَطِيئًا
قَدْ طَوَّقَتْ هَذَا الْوُجُودَ مَرَارًا
وَيُصَاحِبُ الْأَنْدَاءَ وَالْأَزْهَارًا
يَسْتَوْعِبُ الدُّنْيَا الْمُنَوَّعَةَ الصُّورِ
فَقَوَادُهُ لَحَظَ الْجَمَالَ وَإِنْ سَتَرَ
هَلْ جَفَّ هَذَا النَّبْعُ إِثْرَ الصَّيْفِ
حَدٌّ وَصَمْتُكَ فِيهِ مَعْنَى الْعُطْفِ

مَا بَالُ هَذَا الصَّيْفِ يَهْدَأُ عِنْدَهُ
وَأَنَا الَّذِي إِحْسَاسُهُ مُتَوَتَّبٌ
أَيْنَ الْهُدُوءِ لِشَاعِرِ أَحْلَامِهِ
فَيَتَابِعُ الْأَجْرَامَ فِي حَرَكَاتِهَا
عَرَفَ الْجَلِيلَ مَعَ الْحَقِيرِ فَلَمْ يَزَلْ
فَتَرَاهُ يَلْقَى الصَّيْفَ مِثْلَ رَبِيعِهِ
يَا نَبْعَ وَحْيِ كُلُّهُ طَرْفُ الْهَوَى
حَاشَاهُ هَذَا النَّبْعُ إِيمَانٌ بِلَا

الدنيا المريضة

يَا لَيْتَ طَوَّعَ يَدَيِ الشِّفَاءِ فَإِنَّمَا
الْمَمِي لِهَمٍّ فِي فُؤَادِكَ ثَائِرٍ
أَتَتَاوَلُ الْحَسَرَاتِ كَأْسُ مَدَامَتِي
وَأَوْدُ لَوْ أَنِّي أَصُونُكَ عَنْ أَسَى
لَوْ أَنَّهَا قَدَرْتُ شُعُورَكَ هَبَّاتٍ
رُوحُ كَرُوجِكَ كُلُّهُ لُطْفُ النُّهَى
لَا أَنْ يُعَذِّبَ فِي عَوَاطِفِهِ بِمَا

أَوَّلَى بِإِسْعَادِ الْجَمَالِ الطَّبُّ
أَلَمْ الضَّعِيفِ سَلَا دُعَاهُ الرَّبُّ
وَالْحَطُّ يَخْطُو عَاثِرًا وَيَدِبُّ
دُنْيَايَ فَهِيَ دُنَى أَبَاهَا الْحُبُّ
لَكَ فِي السَّعَادَةِ مَا تَحَيَّلَ صَبُّ
أَوَّلَى بِهِ مَا يَسْتَهْيِيهِ مُجِبُّ
يَلْقَاهُ مِنْ دُنْيَا جَفَاها الطَّبُّ

الناسي

نَسِيتَ وَجْدِي وَكَمْ أُنْسِيتَ يَا قَاسِي
يَا رَاحِلًا عَاثِدًا مَرَضَاهُ كَالْأَسِي
مَا بَالُ قَلْبِي هُوَ الْمَنْسِي فِي النَّاسِ
رَعَمْتَ أَنِّي الَّذِي يَسْلُوكُ فِي بُعْدِكَ
كَيْفَ السُّلُوكُ وَرُوحِي مِنْ جَنَى شَهْدِكَ
فَقَدْ شَرَحَتْ مَعَانِي الْحُبِّ فِي عَهْدِكَ
يَنْسَاكَ مَنْ كَانَ يَنْسَى حُسْنَكَ الْأَسْرَ
حُسْنُ مَنْ النُّورِ يَغْزُو فَتُهُ الزَّائِرُ
أَهْلَ الْحَيَاةِ فَيُخَيِّبُهُمْ لِأَجْيَالِ
فَإِنْ رُوحَكَ كَالْإِلْهَامِ لِلْسَّاحِرِ

الإعصار العاتية

بعث الشاعر اللبناني المجدد إلياس قنصل بمخطوط شعره إلى صاحب هذا الديوان لكتابة مقدمة له؛ فأرسل إليه التحية الآتية بعد اطلاعه على ذلك الشعر:

أَلْخُلْدُ يَا ابْنَ عَزِيزِ الْخَيَالِ
جَدِيرٌ بِشِعْرِكَ وَحْيِ الْجَمَالِ
تَطُوفُ عَلَى الْقِمَمِ الْعَالِيَةِ
بِأَوْصَافِكَ الْحُرَّةِ الْأَبِيَةِ

وَمَا فِيهِ مِنْ ثَوْرَةٍ لِلْمُحَالِ
لَنْ جَمَحَتْ فَجْمُوحُ الْمَعَالِي
غِنَاءٌ يَفِيضُ بِسِحْرِ اللَّيَالِي
فَمَنْ كَانَ يُنْشِدُهُ لَا يُبَالِي
وَمَا الشُّعْرُ إِلَّا عَزِيزُ ابْتِهَالِ
وَمِنْ وَثْبٍ إِعْصَارِكَ الْعَاتِيَةِ
وَإِنْ هَدَأَتْ فَالْمُنَى الرَّاضِيَةِ
وَفَلَسَفَةُ الْأَنْجُمِ الرَّائِيَةِ
بِدُنْيَا الْوَرَى وَالْمُنَى الْفَانِيَةِ
وَرُوحًا مِنَ الشُّعْلَةِ الْبَاقِيَةِ

المعبد المعتزل

(جلسة مسائية في متحف فني للتصوير وقد اجتمعت فيه أضواء فنية ساحرة.)

وَمَعْبَدٌ مِنْ مَعَانِي الْخُلْدِ مُعْتَزِل
الضُّوءُ فِيهِ أَمَانِيٌّ مُنَوَّعٌ
جَلَسْتُ فِيهِ وَحَوْلِي مِنْ نَمَاذِجِهِ
تَمَثَّلَتْ صُورًا هَيْهَاتَ يَجْحَدُهَا
سِحْرٌ مِنَ الْقَبَسِ الْعَالِي تَطُوفُ بِهِ
كَأَنَّهُ جَالِسٌ يُصْغِي وَيَرْسُمُ مَا
هَلْ هَذِهِ صِبْغَةُ الرَّحْمَنِ خَالِقِنَا
هَذِي الطَّبِيعَةُ جَاءَتْنَا مُجَمَّعَةٌ
وَحِينَمَا قَدَسَتْ أَرْوَاحُنَا مَثَلًا
وَقَدْ لَتَمْنَا يَدَ الرَّحْمَنِ نَاقِشَةً
قَدْ أَطْلَعَ الْفَنُّ فِيهِ كُلَّ إِعْجَازٍ
مِنْ كُلِّ لَوْنٍ خَفِيَ الرُّوحُ نَهَازٍ
رُوحُ الطَّبِيعَةِ فِي تَعْبِيرِهَا الْغَالِي
حَتَّى الْخَلْقِيُّ فَمَا فِي الْفَنِّ مِنْ خَالِي
مِنْ مُهْجَةِ الْخَالِقِ الْوَهَّابِ أَشْعَارُ
فِيهِ الْحَيَاةُ وَفِيهِ الْمَوْتُ وَالنَّارُ
جَادَتْ لَنَا بِجَمَالِ الْكُؤْنِ شَفَافًا
وَجَادَبَتْنَا تَهَاوِيلًا وَأَطْيَافًا
مِنْهَا عَبَدْنَا الَّذِي نَاجَى أَمَانِينَا
هَذِي الْحَيَاةُ خُلُودًا شَاقٌ أَوْ دِينًا

قصيدتي الكبرى

أَنَا لَا أَلُومُ الْغَافِلِينَ إِذَا أَبَوْا
هَلْ يُدْرِكُونَ قَصِيدَةً لِعَوَاطِفِي
أَحْيَا لِعِغْرِي وَالذَّقَائِقُ مِلْؤُهَا
فَقَصِيدَتِي الْكُبْرَى حَيَاتِي كُلُّهَا
سَتَعِيشُ رُوحِي فِي جَدِيدٍ دَائِمٍ
شِعْرِي وَعَابُوا رَوْعَتِي وَرَوَاتِي
وَهُمُ الَّذِينَ أَبَوْا قَصِيدَ حَيَاتِي
نَغْمِي وَمِلْءُ دُمُوعِهَا أَبْيَاتِي
وَأَقْلُهَا شِعْرِي وَهُمْ غَدَاتِي
لِلشُّعْرِ ثُمَّ تَعِيشُ بَعْدَ مَمَاتِي

صُورًا مِّنَ الشَّعْرِ الْأَبْيِّ الْعَاتِي
جَدَّوَاهُ فِي الْمَاضِي وَوَحْيِ الْآتِي
— لِخُلُوصِهَا — الْمُعْبُودُ فِي صَلَوَاتِي
سَمِعَ مِنَ الْأَرْبَابِ وَالرَّبَّاتِ

وَمَنْ اسْتَطَابَ لَهُ الْوُجُودُ بَقَاءُهُ
هَيْهَاتَ يَأْبَهُ لِلصَّغِيرِ إِذَا أَبَى
إِنْ يَأْنِفِ الْعُبَادُ حَنًّا لِمُهْجَتِي
أَوْ لَمْ يُصِبْ نَعَمَ الصُّخُورِ فَحَسْبُهُ

أُمْنَا الْأَرْضِ

وَالَيْكَ مَرْجِعُ فَرْحَتِي وَأُنْبِي
وَأَقْبَلُ التُّرْبَ الَّذِي يُحْيِي
فَجَمِيعُهُ شَعْرُ إِزَاءِ حَنِينِي
وَالْغَرْسُ إِلَّا الشَّعْرُ مِلءَ رَنِينِي
وَأَنَا الْمَدِينُ لَهُ بِأَجْمَلِ دَيْنِ
وَتَطَايُرُ وَودَاعَةِ وَسُكُونِ
وَهُوَ الْمُوَحَّدُ فِيكَ غَيْرَ غَبِينِ
نَجْوَاكِ فَهِيَ مَفَاتِنِي وَفُنُونِي

أُمَاهُ إِنَّ لَدَيْكَ صَفَوْ حَنِينِي
الْقَاكِ فِي كَنْفِ السُّكُونِ عِبَادَةَ
وَأَرْوَحُ أَعَشَقُ كُلَّ مَا أَنْجَبْتُهُ
مَا النَّحْلُ مَا هَذِي الدَّوَا حُنَّ كُلُّهَا
شَعْرُ تُجَاوِبُهُ عَوَاطِفُ مُهْجَتِي
وَأَرَى الْأُلُوهَةَ فِيهِ بَيْنَ تَوْنِ
وَالنَّاسِ تَعَجَّبُ مِنْ تَوَزُّعِ خَاطِرِي
أُمَاهُ مَوْئِلُ كُلِّ لَبِّ شَاعِرٍ

اليد البخيلة

يَدِي الْهُوَى غَابَ عَنْ نَجْوَايَ مَذْعُورًا
وَأَنْتَ تَبْخَلُ بِالْإِيحَاءِ مَسْرُورًا
مِنَ الْخُلُودِ تَبْتُ اللَّحْنَ وَالنُّورَا
حَتَّى أَرَى فِي الْجَنَانِ الْخَمْرَ وَالْحُورَا
أَدَى لَهَا إِنْ غَنِمْتَ الْحُبَّ مَوْفُورًا
فَتَغْنَمُ الْفَنَّ إِلَهَامًا وَتَصُورَا
يُبَادِلُ الْفَنَّ تَحْرِيرًا وَتَصُورَا
وَكَمْ يَعْيشُ جَلِيلُ الْفَنِّ مَقْبُورَا

لَمَسْتُ كَأْسَ الْهُوَى لَكِنْ وَقَدْ لَمَسْتُ
يَا حُبُّ أَيُّ نَشِيدٍ أَنْتَ تَطْلُبُهُ
هَاتِ الرَّحِيقَ وَخُذْ مِنِّي مُرْتَحَةً
لَا أَكْذِبُ اللَّهَ إِنِّي لَنْ أَعِيشَ سُدَى
بَلْ أَوْثِرُ الْعَيْشَ فِي دُنْيَايَ مُحْتَمَلًا
أَيَّنَ الْمَلَاخَةَ تُرْضِيَنِي مَنَاهِلَهَا
أَيَّنَ الْجَمَالَ بِلَا صَدٍّ وَلَا كَلْفٍ
هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ مَا لِلْفَنِّ مُنْتَصَفٌ

الدموع

وَتُثِيرُ قَلْبًا كَمْ يَحِنُّ إِلَيْكَ
تَجْرِي الدُّمُوعُ نَدَى بَدْمَعِ رَبِيعِهَا
فِي الْكَوْنِ فِي الْأَجْوَاءِ وَالْأَمْوَاجِ
— وَهُوَ الْوَدِيعُ — عَلَى الْوُجُودِ الْجَائِرِ
وَهُوَ الْمُحَجَّبُ مَأْتَمًا فِي عُرْسِهِ
مُتَعَبِّدًا وَمُنَاهُ أَنْ يَتَعَبَّدَا
وَتَوَهَّمُوهُ بِنِعْمَةٍ وَسَعَادَةٍ
خَافَ عَنِ الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ
كَالْعَطْرِ بَعْدَ الزَّهْرِ وَالْأَشْوَاكِ

يَا لِلدُّمُوعِ تَرْفٌ مِنْ عَيْنَيْكَ
فِيمَ الْبُكَاءِ وَفِي الْحَيَاةِ جَمِيعِهَا
أَحَنَنْتِ لِلدَّمْعِ الَّذِي هُوَ سَاجٍ
أَمْ قَدْ عَطَفْتَ عَلَى فُؤَادِي الثَّائِرِ
قَلْبٌ يَلُوحُ كَأَنَّهُ فِي أَنْسِهِ
وَيَرَى الْجَمَالَ مُرْتَلًا وَمُغَرَّدًا
وَهُوَ الَّذِي حَرَمُوهُ حَظَّ عِبَادَةٍ
فَإِذَا نَأَيْتَ فَلِإِنْ رُوحٍ وَدَاعِي
وَيَرِفُ حَوْلِكَ مِنْ فُؤَادِي الْبَاكِ

الطبيب

وَدَّعْتُ غَيْرَ تَلْهُفِي وَوَجِيبِي
حَوْلِي مِنَ التَّشْوِيقِ وَالتَّعْجِيبِ
بِأَسَايَ أَوْ بِهِوَايَ أَوْ بِنَحِيبِي
مِنْ صُفْرَةِ الْإِشْفَاقِ وَالتَّغْذِيبِ
عُمْرًا مِنَ التَّشْرِيدِ وَالتَّغْرِيبِ
تَتَأَجَّجُ الْأَلَامُ مِلءَ غَرِيبِ
جِسْمِي بِنَبْضٍ لِلْحَيَاةِ عَجِيبِ
وَكَأَنَّمَا رِيَعْتُ لِنَأْيِ حَبِيبِي
يُلْقَى قَرِيبَ الرَّيِّ غَيْرَ قَرِيبِ
وَجَزَيْتُهَا بِنَشِيدٍ كُلِّ أَدِيبِ
بِأَسَايَ مَحْرُومًا عَزَاءَ طَبِيبِ

وَدَّعْتُ عَاصِمَةَ الْمُعَزِّ فَهَلْ تَرَى
وَحَسِبْتُ أَنْ لِي الْعَزَاءُ بِمَا أَرَى
وَكَأَنَّ بَدْرَ التَّمِّ آمَنَ وَحَدَهُ
فَرَأَيْتُهُ فِي حَالٍ مُمْتَقِعٍ لَهُ
لَوْنِي وَقَدْ شَاهَدْتُ مَضْرَعَ نِعْمَتِي
وَالْجَوْ فِي قَيْظٍ تَأَجَّجٍ مِثْلَمَا
وَتَكَادُ أَنْفَاسِي تُرْدُ وَإِنْ يَكُنْ
وَأَرَى الطَّبِيعَةَ كُلَّهَا فِي حَسْرَةٍ
أَوَاهُ مِنْ ظَمًا عَلَى ظَمًا وَكَمْ
أَشْبَعْتُ سُخْرِيَةَ الْحَيَاةِ وَكَيْدَهَا
فَعُدْتُ شَاعِرَهَا الطَّبِيبَ وَإِنْ أَكُنْ

الغروب الثائر

مَا لِلْغُرُوبِ يَثُورُ بِالْأَنْوَاءِ مِنْ قَلْبِي الْحَزِينِ
مَا لِلدَّمَاءِ تَكَاثَفَتْ كَالْمَوْجِ وَالْغَيْبِ السَّفِينِ

أَيْنَ الضَّحَايَا قَدْ تَرَاءَى الْأَفُقُ يَعْكِسُ رُوحَهَا
هَيْهَاتَ قَدْ ذَهَبَتْ وَإِنْ أَبْقَى الزَّمَانُ جُروحَهَا
يَا ثَوْرَةَ عِنْدَ الْغُرُوبِ لَمَحْتُ فِيكَ فُؤَادِي
هَذِي دِمَائِي اسْتَنْزَفْتُ وَعَلَى السَّمَاءِ جَدَائِي
كَمْ فِي السَّمَاءِ شُعُورُ هَذِي الْأَرْضِ فِي مَاضِي الْقُرُونِ
كَمْ تَعَكِّسُ الْأَقْدَارُ فِي صَفَحَاتِهَا صُورَ الْجُنُونِ
صُورَ الْعَوَاطِفِ وَهِيَ قَتَلَى مِنْ جُنُونِ الْحَادِثَاتِ
وَيَكَادُ هَذَا الْأَفُقُ يَصْرُخُ مِنْ تَصَارِيفِ الْمَمَاتِ
هَذِي رُؤَى الْأَصْبَاغِ كَالصَّيْحَاتِ لِلْقَتْلَى تَرُوعُ
مَا الْحَشَرُ يَوْمَ الْحَشْرِ أَرْوَعَ مِنْ شَجَاهَا لِلْمَرْوَعِ
صُورُ تُعَذِّبُ خَاطِرِي وَالْأَمْسَ كَانَتْ نِعْمَتُهُ
الآنَ بُعْدَكَ قَهَرُ نَفْسِي صَارَ صَفْوِي ثَوْرَتُهُ
يَا خَاطِرِي ثُرْ دَائِمًا أَوْ لَا تَثُرْ فَالْحُبُّ فَاتٌ
بَعْدَ الْوَدَاعِ لَأَيِّ حُلْمٍ أَنْتَ تُنْشِدُ لِلْحَيَاةِ
لَيْسَتْ ثُمَالُهُ كَأَسِي الْحُسْرِى كَحَمْرِ الْعَاشِقِينَ
جَمَعَتْ مَرَارَاتٍ مِنَ الذُّكْرِى وَمِنْ نَبْعِ الْأُنَيْنِ
مَنْ ظَنَّ أَنِّي مُسْعِدٌ فِي نَشْوَتِي فَهُوَ الضَّرِيرُ
صَحِكِي كَقَهْقَهَةِ الْقَنَانِي وَهِيَ تُذْبِحُ لِلْخُمُورِ
وَأَغَالِطُ الْأَيَّامَ فِي وَهْمِي بِأَنِّي مُنْعَمٌ
فَإِذَا مَنَاهِلُ خَاطِرِي يَا خَاطِرِي تَتَضَرَّمُ
وَالآنَ فَاشْرَبْ مِنْ رُؤَى هَذَا الْغُرُوبِ الثَّائِرِ
اشْرَبْ دِمَاءَكَ فِي السَّمَاءِ بِنَظَرَةِ الشَّاعِرِ
اشْرَبْ دِمَاءَكَ أَوْ رِبَاءَكَ فِي مَمَاتٍ لَنْ يَهُونُ
مَوْتُ التَّوَزُّعِ وَالتَّأَلُّمِ فِي الْعَوَاصِفِ وَالْجُنُونِ

لَكِنْ بَخِلْتُ بِأَنْ يَرَأَى شُعُورِي
هَرَبْتُ هُرُوبَ الْعَاشِقِ الْمُقْهُورِ
مَا افْتَرَّ عَنْكَ مِنَ الْمُنَى وَالنُّورِ
وَالْبُعْثِ لِلْمَحْرُومِ وَالْمَقْبُورِ
وَكَاأَنِّي أَرْنُو بِلَمَحِ دُهُورِ
يَخْفَى وَيَبْدُو مِنْ خِلَالِ سَطُورِ
بِالْفَنِّ ثُمَّ يَجُودُ فِي تَغْيِيرِي
فَأَنَا إِلَى الْإِحْسَانِ جِدُّ فَقِيرِ
عَدٌّ وَقَدْ فَلَتَتْ مِنَ التَّصْوِيرِ
مَا ذَلِكَ إِلَهَامٌ لِلْمَسْحُورِ
مُتَمَلِّكًا لُبِّي وَوَحْيَ ضَمِيرِي
مَا بَيْنَ آلامٍ وَبَيْنَ سُرُورِ
فَتَنِيرُ نَهْجًا كَانَ غَيْرَ مُنِيرِ
أَتَنَاوَلُ الْإِبْدَاعَ مِنْ تَفْكِيرِي
لَيَرُدَّ فَقْرَ الْبَائِسِ الْمَهْجُورِ
لِلشَّعْرِ لَا لِنَهَائِي بَلْ لِعُصُورِ
عُنْمِي وَخُسْرِي فِي رِضَا وَقُتُورِ
وَأَفْتَرَّ عَنْ نُورِ لِبْعُضِ حُبُورِي
كَفَوَادِي الْمُتَوَتَّبِ الْمَغْمُورِ

وَأَتَى الْوَدَاعَ فَمَا بَخِلْتُ بِمَدْمَعِي
فَحَبَسْتُ كُلَّ عَوَاطِفِي إِلَّا الَّتِي
وَأَخَذْتُ أَنْظُرُ ثُمَّ أَنْظُرُ وَإِعْيَا
رُوحَ كَرْوَجِكَ أَشْبَعْتُ رُوحَ الْعُلَا
أَتَأَمَّلُ اللَّحْظَاتِ فِي أَسْرَارِهَا
كَمْ فِيكَ مِنْ سِرٍّ عَصِيٍّ ثَائِرِ
أَلْقَاهُ بِالْإِنْمَعَانِ وَهُوَ يَجُودُ لِي
أَلْقَاهُ لَقِيَا طَالِبِ إِحْسَانِهِ
وَأُطِلْ مِنْ عَيْنَيْكَ فِي حَقَبِ بَلَا
مَا هَذِهِ الْأَحْلَامُ مَا هَذِي الْمُنَى
هَذَا جَمَالُ النَّفْسِ فِي اسْتِعْلَائِهَا
فَأُطِلْ أَرْنُو ثُمَّ أَرْنُو حَائِرًا
وَكَاأَنِّي أَلْقَى الْأُلُوهَةَ سَمْحَةً
وَكَاأَنِّي وَأَنَا أُطِيلُ تَأَمُّلِي
وَأُصُونُ كَنْزًا مِنْ حَنَانِكَ نَادِرًا
وَكَاأَنِّي مَدَّخِرُ الْعَوَاطِفِ تَرَوْتِي
وَكَاأَنِّي الْقَمَرُ الْمُطِلُّ مُسَجِّلُ
فَالْتَأَعَ مِنْ قَلْقِي الدَّفِينِ وَحَسْرَتِي
فَبَدَا مَزِيجًا مِنْ ضِيَاءٍ مُخْزِنِ

* * *

لِلْمَوْتِ مَهْمَا أُعْقِبَتْ بِنُشُورِ

مَا سَاعَةُ التَّوْدِيعِ إِلَّا سَاعَةُ

نور ولهب

إِلَّا كَمَا يَلْقَى الشُّعَاعُ حِمَاكَ
مَثْوَى نَغِيبٍ بِظِلِّهِ إِلَّاكَ
قَدْ يُسْتَطَابُ تَحَرُّرًا وَشَرَاكَ

يَا مَعْبَدًا لِلْحُبِّ لَا أَلْقَاكَ
إِنَّا كِلَانَا لِلْفَنَاءِ وَمَا لَنَا
هَذَا فَنَاءُ الْخُلْدِ إِلَّا أَنَّهُ

فَإِذَا مَنَحْتَ فَأَنْتَ خَلَّاقُ الْهَوَىٰ وَإِذَا حَرَمْتَ فَمَا قَتَلْتَ هَوَاكَ

* * *

بِمَمْتُ رُكْنِكَ فِي تَلَهْفٍ بَائِسٍ خَلَقْتَ لِمَرَآةِ الشَّهْيِ حَيَاتَهُ
قَلْبِي وَمَا أَوْلَاهُ بِالْإِسْعَادِ فَإِذَا بِهِ الْمَحْرُومُ كُلُّ وَدَادٍ
لِلْحَظِّ بَيْنَ مَصَائِبٍ وَجَدَادٍ إِنْ كَانَ يَطْمَعُ فِيكَ فَهُوَ كَخُلْسَةٍ
لَيْسَتْ نَعِيمًا رَغَمَ كُلِّ تَنَعُّمٍ فِيهَا وَلَيْسَتْ غَيْرَ طَعْنٍ فُؤَادِي

* * *

إِنِّي خُلِقْتُ لِكَيْ أَعِيشَ كَخَالِقِي عَيْشٌ أَوْحَدٌ فِيهِ كُلُّ صَبَابَتِي
لِلْفَنِّ فِي عَيْشٍ حَلِيفٍ نَقَاءٍ وَعِبَادَتِي وَتَعَشُّقِي وَرَجَائِي
وَلَرَبِّ وَصَلٍ فِيهِ رُوحُ جَفَاءٍ فَفَقَدْتُ مَنْ أَهْوَى وَإِنْ أَدْرَكْتُهَا
فَأَرَى النَّعِيمَ مُصَوِّرًا لِشَقَائِي وَحَيِّتُ أَلْتَمَسُ النَّعِيمَ حَيَالَهَا

* * *

وَلَى زَمَانُكَ يَا فُؤَادُ فَلَا تُطِلْ تَرْنُو إِلَى صُورِ الْجَمَالِ لَعَلَّهَا
هَذَا الْحَزِينَ إِلَى خِيَالِ شَبَابِي تَشْفِيكَ مِنْ حَرَقٍ وَمِنْ أَوْصَابٍ
وَتُحِيلُ كُلَّ تَنَعُّمٍ تَحْظِي بِهِ صُورًا مِنَ الْفَنِّ الْعَزِيزِ الْأَبِي
وَتُطِلْ أَنْتَ بِحَسْرَةٍ لَا تَنْتَهِي ظَمًا عَلَى ظَمًا وَطُولُ عَذَابٍ

* * *

وَلَى زَمَانُكَ يَا فُؤَادُ وَمَا أَرَى مَهْمَا مَرِحْتَ فَمَا كُفَيْتَ سَعَادَةً
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عَزَاءً يُشْتَرَى أَيْنَ الَّتِي هِيَ غُنِيَّةٌ لِمَحَبَّتِي
وَهَوَاكَ يَسْمُو فَوْقَ أَحْلَامِ الْوَرَى رُوحًا وَجَسْمًا فِي السَّمَاءِ وَفِي الثَّرَى
هِيَ هَاتَ حُبِّي لَا يُحَدُّ وَمَا أَرَى كُفُؤًا لَهُ مَهْمَا سَعَيْتُ لِأَنْ أَرَى

* * *

تَشْكُو عِتَابِي كَيْفَ تَشْكُو حِينَمَا أَيْنَ الْأَلِيفُ وَنَفْسُهُ لَكَ شُعْلَةٌ
الْأَرْضُ ضَاقَتْ عَنْ هَوَاكَ بَلِ السَّمَاءُ أَيْنَ الَّتِي تَلْقَاكَ لُقْيَا سَاحِرٍ
وَكَيْانُهُ لَكَ جَنَّةٌ تَرَوِي الظَّمَأَ أَيْنَ التَّجَاوُبُ فِي الْحَيَاةِ فَمَا أَرَى
مُسْتَوْعِبٍ لِهَوَاكَ كَيْفَ تَجَسَّمَا إِلَّا الْغَرَامَ مُضَرِّجًا وَمُضَرَّمًا

امرأة الأبد (وامرأة الحياة)

هَيْهَاتَ أَنْ أَنْسَى الْحَيَاةَ وَسَرَّهَا
إِنِّي أَنْدَمَجْتُ بِكُلِّ مَا تُوجِي بِهِ
وَجَعَلْتُ شِعْرِي مَسْبَحًا لِخَيَالِهَا
فَرَسَمْتُهَا صُورًا تَكَادُ بِرُوحِهَا
مُتَبَادِلِينَ مَبَاهِجًا وَنَفَائِيسًا

* * *

لِلْمَرْأَةِ الضَّيِّينِ فِي الْإِحْسَانِ
فِي صُورَةِ الْإِحْسَانِ وَالْحِرْمَانِ
وَتَعِيشُ مُفْصِحَةً عَنِ الدِّيَانِ
وَشُعُورُهَا قَبَسٌ مِنَ الرَّحْمَنِ
دُنْيَا التَّجَاوُبِ عِزَّةُ الْإِنْسَانِ
حِينَ الْفُنُونُ تَخْصُهَا بِحَنَانٍ

* * *

لَا تَحْسَبِينِي فِي التَّعَبْدِ مُسْرِفًا
أَوْ أَنَّ فِي هَذِي الْعِبَادَةِ ضَلَّةً
إِنِّي أَعَذَّبُ مُهْجَتِي بِنَعِيمِهَا
وَأَرَى الْحَيَاةَ بِهَا كَمَا أَلْقَى الرَّدَى
وَإِذَا بِهَا طَهَّرُ الْحَيَاةَ وَإِثْمَهَا

* * *

يَا مِنْهَلًا لِلرُّوحِ لَا تَنْطَلِعِي
هَيْهَاتَ تَحْيَا الرُّوحُ دُونَ كِيَانِهَا
هَذَا الْوُجُودُ بِأُسْرِهِ مُتَجَاوِبٌ
مَا كَانَ لِامْرَأَةِ الْخُلُودِ خُلُودُهَا
أَوْ كَانَ لِامْرَأَةِ الْحَيَاةِ فَنَائُهَا
مَنْ فَاتَهَا هَيْهَاتَ يَخْلُدُ دُونَهَا

كأس الشاعر

مَا هَذِهِ الْكَأْسُ وَفِيهَا الْخَيَالُ
قَدْ صَارَ لِي الْكَوْنُ بِمَا يَزْدَهِي
لَا تَسْقِنِي الْخَمْرَ وَدَعْنِي لِمَا
مَا أَعَذَّبَ النُّورَ شَرَابَ الْهُدَى
كِلَاهُمَا حُسْنٌ لِنَفْسِي الَّتِي
دَعْنِي إِلَى حُلُمِي فَمَا غَيْرُهُ
يَسْتَوْعِبُ الْعَالَمَ فِي نَظَرَتِي
يَطْفُو عَلَى الْكَوْنِ بَوْحِي الْجَمَالُ
كَأْسِي وَفِي كَأْسِي وَخَمْرِي الْمَحَالُ
فِي الْكَوْنِ مِنْ رَوْعَةِ هَذَا الْخَيَالِ
وَأَزْوَعِ اللَّيْلِ شَرَابَ الضَّلَالِ
لَا تَحْصُرُ الْحُسْنَ بِمَعْنَى الْكَمَالِ
يَشْفِي فُؤَادِي مِنْ هُمُومِ اللَّيَالِ
وَنَظَرَتِي فِيهَا أَحَبُّ ابْتِهَالِ

طائر الطبيعة

(رأه الشاعر في صورة حسناء ذات جناحين مُحلَّقة في السماء على ثغرها بسمة هادئة،
وفي عينيها فكر عميق والطيور حولها تائهة.)

إِلَى أَيِّ مَبْدَى وَأَيِّ انْتِهَاءٍ
تَحْوِمِينَ فَوْقَ بُرُوجِ السَّمَاءِ
تَطِيرِينَ فِي بَسْمَةِ فَاتِنَةٍ
كَأَنَّكَ رَبُّنَا الْأَمْنَةِ
وَيَبْدُو بِعَيْنَيْكَ سِرُّ الْأُلُوهَةِ
فَمَعْنَاكَ أَسْمَى الْمَعَانِي النَّزِيهِهِ
تَطِيرِينَ وَالطَّيْرُ عَانَ يَتِيهِ
يَتِيهِ وَكَمْ فِي الطُّيُورِ النَّبِيهِ
فَمَنْ أَنْتِ يَا طَائِرًا لِلطَّبِيعَةِ
فَيَسْبَحُ فَوْقَ الطَّبَاقِ الْمَنِيعَةِ
تَطِيرِينَ فَاتِحَةً قَاهِرَةَ
وَتَطْوِينَ أَنْجُمَهَا السَّاحِرَةَ
لَدَيْكَ وَفِي بَسْمَةِ لِلْوُجُودِ
تَطُوفُ وَتُحْيِي فَقِيدَ الْوَعُودِ
فَيَجْتَذِبُ الطَّيْرَ شَتَى إِلَيْهِ
وَمَرَاكَ أَحْلَى الْمَرَاثِي لَدَيْهِ
حَوَالَيْكَ وَهُوَ شَرُودُ قَرِيرِ
يَتِيهِ بِنُورِ كَتَبِهِ الضَّرِيرِ
يُحَلِّقُ فَوْقَ النُّهَى وَالْجَمَادِ
مَنْ الْكَوْنِ ثُمَّ يَسُوسُ الْعِبَادِ

الشروق الهادئ

أَشْرَقَ الصُّبْحُ فِي هُدُوءٍ عَمِيقٍ
كَهْدُوءِ الْحَبِيبِ بَعْدَ الْوَصَالِ

أَيُّ جَمْعٍ مِنَ الْأَسَاطِيرِ وَالسَّحْرِ
صُورٌ تَمَّجِي وَأُخْرَى تَرَأَى
وَالْعَصَافِيرُ هَاتِفَاتٌ بِالْحَا
فِي نَشِيدٍ مِنَ الْخُفُوتِ حَبِيبِ
أُمُّ أَرْسَلَتْ دُعَاءً مُجَابًا
مُثِّلَتْ فِي الطُّيُورِ وَالزَّهْرِ وَالنَّبْ
وَجَمِيعِ الَّذِي تَرَاهُ وَمَا قَدْ
أُمُّ كُلُّهَا وَمِنْهَا خَفِي
أَنْشَدَتْ كُلُّهَا بِصَمْتٍ رَهِيْبِ
أَنْشَدَتْ دُعَاةَ الصَّبَاحِ فَلَبَّى
وَأَتَى هَائِبًا تَوَسَّلَ بِالشَّمْسِ
وَحَشَعْنَا جَمِيعُنَا فِي نَهَانَا

رِ يَزُفُ الْخَيَالَ تَلَوُ الْخَيَالَ
فِي انْتِثَاقِ الضِّيَاءِ بَيْنَ الظَّلَالِ
نِي هُتَافَ الْخُشُوعِ نَحْوَ الْجَمَالِ
كَحَزِينِ الْوَلِيدِ أَوْ كَالدَّلَالِ
وَلِكُلِّ لَغَى وَرُوحِ ابْتِهَالِ
حَتِّ وَفِي الْمَاءِ وَالْحَصَى وَالرَّمَالِ
حَجَبَتُهُ سَتَائِرُ الْأَجْيَالِ
فِي انْطِلَاقِ بَجْوِهِ الْمُتَعَالِي
أَوْ يَنْطِقُ كَالصَّمْتِ حَيَّ الْجَلَالِ
ذَلِكَ الصَّبْحُ مِنْ إِسَارِ اللَّيَالِي
سِسِ حِمَاهُ فَأَشْرَقَتْ فِي اخْتِيَالِ
كَخُشُوعِ الْفَنَانِ نَحْوَ «الْمِثَالِ»

* * *

كَمْ هُدُوءٍ تَمُوجُ فِيهِ وَتَطْغَى
ثَوْرَةٌ لِلْيَقِينِ أَوْ لِلضَّلَالِ

وحي الرسام

أَبْدَوْتُ لِي أَمْ لُحِثَ لِلرَّسَامِ
الْبَدْرُ أَرْسَلَ لِلتَّحِيَّةِ نُورَهُ
فَدَعَيْ لِي شِعْرِي أَنْ يَنَالَكَ مَرَّةً
لُغَةُ الْفُنُونِ تَوَحَّدَتْ أُنَى بَدَتْ
لُغَةُ الْأُلُوهَةِ أَفْصَحَتْ وَتَنَاوَبَتْ

حُورِيَّةَ الْأَوْهَامِ وَالْأَحْلَامِ
وَالنُّورُ مِنْهُ عَوَاطِفُ كَهَيَامِي
بِالْوُصْفِ فِي مَلَكُوتِكَ الْمُتَسَامِي
بِتَنَوُّعِ الْأَلْوَانِ وَالْأَنْغَامِ
لُبُّ الْحَيَاةِ بِنَفْحَةِ الْإِلَهَامِ

* * *

الْقَاكِ خَلْفَ الْبَدْرِ شَبَهَ مُطَلَّةً
فَإِذَا تَعَبَتْ بَعَثَتْ أَطْيَافَ الْهُوَى
رُسُلُ الْجَمَالِ وَكُلُّ فَاتِنَةٍ لَهَا
يُسْرِينَ بِي نَحْوَ الْخُلُودِ وَمَا أَرَى

وَأَرَاكِ بَيْنَ تَهَافُتٍ وَتَسَامِي
يَرْقُصْنَ فِي هَذَا الضِّيَاءِ أَمَامِي
نَعْمٌ وَإِيمَاءٌ وَعَذْبٌ كَلَامِ
لِلْخُلْدِ مِنْ نَهْجِ سَوَى أَحْلَامِي

* * *

أَنْفَقْتُ عُمْرِي أَزُقُّبُ الْقَمَرِ الَّذِي
وَأَرَاهُ مَوْفُورَ الْحَنِينِ كَأَنَّهُ
وَكَأَنَّ أُمِّي الْأَرْضَ أَبْقَتْهُ الْهُدَى
فَإِذَا الضِّيَاءُ وَرَمَزُهُ وَرَوَاؤُهُ
سَكَنْتُ بِأَمْوَاجِ الضِّيَاءِ وَدَاعَبْتُ
يَفْتَرُّ عَنْ إِحْسَانِهِ الْبَسَامُ
أَهْلِي وَأَصْرَتِي وَنَبْعُ غَرَامِي
لَاخَ ضَرِيرٍ أَوْ أَخٍ مُتَعَامِي
بُنْتُ الطَّبِيعَةَ فِي الْخَيَالِ السَّامِي
فِي اللَّيْلِ وَحَيَّ الشَّاعِرِ الرَّسَامُ

الزهرة

فِي بَيْتَةِ الْحُسْنِ وَجَوِّ الْغَرَامِ
مَنْ ذَا الَّذِي يَرْضَى لِقَلْبِي الْمَلَامِ
الرَّزْهَرَةُ الْكُبْرَى لَهَا مَا لَهَا
وَالرَّزْهَرَةُ الصُّغْرَى لَهَا مِثْلُهَا
يَا تَوَامِي حُسْنِ أَنَا عَبْدُهُ
قَلْبٌ كَقَلْبِي قَدْ طَغَى وَجْدُهُ
مَا أَجْمَلَ الْحُبَّ بَعِيشَ الْجُنُونِ
يَا مَطْلَعَ الْوَحْيِ وَمَجْلَى الْفُنُونِ
نَشَأْتُ يَا زَهْرَةَ حُبِّي الْقَدِيمِ^{١٤}
إِنْ رَامَ قَلْبِي مِنْ جَنَاحِ النَّعِيمِ
مِنْ قَلْبِي الْحَيِّ بِنَبْضِ الشَّبَابِ
مَا حُمِّلَ الْقَلْبُ لَهَا مِنْ عَذَابِ
هَلْ أَنْتُمْ إِلَّا مَدَى سِحْرِهِ
هَيْهَاتَ أَنْ يَعْقِلَ مِنْ زَجْرِهِ
وَأَعْجَبَ الْحُبَّ بِأَمْسِي وَيَوْمِي
يَا حُسْنُ لَا تُسْرِفْ بِسِحْرِي وَلَوْمي

إلى أفرديت

لَبَيْكَ قَدْ يُخْلِدُ الْمَعْبُودَ فَنَانُ
وَلَوْ عَدَدْنَا حَيَاةَ الْحُسْنِ زَائِلَةً
دُنْيَا كَأُخْرَى اسْتَطَابَتْ أَنْ تُخَادِعَنَا
إِلَّا جَلَالَةُ إِيْمَانٍ أَقْدَمُهَا
كِلَاهُمَا خَالِقُ لِلْخُلْدِ دَيَّانُ
فَلَيْسَ يَرْضَى فَنَاءَ الْحُسْنِ فَنَانُ
كَمَا يُخَادِعُنَا كُفْرٌ وَإِيْمَانُ
فِي مَذْبَحٍ بِضَحَايَا الْحُبِّ يَزْدَانُ

^{١٤} ينادي الزهرة الصغرى ربيبة الزهرة الكبرى.

هَذَا جَمَالُكَ يَبْدُو كَالرَّبِيعِ حُلًى
مُجَدِّدٌ دَائِمًا فِي كُلِّ فَاتِنَةٍ
رُوحُ الْأُلُوهَةِ إِلَّا أَنَّ مُبْدِعَهَا
لَوْلَا حَنِينُ لِأَرْوَاحٍ مُعَذَّبَةٍ

بِالسَّحْرِ وَالنُّورِ أَخَاذٌ وَجَدَلَانُ
وَكَمْ يُجَدِّدُ بِالْإِلَهَامِ فَتَانُ
هَذَا الْغَرَامُ الَّذِي يُخْفِيهِ إِنْسَانُ
مَا كَانَ فِي مَلَكُوتِ الْحُبِّ أَكْوَانُ

* * *

يَا رَبَّةَ الْحُبِّ مَشْبُوبًا لِعَارِفِهِ
عَيْشِي لَهُ مَنْبَعًا مَا عَاشَ يَقْصِدُهُ
فِيمَ التَّمَنُّعِ وَالْدُّنْيَا عَلَى سَفَرِ
الْقِي الشُّفُوفِ وَحَيَّيْهِ مُعَانِقَةً
مَا أَصْغَرَ الْحُسْنَ مَأْسُورًا وَمُحْتَجِبًا
إِنَّ الْجَمَالَ بِلَا عَطْفٍ يَجُودُ بِهِ
كُلُّ الْحَرَامِ حَلَالٌ لِلْفُنُونِ فَمَا
فَإِنْ أُصِيبَتْ بِحِرْمَانٍ يُعَذِّبُهَا

وَمَشْرَبَ الصَّفْوِ إِنَّ الْفَنَّ ظَمَّانُ
فَتَمَلُّ الدَّهْرَ مِنْ رِيَاكِ أَلْحَانُ
وَمَا التَّحَجُّبُ حِينَ الْفَنِّ لَهْفَانُ
فَتَضْبِغِ الْكَوْنَ بِالْإِلَهَامِ أَلْوَانُ
وَأَعْظَمَ الْحُسْنَ حِينَ الْحُسْنِ إِحْسَانُ
كَمْ هَمَلِ النَّظْمِ إِيقَاعُ وَأَوْرَانُ
غَيْرُ الْفُنُونِ لَهَا فِي الدَّهْرِ سُلْطَانُ
نَالَ الْجَمَالَ مِنَ الْحِرْمَانِ حِرْمَانُ

نسيم الصباح

أَيَّرَفُ عِنْدَكَ مِنْ نَسِيمِ صَبَاحِي
فَإِذَا نَعَثَرْتُ أَوْ لَمَحْتُ غِيَابَهُ
لِمَ لَا أَنْوَحُ وَإِنْ يَكُنْ فِي غَزَلَتِي
إِنِّي الْفَتَى الْبَاكِى الطَّرُوبُ وَمَا دَرَى
وَلَوْ اسْتَطَعْتُ حَبَبْتُ عَنْ رَبِّي الَّذِي
عَانَيْتُ فِي عُمْرِي الشَّجَا أَضْعَافَ مَا
وَرَسَمْتُهُ صُورَ التَّفَاوُلِ مُشْبِهًا
أَلْيَ الْعِتَابِ إِذَنْ فَمَنْ أَوْلَى بِمَا
إِلَيَّ الْعِتَابُ وَلَمْ أَعِشْ إِلَّا كَمَا
إِنِّي الْأَسِيرُ وَإِنْ عُدْتُ مُحَرَّرًا
أَعْطَيْتُهُ مَا قَدْ أَخَذْتُ وَزِدْتُهُ

إِلَّا غَبِيرُ صَبَابَتِي وَمَرَا حِي
فَلِأَنَّهُ الْعَانِي لِفَرْطِ نَوَاحِي
صَمْتًا يَجَلُّ مَدَاهُ عَنْ إِفْصَاحِي
قَلْبُ مَجَالٍ تَأَلَّمِي وَجِرَاحِي
عَانَيْتُ فِي الْأَحْزَانِ وَالْأَفْرَاحِ
غَنَيْتُ فِي غَزَلِي وَمِلءَ مَرَا حِي
رَسَمِي اللَّهَيْبِ بِنُورِهِ الْوَضَاحِ
أَهْدِيهِ مِنْ رُوحِي إِلَى الْأَرْوَاحِ
عَاشَ الشَّعَاعُ لِزَهْرَةٍ وَنَفَاحِ
فِي عَالَمٍ حَالَفْتُ دُونَ فَلَاحِ
مَا شَاءَ فِي إِبْدَاعِي الْمَنَاحِ

فَعَرَفْتُهُ رَمَزَ الْعُقُوقِ وَلَمْ أَجِدْ صَفُوءًا يُتَاحُ وَكَانَ غَيْرَ مُتَاحٍ
وَحَيِّيتُ فِي زَهْوِ الضَّحِيَّةِ قَدَمَتَ لِلرَّبِّ عِنْدَ تَبَلُّجِ الْإِصْبَاحِ

* * *

هَذِي حَيَاتِي كُلُّهَا تَعَبٌ عَلَى تَعَبٍ وَأَتَرَاخٍ عَلَى أَتَرَاخٍ
أُبْكِي وَأَضْحَكُ غَيْرَ أَنِّي لَا أَرَى إِلَّا الضُّحُوكَ بِنَشْوَةِ الْمَلَاخِ
وَكَأَنَّنِي جَاوَزْتُ خُلُجَانَ الرَّدَى بِسَفِينَتِي فَنَعِمْتُ بِالْأَقْدَاحِ
وَالدَّهْرُ يَعْلَمُ أَنَّنِي فِي نَشْوَتِي فِي قَبْضَةِ الْجَرَاحِ وَالسَّفَاحِ
لَمْ أَدْرِ إِنْ كَانَ الشِّقَاءُ أَوْ الرَّدَى بِيَدَيْهِ أَوْ أَنَّ الْمَنِيَّةَ رَاحِي
أَلَّهُوً وَأَدَابُ مَازِحًا وَمُجَاهِدًا فِي ثَوْرَةِ السَّبَّاقِ وَالسَّبَّاحِ
وَالْيَمُّ يُطْبِقُ شَاطِئِيهِ عَلَيَّ فِي مَرَجِي وَتِلْكَ نَهَايَةُ الْمِمْرَاحِ

السجين

سَأَلْتُكَ صَفْحًا عَنْ هُمُومِي فَإِنَّنِي أَعِيشُ بِسَجْنٍ لَا نَوَافِذَ فِيهِ
لَيْنٌ مَرَحَتْ نَفْسِي قَلِيلًا فَإِنَّهَا تُحَسُّ بِلَيْلٍ لِلِمَرَاكِ كَرِيهِ
وَمَا اللَّيْلُ إِلَّا مَحْبَسِي وَتَطْلُعِي إِلَى عَالَمٍ نَائِي الْحُدُودِ نَزِيهِ
إِلَى عَالَمٍ لَا تَشْعُرُ الرُّوحُ عِنْدَهُ بِحَرْبٍ خَصِيمٍ أَوْ بِجُرْمٍ سَفِيهِ
وَمَا أَفْسَحَ الدُّنْيَا لِمَنْ لَمْ يَضُقْ بِهَا سُلُوكًا وَمَنْ يَلْقَى الرَّجَاءَ كَتِيهِ
وَلَكِنَّنِي فِي عَالَمِي كَمَقَيِّدٍ وَإِنْ جُلْتُ فِيهِ مُطْلَقًا كَبْنِيهِ
وَمَا خَلَقْتُ رُوحِي لِدُنْيَا كَهَذِهِ وَإِنْ عَابَ هَذَا الْكُؤُودُ لَوْمَ ذَوِيهِ
وَلَوْ أُطْلِقْتُ مِنْهَا لَمَا شَارَفْتُ سِوَى فَنَاءٍ فَهَلْ كَانَ الرَّجَاءُ يَلِيهِ

نشيد الألم

دَعِينِي أَغْنِي نَشِيدَ الْأَلَمِ فَكَمْ مِلءَ الْأَمِنَا مِنْ نَغَمٍ
رَأَيْتُ التَّفَاوُلَ نَبَتْ التَّشَا وَمُ حِينَ الْوُجُودِ وَلَيْدُ الْعَدَمِ
دَعِينِي أَبْنُوكِ رَاحَ الْحَيَاةِ وَهَلْ رَاحَهَا غَيْرُ رَاحِ الْأَلَمِ

فَلَا تَعْزُفِي عَنْ شَرَابِي الْمَرِيرِ
عُصَارَةُ رُوحِي أَغَانِي الْعَذَابِ
أَغَانِ حَلَّتْ بِمَعَانِي الشَّبَابِ
وَإِنْ مَرَحْتُ مَرَّةً لَمْ تَكُنْ
أَعِيشُ بِدُنْيَا الْخَيَالِ الْفَسِيحِ
وَأَعَشَقُ أَسْمَى مَعَانِي السُّمُوِّ
فَالْبَثُّ فِي عَالَمِي طَائِرًا
حَيَاةُ التَّنَاقُضِ فِي الْجَوْ حَوْلِي
وَأَرْسُمُهَا صُورَةً لِلْجَمَالِ

فَحَسْبِي التَّعَالِي بِهِ وَالشَّمَمُ
بِشُعْرِي وَكَمْ فِي الْبُكَاءِ ابْتِسَامُ
وَمَضَّتْ بِكُلِّ مَعَانِي الْهَرَمُ
مِرَاحُ الْهَوَى بَلْ مِرَاحُ السَّقَمِ
كَأَنِّي الَّذِي بِالْخَيَالِ اعْتَصَمُ
فَمَهْمَا سَمَوْتُ سَبَانِي الْحُلُمُ
حَلِيفُ الرَّجَاءِ حَلِيفُ النَّدَمِ
فَأَجْعَلُهَا وَحْدَةً تُغْتَنَمُ
وَكَمْ فِي الْجَمَالِ النَّدَى وَالضَّرَمُ

راهب الدير

(تطلع الشاعر إلى السماء من شرفة منزله فلمح راهباً تجاهه في مثل وقفته.)

لَمَحْتُهُ رَانِيًا شَطَرَ السَّمَاءِ كَمَا
لَمَحْتُهُ وَأَنَا فِي الْأَسْرِ أَغْبِطُهُ
نُعْمَى التَّجَرُّدِ مَنْ لِي أَنْ أَلُودَ بِهَا
سَمِئْتُ كُلَّ غُرُورٍ أَسْتَعِزُّ بِهِ

لَمَحْتُهُ بِشُعُورِ الْيَأْسِ يَرْمُقْنِي
فَهَلْ تَرَى هُوَ بَيْنَ الْأَسْرِ يَغْبِطُنِي
فَكَمْ بِهَا مِنْ أَمَانٍ لِأَمْرِي فُطِنَ
وَأَشْتَقْتُ مَا يَشْتَهِي الصُّوفِيُّ مِنْ زَمَنِي

* * *

يَا رَاهِبَ الدَّيْرِ هَذِي وَقَفَّتِي حَزَنًا
وَأَنْتَ تَرُقُبُ مِثْلِي عَالَمًا عَجَبًا
إِنِّي لِأَحْمِلُ أَغْبَاءَ مَنُوعَةٍ
فَهَلْ تَحَمَلْتَ مِثْلِي لِلشَّجَا أَلَمًا

أَرْنُو إِلَى مَلَكَوَتِ اللَّهِ حَيْرَانًا
شَتَّانَ بَيْنَ مَدَى اللَّحْظَيْنِ شَتَّانَا
وَأَحْمِلُ اللَّهُمَّ كُفْرَانًا وَإِيمَانًا
وَهَلْ تَعَذَّبْتَ مِنْ أَتْرَاحِ دُنْيَانَا

* * *

يَا رَاهِبَ الدَّيْرِ حَوْلِي لِلْحَيَاةِ مُنَى
زَهْدُتُهَا وَأَنَا الْقَاسِي عَلَى أَمَلِي
وَصَارَ كُلُّ رَجَائِي فِي الْحَيَاةِ غِنَى

وَكَمْ حَيَالِي مِنَ اللَّذَاتِ أَلْوَانُ
وَكَمْ يُمِيتُ وَيُحْيِي الْحَظَّ فَنَانُ
عَنِ الْحَيَاةِ وَمَنْ عَزَا وَمَنْ هَانَا

فَلَا أَعِيشُ سِوَى مَعْنَى يُحِبُّ كَمَا يَعِيشُ فِي حُلْمِ الْجَنَّاتِ «رِضْوَانُ»

* * *

يَا زَاهِبَ الدَّيْرِ نَبِّئْنِي أَلَا خَبَرُ
أَلَا سَبِيلَ إِلَى زُهْدٍ تُصَاجِبُهُ
مَا لِي أَرَاكَ قَرِيرًا كُلُّهُ وَهَجُ
فَهَلْ كَلَانَا — وَهَذِي الشَّمْسُ غَارِبَةٌ —
عَنِ الْحَيَاةِ تَرَاهُ الْعَيْنُ فِي الْأَفْقِ
أَلَا سَبِيلَ إِلَى التَّخْرِيرِ مِنْ قَلْقِي
أَنَا وَأَنَا مَرُوعًا بِأَلْغِ الْحَرَقِ
مِنْ الْمَعَانِي الَّتِي تُشْجِي مِنَ الشَّفَقِ

حزن الفجر

يَا فَجْرُ تَنْبِئُ فِيكَ أَنْفَاسُ تَنْمِيهَا الْحَيَاةَ
مَا بِأَلْهَا هَمَدَتْ هُمُودَ الطُّفْلِ فِي أَسْرِ الْجَنَاهِ
أَنْتَ الْجَنِينُ وَمَا وَلَدْتَ وَإِنْ لَمْحَنَّاكَ الْوَلِيدُ
كَمْ مَأْمَلٍ فِيكَ الْقَرِيبُ وَكُلُّهُ أَمَلٌ بَعِيدُ
أَنْتَ الْجَدِيدُ وَأَنْتَ كَشَّافُ السَّعَادَةِ لِلْسَّعِيدِ
حِينَ الشَّقِيِّ يَرَاكَ مَهْزَلَةً مِنَ الْقَدَرِ الْعَنِيدِ
يَا فَجْرُ مَا هَذِي التَّهَالِيلُ الْمُنَوَّعَةُ الْحَسَانُ
أَتَرَاكَ مَنْ خَطَفَ الْحَيَاةَ لَنَا عَلَى رَغَمِ الزَّمَانِ
يَا رَبِّمَا أَنْتَ الْكَرِيمُ بِهَا لِقَلْبٍ يَرْتَجِيكَ
قَلْبٌ يُدَاعِبُهُ الْأَلِيفُ كَمَا يُؤَانِسُهُ الشَّرِيفُ
فَتَلَقَّ مِنْ هَذِي الْعَصَافِيرِ الْمُغَرَّدَةِ الصَّلَاةَ
فَلَعَلَّهَا أَدْرَى بِمَعْنَى فِيكَ أَهْدَتْهُ الْحَيَاةَ
وَتَلَقَّ مِنْ تِلْكَ الْمَظَاهِرِ لِلْوُجُودِ تَحِيَّةً
مَا دُمْتَ تُكْسِبُهَا التَّجَدُّدَ نَفْحَةً عُلوِيَّةً
أَمَّا فَوَائِدِي فَهَوَ فِي حُزْنٍ وَتَبْرِيحِ دَفِينِ
فَيَرَى بُرُوعَكَ كَالْأَسَى فِي النَّارِ وَالشَّدَوِ الْأَنِينِ

الذكريات

أَنَسَاكَ وَالْمَاضِي الْبَعِيدُ أَمَامِي
 مَرَّتْ كَتَائِبُهُ أَمَامَ نَوَاطِرِي
 صُورُ الطُّفُولَةِ وَالشَّبَابِ كَأَنَّهَا
 صُورٌ بِالْوَانِ الْحَنِينِ تَجَسَّدَتْ
 فَعَرَفْتُهَا بِاللَّوْنِ حِينًا وَالشَّدَى
 وَحَيِّتُ بَيْنَ جُمُوعِهَا مُتَنَظِّرًا
 هَيْهَاتَ أَنْكُرُهَا وَقَلْبِي بَيْنَهَا
 فَإِذَا احْتَجَبْتَ فَأَنْتَ مَلَأَ عَوَالِمِي
 وَإِذَا لَقَيْتُكَ كُنْتَ أَنْتَ لِمُهْجَتِي
 وَالنَّاسُ تَعَجَّبُ مِنْ تَأَلَّقِ نَاطِرِي
 وَكَأَنَّني أَلْقَى إِلَهَهُ فَأَغْتَدِي
 جَيْشٌ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْأَحْلَامِ
 مِنْ كُلِّ مُكْتَتَبٍ وَمِنْ بَسَامِ
 صُورِ الْخَيَالَةِ^{١٥} مِنْ خِلَالِ ظِلَامِ
 وَخَلَّتْ مِنَ الْإِغْرَابِ وَالْإِبْهَامِ
 حِينًا وَبَيْنَ تَسْمَعِ وَكَلَامِ
 شَتَّى الْعُهُودِ وَأَعْجَبَ الْأَيَّامِ
 فِي بَيْتَةٍ مِنْ نَشْوَةٍ وَغَرَامِ
 وَإِذَا نَأَيْتَ فَأَنْتَ أَنْتَ أَمَامِي
 فَوْقَ الْوُجُودِ بِرُوحِكَ الْمُتَسَامِي
 وَسَنَاكِ مَبْعُوثُ نُورِهِ الْبَسَامِ
 رُوحًا سَمَا فَوْقَ الْخِيَالِ السَّامِي

بلوتو وبرسفون

(في هذه القطعة مثل معتدل من النظم الحرّ الجامع بين الشعر القصصي وشعر التصوير.)

^{١٥} Cinema Pictures: مشاهد السينما.



بلوتو وبرسفون.

كَمْ عَذَّبْتُ «بُلُوتُو»^{١٦} حَيَاةَ الشُّرُودِ
عَنْ عَالَمِ الْحَيِّ وَحُسْنِ الْوُجُودِ
قَدْ خَصَّه الْمَوْتُ وَفِي مُلْكِهِ
قَدْ عَاشَ فِي الْيَأْسِ إِلَهُ الْوَحِيدِ
لَمْ تَرْضَهُ زَوْجًا وَلَا أَمْنَتْ
بِمُلْكِهِ الضَّافِي بَنَاتُ الْأُلُوهَةِ

^{١٦} إله عالم الموت.

عَيْشُ كَمَوْتٍ كُلُّهُ مُظْلِمٌ
 وَحَسْرَةٌ مِلءُ الْحَيَاةِ الْكَرِيهَةِ
 كَمْ سَاءَ الْأَرْبَابُ أَنْصَافُهُ
 وَسَاءَ الرِّبَاتِ إِسْعَادُهُ
 فَلَمْ يَنْلِ غَيْرَ عُزُوفِ الْمُنَى
 عَنْهُ كَأَنَّ الرَّدَى صَادَهُ
 وَهَكَذَا قَضَى حَيَاةَ الْأَبَدِ
 فِي عُزْلَةٍ بَلْ ظُلْمَةٍ لِلْعَدَمِ
 لَا يَعْرِفُ الْعُطْفَ عَلَيْهِ أَحَدٌ
 إِلَّا صَدَى الْمَوْتِ وَنَوْحُ الْأَلَمِ
 حَتَّى إِذَا الْيَأْسُ تَمَادَى بِهِ
 وَأَظْلَمَ الْكَوْنُ جَمِيعًا لَهُ
 أَرَادَ أَنْ يَغْزُو رَبَّاتِهِ
 وَيَخْطِفَ الْحَظَّ كَمَنْ نَالَهُ

هَذِي «بِمَثْرَا»^{١٧} أَنْبَتَتْ زَهْرَهَا
 فِي الْمَرْجِ مَذْهَامَتْ بِهِ «بِرْسْفُون»
 وَأَنْضَجَتْ مَا شَاقَّهَا نُورُهُ
 مِنْ مُثْمِرٍ يَبْسُمُ لِلنَّاطِرِينَ
 فَرَاخَتْ الْإِبْنَةَ فِي فَرْحَةٍ
 تَقْطِفُ مِنْ زَهْرٍ وَمِنْ فَاكِهَةٍ
 الْفَرْحَةُ تُسَمِّي نَفُوسَ الْوَرَى
 فَكَيْفَ إِنْ طَارَتْ بِهَا الْأِلَهَةُ
 وَشَامَهَا «بُلُوتُو» فَشَامَ الْمُنَى
 فِي أَخْذِهَا أَخَذَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ

^{١٧} دمترا: إلهة الأرض، وبرسفون: ابنة دمترا الجميلة.

قَدْ يُسْرِفُ الْجِرْمَانُ لَكِنَّهُ
 إِذْ يُسْرِفُ فِي مَنَعِهِ قَدْ يُجِيزُ
 وَبَيْنَمَا الزُّهْرُ لَدَى «بِرْسْفُون»
 يُحَيِّي سَنَاها وَيَحْيَا لَهَا
 وَيَنْعَمُ مِنْ لَمْسِهَا مِثْلَمَا
 تُنَاجِي الْجَدَاوِلُ إِقْبَالَهَا
 وَتَهْوَى الْحَشَائِشُ مَشْيَا عَلَيْهَا
 فَمَا كَانَ ذَلِكَ إِذْ لَالَهَا
 وَيَحْتَضِنُ الْمَاءُ أَطْيَافَهَا
 بِرَفْقٍ إِذَا الْحَرُّ قَدْ نَالَهَا
 وَتُلْقِي عَلَيْهَا الْغُصُونُ الظُّلَالَ
 حَوَانِي بِالْحُبِّ فِي نَوْمِهَا
 وَبَيْنَا تُغَنِّي أَغَانِي الْجَمَالِ
 مِيَاهُ الْجَدَاوِلِ مِلءَ الطَّرَبِ
 وَكُلُّ الْوُجُودِ قَرِيرٌ بِهَا كَمَا نَعِمَتْ بِجَمَالِ الْوُجُودِ
 رَأَاهَا «بُلُوتُو» فَتَأَقَّ إِلَى اغْتِنَامِ الَّتِي يَشْنُهَا شَرِيكُهُ
 فَلَيْسَ لِمُلْكٍ جَمَالٌ يُحِبُّ
 إِذَا حُرِمَ الْمُلْكُ عَطْفَ الْمَلِيكَةِ

أَهَابَ «بُلُوتُو» بِذَلِكَ النَّرَى
 فَشُقَّ وَأَقْبَلَ فِي مَرْكَبِهِ
 فَأَفْرَعَهَا أَنْ بَدَا عِنْدَهَا
 وَأَنَّ الْإِسَارَ غَدَا حَظَّهَا
 وَهَيْهَاتَ يُجْدِي صِيَاخُ لَهَا
 فَنَفِي لَمَحَةٍ مُسْرِعًا نَالَهَا
 وَفِي الْأَرْضِ غَارَ بِهَا وَأَنْتَهَى
 إِلَى مُلْكِهِ فَارْزَدَهَتْ كَوْكَبَهُ

وَكَانَ الرَّبِيعُ حَلِيفَ الدَّوَامِ
 عَلَى الْأَرْضِ لَا يَنْتَهِي نَضْرَةً
 فَلَمَّا مَضَتْ وَنَأَتْ «بِرْسْفُونُ»
 تَجَلَّى الشِّتَاءُ وَرَاحَ الرَّبِيعُ
 فَنَاحَتْ «دِمْتَرَا» الَّتِي اسْتَضْرَخَتْ
 لِإِنْصَافِهَا كُلَّ رَبِّ سَمِيعٍ
 وَلَكِنْ «بُلُوتُو» أَخِيرًا وَفَى
 إِلَى أُمِّهَا فَتَرَةً كُلَّ عَامٍ
 تَزُورُ بِهَا الْأَرْضَ فِي نَشْوَةٍ
 فَتَلْقَى «دِمْتَرَا» وَتَلْقَى الزُّهُورَ
 فَتَبْتَهِجُ الْأَرْضُ مِنْ زُورَةٍ
 لَهَا وَتُغْنِي نَشِيدَ السَّلَامِ
 وَتُكْسِبُهَا مِنْ حَيَاةِ الرَّبِيعِ
 رَوَاءَ يَغِيبُ بِبَاقِي الشُّهُورِ
 فِي الْأَرْضِ غَيْبَتُهَا غَيْبَةٌ
 لِأَنْسِ الرَّبِيعِ الصَّبِيِّ الْجَمَالِ
 فَيَطْغَى الشِّتَاءُ وَيَحْيَا الْوَرَى
 بِذِكْرِ الرَّبِيعِ الْحَبِيبِ الْخَيَالِ
 إِلَى أَنْ يَحِينَ الظُّهُورُ الْجَدِيدُ
 فَيَأْتِي الرَّبِيعُ وَيَمْضِي الْجَلِيدُ

الْأَرْضُ تَفْتَرُّ لَهَا خُضْرَةً
 بِالزَّهْرِ فِي مَوْجِ جَمِيلِ نَضِيرِ
 كَأَنَّهُ نَثْرُ أَعَانِي الْمُنَى
 مِنْ بَعْدِ تَجَوَّالِ لَهَا بِالْأَثِيرِ
 وَإِذْ تَعْتَلِي «بِرْسْفُونُ» الرَّبِّي
 لَتَجْمَعَ الزَّهْرَ لِإِكْلِيلِهَا

يَرُوعُهَا «بُلُوتُو» بِوُثْبٍ لَهُ
 مِنْ بَاطِنِ الْأَرْضِ لِتَذْلِيلِهَا
 كَصُفْرَةِ الْحُلَّةِ تَلْقَى لَهَا
 مِنْ صُفْرَةِ الْخَوْفِ وَلَوْنِ الْأَلَمِ
 مَرُوعَةً تَعْجِزُ عَنْ وَقْفَةٍ
 كَمَا فَاتَهَا جَمْعُ رَشِيقِ الزَّهْرِ
 فَكَانَتْ بِلَفْتَتِهَا حَايِرَةً
 تَحَدَّتْ وَخَافَتْ وَثُوبَ الْقَدَرِ
 وَمَا رَجِمَ الْقَدَرُ الْمُسْتَعِزُّ
 وَلَا هَابَ أَمْرًا إِذَا مَا اقْتَحَمَ
 وَثَارَ الْجَوَادَانِ مِنْ ثَوْرَةٍ
 لِهَذَا الضَّيَاءِ بِبَحْرِ الضَّيَاءِ
 فَقَدْ أَلْفَا ظُلْمَةً لِمَمَاتِ
 وَلَيْلُ الْمَمَاتِ بُحُورُ الْقَنَاءِ
 وَلَكِنْ «بُلُوتُو» بِبَاسٍ لَهُ
 يَصُدُّ بِقَبْضَتِهِ الثَّائِرِينَ
 وَيَرْنُو إِلَيْهَا بِسِحْرِ الْعَتِيِّ
 وَيَخْطِفُهَا بِيَدٍ مِنْ حَدِيدٍ
 وَمَا لِمَحَةِ الْفَنِّ فِي صُورَةٍ
 تَثُورُ عَلَى دَهْشَةِ النَّاطِرِينَ
 بِأَهْوَنَ مِنْ دَهْشَةِ اللَّتِي
 أَذَالَتْ نِظَامَ الرَّبِّيعِ الْفَرِيدِ
 وَصَارَتْ عَزَاءَ الْمَمَاتِ الْوَحِيدِ

الشعرة البيضاء

مَا هَذِهِ الشَّعْرَةُ الْبَيْضَاءُ مُشْرِقَةً مِنْ شَعْرِكَ الْفَاجِمِ الْمُحْفِي لِأَشْوَاقِي

لَعَلَّهَا مِنْ غَرَامِي أَشْعَلْتُ حَرْقًا ثُمَّ اسْتَحَالَتْ ضِيَاءً بَعْدَ إِحْرَاقِي
كَمْ يَحْجُبُ الشَّعْرُ مَا وَرَعْتُ مِنْ قُبُلٍ عَلَيْهِ كَالْمَاسِ طَيِّ الْمَنْجَمِ الْغَالِي
هَذِي الْحُلُوكَةُ تُخْفِي طَيِّهَا فِتْنًا مَنْ الْجَمَالِ وَتَحْوِي شَعْرَ آمَالِي
لَا تَنْهَرِينِي فَإِنِّي حِينَ أَنْظُرُهَا أَرَا قُبَّ الْحُبِّ الْوَأْنَا بِمَعْنَاهَا
كَمْ مِنْ تَحَرَّقَ قَلْبِي فِي تَأَلُّفِهَا وَمِنْ تَلَهَّفَ رُوحِي فِي ثَنَائِهَا

أركتوروس

(استغلَّ علماء مرصد هرفارد شعاع النجم أركتوروس — لسمك الرامح — في توليد تيار كهربائي أداروا به زراً خاصاً متصلًا بأسلاك الإضاءة في معرض شيكاغو الكبير سنة ١٩٣٣، فضاعت مصابيحها وانطلقت صفارته، وكان ذلك بمثابة إعلان لافتتاح ذلك المعرض العالمي.)

«أَرْكُتُورُوسُ» قَدْ جَعَلُوا شِعَاعَكَ شَبَهَ مِفْتَاحٍ
فَأَعْلَنَ فَتَحَ مَعْرِضِهِمْ وَأَشْعَلَ كُلَّ مَصْبَاحٍ
وَدَوَّى الْجَوُّ بِالتَّصْفِيرِ إِيْذَانًا بِمُعْجَزَةٍ
وَكَمْ مِنْ مُعْجَزٍ أَضْحَى كَمَا لَوْ بِلا ثِقَةٍ
فَقَدْنَا صُورَةَ الْأَبْعَادِ وَالْأَزْمَانِ فِي الدُّنْيَا
وَأَوْشَكْنَا نَرَى الْإِقْدَامَ وَالتَّجَوَّلَ فِي الْأُخْرَى
عَلَامَ نَحْنُ لِلدُّنْيَا وَنُبْدِعُ فِي مَنَاجِيهَا
إِذَا كَانَ الْمَالُ لَنَا مَالُ الْمَوْتِ يَطْوِيهَا
سَتَقْنَى الشَّمْسُ وَالْأَرْضُ وَمَا احْتَوَا وَمَا وَهَبَا
فَمَا مَعْنَى تَعَشُّقِنَا خَرَابًا بَاتَ مُقْتَرِبًا
«أَرْكُتُورُوسُ» هَذَا ضَوْءُكَ الْهَادِي يُنَادِينِي
فَمَا دَارُ الْوَرَى سَكْنِي وَلَا دِينُ الْوَرَى دِينِي
عَلَامَ أَصَوِّغُ أَشْعَارِي بِالْفَافِظِ وَأَنْغَامِ
إِذَا كَانَتْ سَتَهْوِي فِي فَنَاءٍ مِثْلَ أَيَّامِي
فَدَعْنِي مُرْسَلًا شَعْرِي إِلَيْكَ بِنَظَرَتِي الْحَسْرَى

لَعَلَّكَ فِي طَوِيلِ الدَّهْرِ تُنْفِذُ مُهْجَتِي الْحَيْرَى
فَتَحْيَا فِيكَ أَضْوَاءً وَأَحْلَامًا وَأَشْعَارًا
إِذَا كَانَ الْخُلُودُ النَّارَ فَلَأَعْبُدُ بِكَ النَّارَا

الفرّاش الهائم

أَحْسَنْتَ فِي الْإِبْدَاعِ وَالتَّصْوِيرِ
خُلِقْتَ بِمِثْلِ عَوَاطِفِي فَحَيَاتُهَا
أَحْنُو عَلَيْهَا طَائِرًا فِي نُورِهَا
فِيهَا مِنَ الْأَوْضَاعِ كُلِّ مُحَبَّبٍ
جُمِعَتْ بِرِيشَتِكَ الَّتِي خَضَعَتْ لَهَا
أَهْلًا بِهَا وَبِرَمَزِهَا وَبِكُلِّ مَا
فَأَنَا الْفَرَّاشُ أَهِيْمُ حَوْلَ زُهُورِ
قَلَقٌ وَحِرْزَمَانٌ وَحُلْمٌ ضَرِيرِ
وَالنُّورُ كَنْزُ عَوَاطِفِي وَشُعُورِي
وَبِهَا مِنَ الْأَلْوَانِ كُلِّ نَضِيرِ
أَضْبَاغُ هَذَا الْعَالَمِ الْمَسْحُورِ
حَمَلْتُهُ مِنْ وَحْيٍ وَمِنْ تَصْوِيرِ

* * *

وَشَكَّوْتُ مِنْ صَمْتِي كَأَنَّ الصَّمْتَ لِي
رُحْمَاكَ إِنِّي فِي الْعَذَابِ مُخَلَّدٌ
قَلْبٌ كَقَلْبِي لَا يَضِيقُ بِعَالَمِ
إِيَّاكَ أَنْ تَتَصَوَّرِيهِ سِوَى الْمَدَى
هَمِّي كَبَحْرِ لِلْفَنَاءِ فَغَارِقُ
صَمْتُ وَهَلْ صَمْتِي سِوَى تَعْبِيرِي
فَدَعِيَ الْعِتَابَ فَمَا عَرَفْتُ ضَمِيرِي
رَحِبٌ أَيْصَغُرُ مِنْ هُمُومِ صَغِيرِ
مِنْ رَحْمَةٍ وَهَوَى أَجَلَ طُهُورِ
فِيهِ جَمِيعُ تَهَافُتِي وَحُبُورِي

عقابك

أَيُّ لَوْنٍ مِنَ الْعِقَابِ عِقَابُ
لَهْفَ نَفْسِي تَعَاْفُ خَطَاكَ إِنِّي
أَهْ لَوْ تُدْرِكِينَ مَعْنَى وَلَائِي
أَهْ لَوْ تُعْرِفِينَ مَغْزَى سُكُوتِي
لَحَظَاتُ الْوُجُودِ يَحْمِلُنَ مِنِّي
ثَائِرَاتُ بَحْرُوتِي وَهِيَ بَعْضُ
يَتَرَاءَى عَلَى جَهَامَةِ سُخْطِكَ
مِنْ وَقَائِي أَبِي الْجُودِ بِخَطَاكَ
فِي زَمَانٍ وَلَاوُهُ كَالْعُقُوقِ
وَفُؤَادِي يَبْنُ كَالْمَصْعُوقِ
أَيُّ سُخْطٍ عَلَى الْوُجُودِ الْآثِمِ
مِنْ مَاسِي فُؤَادِي الْمَكْلُومِ

شُعْلَةَ الْهَمِّ فَاَنْتَهَتْ لِلْحَيَاةِ
غَيْرَ هَمِّ الْعِظَائِمِ الْبَاقِيَاتِ
هُمْ كَأَهْلِي لَوْ يُدْرِكُونَ وَنَفْسِي
بِئْسَ عَلَيْهِمْ وَالْمُسْتَهِينُ بِأَنْفُسِي
بِئْسَ عَنِ الْخَلْقِ فِي كُھُوفِ الْجِبَالِ
فِي وُجُودِ وَجُودِهِ كَالْخَيَالِ
وَابْتِسَامِي عَلَى بُكَائِي شَهِيدُ
مِي وَلَكِنِّي بِصَفْحِي شَهِيدُ

قَبْلَ خَلْقِ الْحَيَاةِ كَانَتْ حَيَاتِي
أَبَدِي هَمِّي وَهَلْ كَانَ هَمِّي
أَنَا أَحْيَا مَا بَيْنَ أَلْفِ حُسُودِ
حَسَدُونِي لِحُبِّهِمْ وَأَنَا الْحَا
لَيْتَنِي قَدْ حَيَيْتُ كَالرَّاهِبِ النَّا
لَيْتَنِي مَا وَجِدْتُ حَتَّى خَيَالًا
كَمْ أَعَانِي وَكَمْ أَسَامَحُ عُمْرِي
قَدْ عَرَفْتُ الْإِحْسَانَ أَجْمَلَ أَحْلَا

الحياة الكونية

وَهُمْ وَحِينَ مَدَامَعِي بَسَمَاتُ
عَرَضُ وَهَلْ عَرَضُ الْحَيَاةِ حَيَاةُ
خُطِفَتْ إِلَى الْأَجْزَامِ دُونَ تَوَانِي
وَالرُّوحُ فَوْقَ مَظَاهِرِ الْإِنْسَانِ
هَذَا الْوُجُودِ وَلَيْسَ فِي دُنْيَا الْوَرَى
عَيْشُ الثَّرَى بَدَا أَوْ اُنْدَثَرَ الثَّرَى

أَرْتِي بَنِي الْإِنْسَانِ حِينَ رَتَاؤُهُمْ
هَذِي الْحَيَاةُ هِيَ الْبَقَاءُ وَغَيْرُهَا
الْأَرْضُ إِنْ ضَاقَتْ بِهَا أَوْ لَمْ تَدَمْ
لَيْسَتْ حَيَاةُ النَّاسِ إِلَّا مَظْهَرًا
إِنَّ الْمُحِيطَ أَبُّ لَنَا وَمَدَاهُ فِي
نَمْضِي إِلَى حِضْنِ الْمُحِيطِ إِذَا غَدَا

ألحان الخلود

فَوْقَ الْأَثِيرِ إِلَى عَلَا الْأَرْوَاحِ
حَوْلِي وَحَتَّى حَسَرْتِي وَجَرَا حِي
عَنْ مَسْمَعِ الْأَهْوَاءِ وَالْأَبْدَانِ
وَلَايَ سَمْعٍ تَنْتَهِي كَأَغَانِي
لَحْنٍ تَجَرَّدَ عَنْ وُجُودِ بَاقٍ
حَيَّ الْغِنَاءُ بِقَلْبِي الْخَفَاقِ
لِلْخَالِدِينَ بِعَالَمِ الْإِحْسَانِ
فَإِنْ وَأَنْ أَبْقَتْ حَيَاةُ الْفَانِي
أَهْلُ الْفُنُونِ الْمُعْجَزِينَ فُنُونًا
وَالْفَائِضِينَ رَجَاةَ وَجُنُونًا

هَلْ هَذِهِ الْأَلْحَانُ تَنْقُلُ مُهْجَتِي
مَا لِي نَسِيتُ جَمِيعَ مَا هُوَ مَائِلٌ
لُغَةُ الْحَيَاةِ تَجَرَّدَتْ وَتَنَزَّهَتْ
مِنْ أَيِّ نَبْعٍ تَسْتَقِي أَمْوَاجَهَا
كَمْ مِنْ غِنَاءٍ مَا لَهُ نَبْضٌ وَكَمْ
لَا تَعْجَبَنَّ لِلْهَفْتِي فَعَوَاطِفِي
هَذِي مَعَانِي الْخُلْدِ وَرَعَهَا الْهُوَى
هَيْهَاتَ تَفْنَى أَوْ يَنَالُ خُلُودَهَا
هَيْهَاتَ يُدْرِكُهَا سِوَى الْأَرْبَابِ مِنْ
الْعَائِشِينَ مَعَانِيًا لَا تَنْتَهِي

روحي

بَعَثْتُ اللَّحْنَ فِي شِعْرِي لِنَفْسِي
فَمَا لِلْكُونِ مُسْتَمْعًا لِشِدْوِي
أَهَذَا وَهُمْ مَجْنُونُونَ بِرِيٍّ
وَهَلْ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ بِنَفْسِي
أَرَى رُوحِي تَعَاثُرَ حُدُودِ جِسْمِي
تَغْلَغَلُ نُورَهَا فِي الْكَوْنِ طُرًّا

قسوة الحب

أَقْسُو عَلَيْكَ؟ نَعَمْ هَوَايَ الْقَاسِي
مُسْتَوْعِبًا ذُخْرَ الْحَيَاةِ فَإِنَّمَا
فِي كُلِّ مَا خَطَفْتَهُ عَيْنِي أَوْ فَمِي
وَمَفَاتِنُ سَنَى أَعِيشَ لِأَجْلِهَا
فَتَسَامِحِي فِي نَظْرَتِي وَتَهَافُتِي
وَدَعِي احْتِصَانِي لِلْأُلُوهَةِ مِثْلَمَا
لَمْ تَسْأَمِي مِنْهُ وَكَمْ فِي لُثْمِهِ
فَعَلَامُ أَشْكِي مِنْ تَهَافُتِ مُهْجَتِي
مَنْ ذَا يَرَاكَ وَلَا يَوَدُّ لِرُوحِهِ

الأحياء

غَرَانِيقُ لَمْ تَنْطِقْ وَلَا هِيَ أَوْمَاتُ
فَنَاجَيْتُهَا حَتَّى كَأَنِّي أَرَى بِهَا
فَلَيْسَ بِنَحْتِ مُشْرِقٍ مَا شَهِدْتُهُ
وَلَكِنَّهَا الْأَحْيَاءُ بِالْفَنِّ حِينَمَا

وَلَكِنْ أَطَلَّ الْفَنُّ مِنْهَا لِمَنْ سَمَا
ذَوِيهَا وَمَنْ قَدْ صَاغَهَا أَوْ تَوَهَّأَ
وَقَدْ شَمْتُ فِيهَا الرُّوحَ وَاللَّحْمَ وَالْدَّمَ
إِلَيْهَا انْتَمَى الْفَانُونَ وَالْخَالِدُ انْتَمَى

الجازبية

وَالنَّاسُ بَيْنَ تَلَفُتٍ وَحُبُورٍ
مَا دَامَ غَيْرُكَ مُسْتَمَدَّ النُّورِ
حَسَنٌ وَلَكِنْ لَا تَنَالُ فُؤَادِي
مُتَصَوِّفٍ مُتَنَوِّعِ الْإِنْشَادِ
لَكِنَّهَا لَيْسَتْ مَعَانِي رُوحِي
وَمُوَاسِيَا وَمُدَاوِيَا لَجُرُوحِي
نَبْعُ الْحُنُوِّ مُلَطَّفًا أَشْجَانِي
وَمَفَاتِنِ الْإِحْسَانِ لِلدِّيَانِ
فِي تَغْرِكَ الْوَضَاءِ بِالْبَسَمَاتِ
حَرْبٌ فَمَا يَعْدُو جَمَالَ مَمَاتِ

تَمْضِي نَمَازِجُ كُلِّ حُسْنٍ رَائِعٍ
وَأَنَا الَّذِي وَحْدِي أَرَى الْحِرْمَانَ لِي
مُثْلٌ مِنَ الْأَصْنَامِ تَمْضِي كُلُّهَا
وَلَيْنٌ فِتْنَتْ بِهَا فِفْتَنَةُ عَازِفٍ
هَذِي الْمَعَانِي لِلْحُسَانِ حَبِيبَةٌ
لَمْ أَلَقْ غَيْرَكَ عَارِفًا أَسْرَارَهَا
عَيْنَاكَ أَشْعَلَتَا الْغَرَامَ وَفِيهِمَا
وَعَلَى مُحْيَاكِ الْحَبِيبِ سَمَاحَةٌ
الْجَازِبِيَّةُ مِنْكَ أَشْهَى نِعْمَةً
مِنْ كُلِّ لَوْنٍ لِلْجَمَالِ كَأَنَّهُ

ثورة ببعاء (البيئة الطائشة)

مِنْ غِرَّةِ فَأَانَا الَّذِي أَخْشَاهَا
كَمَقَالَةٍ لِلسُّوءِ لَا أَرْضَاهَا
هَلْ تَسْمَعِينَ وَتَفْقَهِينَ مَقَالِي
صَوْتًا كَصَوْتِكَ أَنْ يَنَالَ خَيَالِي
لَسْتُ الَّذِي يَهْفُو إِلَى الْأَبْوَابِ
قَلَقٌ فَمَا حَظِّي مِنَ الْإِقْلَاقِ

الْبَبْعَاءُ تَتُورُ ضِدِّي؟ يَا لَهَا
بَاعَدْنَاهَا جُهْدِي فَإِنَّ مَقَالَهَا
يَا بَبْعَاءُ تَرْفُقِي لَا تُسْرِفِي
سَيَّانَ مَدْحِكَ أَوْ قِلَاقٍ فَجَنَّبِي
مَا كَانَ رَأْيِكَ بِالَّذِي أَعْنَى بِهِ
لَكِنَّ صَوْتِكَ فِي كَابَةِ وَقْعِهِ

أكر الضياء

هَذِي الْمَصَابِيحُ الَّتِي تَتَلَا
خُبَيْثٌ عُيُونُ السَّاجِرَاتِ مُحَالَا
مَنْحَتُهُ فِي كَهْفِ الْإِلَهِ تَعَالَى
يَلْقَى الْغِذَاءَ أَشْعَةً وَخِيَالَا
وَهُوَ بِمَوْجٍ لِلضِّيَاءِ تَوَالَى

يَا لِلْوَلِيدِ الصُّبْحِ تُطْفَأُ حَوْلُهُ
مَا بِأَلْهَا اخْتُطِفَتْ أَوْ انْطَفَأَتْ كَمَا
هَلْ كَانَ أَوْلَى مِنْهُ بِالْأَنْسِ الَّذِي
أَكْرُ الضِّيَاءِ أَحَبُّ لِلطِّفْلِ الَّذِي
قَدْ غَابَ هَذَا اللَّيْلُ حِينَ تَدَحَّرَجْتُ

يَا لِلصَّبَاحِ مِنَ الْأُمُومَةِ إِنَّهَا رَبَّتْهُ فِي حِضْنِ الْفَنَاءِ فَرَاةً
وَلَّى سَرِيْعًا فِي كُھُولَةِ حَالِمٍ وَهُوَ الْوَلِيدُ وَمَا عَدَا الْأَطْفَالَ^{١٨}
فِيغِيْبُ فِي أَكْرِ الضِّيَاءِ كَأَنَّهُ طَيِّفُ أَلَمٍ بِنَا وَرَدَّ سُؤَالَ

الحراس

(رأى الشاعر أشجارًا حائطةً روضًا لحمايته حيثما هي عرضة للتلف من عصف الرياح.)

مَا لِي أَرَاكَ وَقَفْتَ فِي صَمْتٍ عَلَى مَرِّ السَّيْنِ
هَلْ أَنْتِ حَارِسَةٌ عَلَى هَذَا الْجَمَالِ مِنَ الزَّمَانِ
تَمْضِي السَّيْنُ وَأَنْتِ فِي هَذَا التَّفَرُّسِ لَا يَلِينُ
لَا تَعْرِفِينَ النَّوْمَ لَا بَلْ لَا سَلَامَ وَلَا أَمَانٍ

* * *

غَرَسُوكِ حَائِطَ رَوْضِهِمْ فَالرَّوْضُ مُلْتَفِتٌ إِلَيْكَ
نَاجَاكِ مِلْءَ النُّورِ ثُمَّ دَعَاكَ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ
فَإِذَاكَ مَوْئِلُ هَذِهِ الْأَرْوَاحِ جَائِمَةٌ لَدَيْكَ
مِنْ كُلِّ زَهْرٍ حَظُّهُ مَرَاكِ حَتَّى لَا يُضَامَ

* * *

وَبَقِيَتْ أَنْتِ أَسِيرَةٌ لِلْأَرْضِ تَحْمِينُ النَّبَاتِ
مِنْ كُلِّ عَصْفٍ لِلرِّيَّاحِ وَكُلِّ سَهْمٍ لِلضِّيَاءِ
وَتُعَرِّضِينَ جَمَالَكَ الْمَأْمُولَ فِي وَجْهِ الْمَمَاتِ
يَا لِلصَّحِيَّةِ هَكَذَا الدُّنْيَا تَهَاوِيلُ الْفَنَاءِ

المنصورة

^{١٨} ولم يتجاوز سنَّ الطفولة.

(زار الشاعر مدينة المنصورة بعد غيبة أعوام طويلة فألهمته هذه الخواطر.)

مَدِينَةَ الْحُبِّ وَالْجَمَالِ أَرَاكَ كَالْحُلُمِ فِي الْخَيَالِ
عِشْرُونَ عَامًا كَأَنْتَ حَبَابًا كَأَنْنِي سَاكِنُ الْجِبَالِ
فَلَا زَمَانٌ وَلَا رَجَاءُ سِوَى رَجَاءِ مِنَ الْمُحَالِ
وَالآنَ أَلْقَاكَ بَعْدَ نَفْيِي فِي عَالَمِ الْيَأْسِ وَالْخَبَالِ
أَلْقَاكَ بِسَامَةٍ كَأَنْنِي أَتَيْتُ فِي مَوْعِدِ الْوَصَالِ

* * *

يَا دُمِيَّةَ النَّيْلِ فِيكَ سِحْرٌ لِلْعَصْرِ وَالْأَعْصُرِ الْخَوَالِي
لَمْ تَسْأَمِي نَظْرَةً إِلَيْهِ كَأَنَّهَا نَظْرَةُ ابْتِهَالِ
مَرَّتْ عُصُورٌ وَأَنْتِ سَكْرَى بِمَائِهِ الْمُسْكِرِ الزُّلَالِ
وَمَوْجُهُ مَائِلٌ لَدَيْكَ عَلَى اضْطِدَامٍ وَفِي اقْتِتَالِ
وَأَنْتِ مَنْصُورَةٌ تَسَامَتْ بِالْحُبِّ فِيهَا وَبِالْجَمَالِ
فَالنَّيْلُ عَبْدٌ لَهَا حَبِيبٌ وَحُسْنُهَا عَبْدُهُ الْمُوَالِي

* * *

مَدِينَةَ الْفَنِّ خَبَّرِينِي كَمْ شَاعِرٍ فِيكَ لَمْ يُغَالِ
مَدِينَةَ النُّورِ أَيُّ نُورٍ بَلَا انْتِهَاءٍ وَلَا انْتِقَالِ
كَمْ مُتَحِفٍ فِيكَ مِنْ عُيُونٍ وَمِنْ خُدُودٍ وَمِنْ جَلَالِ
وَالشَّمْسُ عِنْدَ الْأَصِيلِ حَيْرَى عَلَى حَيْنٍ وَفِي اشْتِعَالِ
وَتَلْنُمُ الْمَاءُ فِي لَهَيْبٍ كَأَنَّهُ حَسْرَةُ الزُّوَالِ
وَتَخْضِبُ الْأَفَقَ بِالْأَمَانِي قَتِيلَةَ الْحَرْبِ لِلْيَالِي
فَتُطْلِعِينَ الْخُبُورَ صَرْفًا شُمُوسَ حُسْنٍ بَلَا مِثَالِ
مِنْ كُلِّ ظَمَانَةٍ لَدَيْهَا مَنَاهِلُ الْفَنِّ وَالْكَمَالِ
مُجَدِّدَاتٍ لَنَا الْأَمَانِي بَلَا خُضُوعٍ وَلَا تَعَالِي
فَكَمْ خِطَابٍ بَلَا حَدِيثٍ وَكَمْ عَطَاءٍ بَلَا سُؤَالِ
وَكَمْ حُرُوبٍ بَلَا قِتَالِ وَكَمْ سَلَامٍ بَلَا امْتِثَالِ

جَزَائِرُ النَّيْلِ^{١٩} شَاهِدَاتُ
وَالشَّاطِئُ الْمُسْتَعِزُّ زَهُوًا
وَكُلُّ نُورٍ فِي الْمَاءِ يَجْرِي
عَوَاطِفُ هُنَّ شَاخِصَاتُ
النَّبْتُ وَالنَّاسُ وَالْمَغَانِي^{٢٠}
وَمُسْتَطَابُ النَّسِيمِ يَسْرِي
عَوَاطِفُ هُنَّ فَاتِنَاتُ
فَكُلُّ شَيْءٍ أَرَاهُ حَيٌّ
وَالْجَوْ فِيهِ مِنَ الْمَعَانِي

* * *

يَا دُمِيَّةَ النَّيْلِ مَنْ مُعِيدِي
كَمْ مِنْ «مِثَالٍ»^{٢١} لَدَيْكَ يُوجِي
لِسَاعَةِ فِيكَ وَابْتِهَالِي
لِلشَّاعِرِ النَّادِرِ الْمِثَالِ

العناق

لَمْ أَنْسَ رَعَشَتِكَ الَّتِي لَمْ تَكْتَمِلْ
قَدْ كُنْتُ كَالطَّيْرِ الْحَبِيسِ مُبَلَّلًا
تَتَنَفَّسِينَ بِلَهْفَةٍ وَكَأَنَّ مَا
يَا لِلْأُنُوثَةِ فِي انْطِلَاقِ جَمَالِهَا
أَفَلَتْ خَادِعَةً وَمَا أَفَلَتْ مِنْ
وَالطَّيْرِ تَعَجَّبُ مِنْ خِدَاعِكَ حِينَمَا
النَّاسُ تَهْرُبُ مِنْ نَوَازِعِهِ كَمَا
وَلَوْ أَنَّهُمْ عَرَفُوا الْحَيَاةَ وَسَرَّهَا

^{١٩} إشارة إلى الجُزُر التي تظهر في النيل أمام المنصورة عند انخفاض مستوى النهر.

^{٢٠} المنازل.

^{٢١} يعني نموذجًا فنيًا للجمال.

وَالدَّهْرُ يَضْحَكُ مِنْ غَبَاوَتِهِمْ وَقَدْ
هَيْهَاتَ مَهْرَلَهُ الْحَيَاةِ صَنِينَةً
مَنْ لَمْ يَذُقْ مِنْ زَادِهَا وَرَحِيقِهَا
ظَنُّوا نَعِيمَ الْحُبِّ لِلتَّغْمِيرِ
إِلَّا بِكُلِّ حَدِيدَةٍ وَغُرُورِ
سَيَمُوتُ فِي الْحِرْمَانِ مَوْتَ ضَرِيرِ

الفاكهة المحرّمة

أَيُّهَا الطِّفْلُ يَا فُؤَادِي تَمَهَّلْ
تَعَشَّقُ الْحُسْنَ حِينَمَا الْحُسْنُ أَلْوَا
أَلْفَ لَوْنٍ مِنَ الْجَمَالِ تَرَاءَتْ
كَيْفَ لَمْ تَذَرِ أَنَّ هَذَا حَرَامٌ
هَكَذَا الْحُسْنَ مِثْلُ فَاكِهَةِ الْجَنَّةِ
هَكَذَا الْحُسْنَ أَيُّهَا الطِّفْلُ مَسْجُودٌ
هَكَذَا شِرْعَةُ الْأَنَامِ وَكُلُّ
قَدْ تَمَادَيْتَ فِي الَّذِي قَدْ هَوَيْتَا
نُ فَيَا مُسْرِفًا بِمَا قَدْ عَشَقْتَا
كَيْفَ تَهْوَى جَمِيعَ مَا قَدْ رَأَيْتَا
وَسَوَاءَ رَضِيَّتَهُ أَمْ أَبَيْتَا
سَهْ يُغْوِي وَخَاسِرٌ إِنْ غَوَيْتَا
نُ وَفِي سَجْنِهِ يُحَاكِي الْمَيِّتَا
خَادِعٌ نَفْسَهُ حَيَاةً وَمَوْتَا

صلاة الصبح

غَرَّدِي يَا طُيُورُ إِنَّ صَلَاتِي لِلْإِلَهِ مِنْ نَفْسٍ يَنْبُوعِ لَحْنِكَ
أَسْتَبِينُ الْأَلْحَانَ كَالْجَدُولِ الْجَارِي فَهَلْ كَانَ فِي صَلَاةٍ بِفَنِّكَ
مَا أَحَبَّ الْجَمَالَ فِي وَقْفَتِي هَذِي أَمَامَ الْأَغْصَانِ وَالْفَجْرِ زَانِي
كُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ مِنْ مَسْحَةِ الْخَالِقِ حُسْنٌ مُنَوَّعُ الْإِحْسَانِ
مَا أَحَبَّ الشَّرُوقَ وَالشَّمْسُ مَا زَالَتْ كَنَعَسَانَةٍ تَعَاثُ الصَّبَاحُ
نُمَّ تَرْمِي نِقَابَهَا فِي شُعَاعٍ وَشُعَاعٍ وَتَسْتَطِيبُ الْمِرَاحُ
فَإِذَا بِالْوُجُودِ يَرْبُو إِلَيْهَا فِي اغْتِبَاطٍ كَمَا رَنْتَ لِلْوُجُودِ
وَإِذَا بِالنَّفُوسِ تَخْشَعُ لِلْخَالِقِ مِنْ وَحْيِ نُورِهِ الْمَمْدُودِ

البيت

(على لسان تلميذ.)

بَيْتِي وَهَلْ بَيْتِي سَوَى جَنَّتِي
يَحْنُو وَكَمْ يَحْنُو عَلَى مُهْجَتِي
مِنْ زَهْرِهِ الْبَاسِمِ مِنْ عُشْبِهِ
مِنْ طَيْرِهِ الْعَابِثِ فِي وَثْبِهِ
مِنْ كُلِّ نُورٍ أَوْ ظِلَالٍ بِهِ
أَسْتَقْبِلُ التَّرْحِيبَ مِنْ حُبِّهِ
وَأَسْمَعُ أَقْدَامِي لَهَا كَالصَّدَى
فَكُلُّ مَا حَوْلِي صَدِيقٌ إِذَا
فَكُلُّ مَا فِيهِ عَزِيزٌ حَبِيبٌ
وَكُلُّ مَا فِيهِ عَطُوفٌ رَقِيبٌ
مِنْ مَائِهِ الْعَاثِرِ فَوْقَ الْحَصَى
مِنْ كُلِّهِ اللَّاعِبِ مِثْلَ الْقَطَا
وَكُلُّ صَوْتٍ أَوْ سُكُوتٍ عَمِيقٍ
وَالْمَحْ الْحُبُّ يَشُقُّ الطَّرِيقَ
مِنْ سَقْفِهِ أَوْ مِنْ جِدَارِ تَحَايَا
عَبَسْتُ لَمْ يَعِشْ وَنَاجَى رِضَايَا

الصديقان

(على لسان تلميذ.)

أَوَّلُ الْأَصْدِقَاءِ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ وَابْقَاهُمُو بِخَيْرِي وَسُقْمِي
وَالِدٌ مُنْجِبٌ وَأُمٌّ إِلَيْهَا وَإِلَيْهِ مَلَأْتُ رُوحِي وَجِسْمِي
كَيْفَ أَنْسَاهُمَا وَكَيْفَ تَرَانِي مُنْكَرًا لِلْوَلَاءِ أَوْ لِلْجَمِيلِ
أَنَا قَلْبَاهُمَا وَهَذِي حَيَاتِي لَهُمَا وَهِيَ لِلرَّجَاءِ النَّبِيلِ
جَاجِدُ الْوَالِدَيْنِ مَا كَانَ إِلَّا جَاجِدًا رَبُّهُ وَجَاجِدَ نَفْسِهِ
طَائِعُ الْوَالِدَيْنِ مَا كَانَ إِلَّا عَارِفًا نَفْسَهُ وَمَنْبَعُ أَنْسِهِ

ذكرى حافظ إبراهيم

(لمناسبة مرور عام على وفاته.)

الذُّكْرُ ذِكْرُكَ يَا أَدِيبَ النَّبِيلِ
يَا مُخْلِداً لِلضَّارِ فِي أَشْعَارِهِ
فَتَشْتُ عَنْ قَبْرِ حَنْتَ لِرُكْنِهِ
يَا شَاعِرًا غَرِداً بِكُلِّ نَبِيلِ
مَجْداً مِنَ الْإِحْسَانِ وَالتَّجْمِيلِ
حَتَّى أَبْجَلَ فِيهِ شِعْرَ الْجِيلِ

وَأَقْبَلَ الْحَجَرَ الَّذِي حَرَسَ الْعَلَا
وَأَجَدَّ الْعَهْدَ الَّذِي أَزَكَيْتَهُ
فَعَيَّيْتُ حِينَ الْمَوْتِ يَنْظُرُ حَائِرًا
وَرَجَعْتُ وَالْحُزْنَ الدَّفِينِ يَمْضُنِي
وَأَكَادُ أَفْقَدُ كُلَّ إِيمَانِي بِمَا
قَدْ عَشْتُ مَحْبُوبًا وَمَجْهُولًا كَمَا
فِي بَيْتَةِ أَمْسَى الدَّخِيلِ أَصِيلَهَا

* * *

يَا أَوْحَدَ الْفُصْحَاءِ فِي تَبْيَانِهِ
قَدْ كُنْتُ تَفْتَنُ بِالْجَمَالِ وَهَذَا أَنَا
وَطُنُّ الْعَبَاقِرَةِ الَّذِينَ تَفْتَنُوا
لَمْ يَجْحَدُوا وَلَيْسَ يَجْحَدُ «حَافِظًا»
أَبْنَاؤُهُمْ مِلَّةُ الزَّمَانِ تَوَثُّبًا
ذَكَرُوا ذِكْرَ الْأَنْبِيَاءِ فَإِنَّمَا
وَدُّوكَ حَلِيَّةَ تَغْرِهْمُ فَلَطَالَمَا

خُذْ مِنْ رِثَاءِ الْحُبِّ كُلِّ جَلِيلٍ
أَرْثِيكَ فِي بَلَدٍ عَشَقْتَ جَمِيلٍ^{٢٢}
فَتَأَلَّهُوا بِالسَّحْرِ وَالتَّنْزِيلِ
مَنْ عَبَّ يَوْمًا مِنْ رَجِيْقِ «النَّيْلِ»
وَالْفَرْدُ مِنْهُمْ فِي مَقَامِ قَبِيلٍ
يَنْسَاكَ أَهْلُ الْبَغْيِ وَالتَّضْلِيلِ
حَفَلُوا بِشَعْرِكَ قَبْلَ كُلِّ نَزِيلٍ

* * *

نَمْ يَا أَخَا الْبُؤْسَاءِ نَوْمَةً هَانِيً
نَفْسُ كَنْفَسِكَ لَنْ تَرَى النُّعْمَى لَهَا
زُمَرٌ بِأَذْهَانِ الْقَطَا وَشُخُوصُهُمْ
لِفُطُوحِ حُقُوقِ النَّابِغِينَ وَإِنْ بَكَوْا
يَبْكُونَ مِنْ فَرْطِ الدُّهُولِ وَلَيْتَهُمْ
فَكَأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ وَفَاءَهُمْ
حَتَّى إِذَا تَابُوا إِلَى أَحْلَامِهِمْ

فَالْظُلُّ بَيْنَ النَّاسِ غَيْرُ ظَلِيلٍ
فِي بَيْتَةِ التَّهْرِيجِ وَالتَّدْجِيلِ
مِنْ كُلِّ ضَخَمٍ فِي تَخَطُّرٍ فِيلٍ
يَوْمَ الرَّجِيلِ وَكَمْ بَكَوْا لِرَجِيلٍ
لَبِثُوا عَلَى نَدَمٍ وَفَرَطٍ ذُهُولٍ
بِعُقُولِهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ لِعُقُولٍ
تَرَكَوْا النَّبُوعَ يَمُوتُ مَوْتُ دَلِيلٍ

* * *

لِلَّهِ أَعْوَامٌ مَضَتْ لَمْ أَنْسَهَا
وَمَوَاقِفٌ لَكَ عَلَّمْتَنَا أَنْ نَرَى
يَا لَيْتَ دَرَسَكَ لَمْ يَغِبْ فِي أُمَّةٍ
تَنْسَى عِظَاتِ الدَّهْرِ وَهِيَ شَوَاحِصُ
وَالدَّهْرُ خَيْرٌ مُؤَدَّبٌ فَإِذَا شَكَا
مَنْ لَمْ يُؤَدِّبْهُ الزَّمَانُ فَإِنَّهُ
يَوْمًا فَأَنْسُكَ رَاحَ كُلُّ خَلِيلٍ
مَعْنَى الْحَيَاةِ فَكُنْتُ خَيْرَ رَسُولٍ
ظَمَأَى إِلَى التَّكْرَارِ وَالتَّفْصِيلِ
وَتَحَنُّنٍ لِلْأَوْهَامِ وَالتَّخْيِيلِ
مِنَّا فَسَخَطُ الدَّهْرِ غَيْرُ ضَائِلٍ
وَهُوَ السَّلِيمُ يَعِيشُ عَيْشَ عَلِيلٍ

* * *

أَبْنَاءُ مِصْرَ بِنَاؤُهَا وَرَجَاؤُهَا
هُرَعُوا لِذِكْرِكَ فَلْتَطْبُ بِوَفَائِهِمْ
وَضِيَاؤُهَا فِي فَجْرِهَا الْمَأْمُولِ
رُوحًا وَغَبٌ كَكُنُوزِ وَادِي النِّيلِ

الشمس الغريقة

أَرَى الشَّمْسَ قَدْ سَقَطَتْ فِي الْعِبَابِ
وَمَا ذَلِكَ اللَّهَبُ الْمُسْتَثَارُ
أَفِي الْمَاءِ نَجْوَى فُؤَادِي الْحَزِينِ
وَأَيُّ لَظَى فِي صَمِيمِ الْمِيَاهِ
فَمَا بَالُهَا الْآنَ لَا تَنْطَفِي
عَلَى الْمَاءِ مِنْ وَقْدِ رُوحِ خَفِي
يُنَاجِي الشِّقَاءَ فَمَا يَشْتَفِي
سِوَى الْحُبِّ يَغْزُو وَلَا يَكْتَفِي

* * *

وَقَفْنَا عَلَى الْيَمِّ عِنْدَ الْغُرُوبِ
فَأَسْمَعْنَا الْمَاءَ صَوْتَ الشَّجِيِّ
وَقَدْ عَثَرْتُ فِي خُيُوطِ الضِّيَاءِ
فَأَشْعَلَتْ الْبَحْرَ مِنْ سِحْرِهَا
وَكَمْ فِي الْغُرُوبِ أَسَى لِلْقُلُوبِ
وَرَفَّ عَلَى النُّورِ رُوحُ الْكَثِيبِ
فَتَاةُ السَّمَاءِ بِمَوْجٍ عَجِيبٍ
وَمَا سِحْرُهَا غَيْرُ رُوحِ الْأَدِيبِ

* * *

وَفِي لَحْظَةٍ غَابَ ذَاكَ اللَّهَبُ
فَيَا عَجَبًا لِمُصْرُوفِ الْقَدَرِ
فَمَا هُوَ فَإِنْ نَرَاهُ خَلَدَ
وَقَدْ جَنَحَتْ مُهْجَتِي لِلطَّرَبِ
وَقَدْ كُنْتُ أَحْسَبُهُ لَا يَغِيبُ
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ شَيْءٌ عَجِيبُ
وَمَا هُوَ بَاقٍ بِسِحْرِ يَذُوبُ
كَأَنَّ السُّرُورَ وَلَيْدُ الْكَثِيبِ

* * *

وَحَانَ الْوَدَاعُ وَكَمْ فِي الْوَدَاعِ
فَلَاخَتْ لِفَاتِنَتِي عَبْرَةٌ
وَقَدْ رَأَتْ الشَّمْسُ مَرَأَى الْفَنَاءِ
فَرِيعَتْ لِمَضْرَعِنَا الْأَدْمِيِّ
بِمَاءٍ تَرَأَقُ وَعُمْرُ يُضَاعُ
عَلَى خَدَّهَا كَلْطَى فِي شِعَاعِ
وَقَدْ غَرَقَتْ وَهِيَ رَبُّ يُطَاعُ
وَهَذِي الْأُلُوهَةُ تَلْقَى الصَّرَاعُ

جسر الأحلام

عَبَرْتُ عَلَيْكَ يَا جِسْرَ الْأَمَانِي
فَجَزْتُ إِلَى مَدَى حُلْمٍ عَمِيقِ
وَلَكِنْ مِنْ صَمِيمِي مُسْتَمِدٌّ
وَمَنْ يَظْفَرُ بِهَذَا الْحُلْمِ أَوْلَى
وَيَا جِسْرَ التَّخِيلِ فِي غَرَامِي
وَمَا حُلْمِي كَأَحْلَامِ الْأَنَامِ
وَمِنْ خَلْفِ الْمَرَاثِي وَالْمَرَامِي
بِهِ مَرَحُ التَّفَاوُلِ وَالتَّسَامِي

* * *

وَأَلْفَنَّا التَّجَاوُبُ فِي الْأَمَانِي
كِلَانَا نَفْسُهُ الْحَيْرَى بِحَرْبِ
تَسَاقَيْنَا الْهُوَى صِرْفًا وَكَانَتْ
وَمَنْ لَا بُدَّ يَرْتَشِفُ الْمَنَايَا
فَلَمَّا أَدْرَكْتَ حُلْمِي وَرُوجِي
أَبَتْ أَنْ نَغْتَدِي فِي الدَّهْرِ وَهْمَا
وَجَمَعْنَا التَّبَسُّمُ لِلْسَقَامِ
وَبَعْضُ الْحَرْبِ مِنْ رُوحِ السَّلَامِ
تَهَابُ الْكَأَسِ مِنْ هَذِي الْمُدَامِ
أَيَخْشَى الْكَأَسِ مِنْ رَاحِ الْغَرَامِ
وَأَنَّ الْحِظَّ نَهَبُ لِاقْتِسَامِ
مِنْ الْأَوْهَامِ أَوْ بَعْضُ الْحُطَامِ

المومياء

أَسِيرٌ وَكَمْ أَرَى فِي النَّاسِ حَوْلِي
كَأَنَّ السَّحَرَ جَدَّدَهُ وَلَكِنْ
فَأَبْصُرُ فِيهِ صُورَةَ أَدْمِي
فَهَلْ رَحَلَ الْوَرَى عَنْ مِصْرَ حَتَّى
وَلَكِنْ الْفَنَاءُ يُطِلُّ مِنْهُمْ
أَسِيرًا حَالَهُ كَالْمُومِيَاءِ
يَلُوحُ بِهِ التَّعَمُّقُ فِي الْفَنَاءِ
وَمَا أَلْقَى بِهِ مَعْنَى الرَّجَاءِ
رَأَيْنَا الْمَيِّتَ يَرْجِعُ لِلْوَفَاءِ
وَأَهْلُ الْأَمْسِ مِنْ أَهْلِ الْبَقَاءِ

صورة

أَمِنْ صَمِيمِ الْهَوَى أَمْ رُوحَ دَيَّانٍ
يَا صُورَةَ مَنْ مَعَانِ كُلُّهَا طُرْفُ
إِنِّي فَقِيرٌ إِلَى الْأَمَالِ أَرْشُفُهَا
إِنْ لَمْ يَكُنْ لِأَعَارِيدِ أُرْتُلُهَا

هَذَا الْخَيَالُ الَّذِي وَافَى وَحْيَانِي
أَهْلًا بِعُطْفٍ حَبِيبٍ مِنْكَ وَاسَانِي
مَنْ صَمْتِكَ الْعَذْبُ أَوْ مِنْ ظِلِّكَ الْحَانِي
هَذَا الْجَمَالُ فَقَدْ ضَيَّعْتُ أَلْحَانِي

* * *

بَعَثْتُ رَسْمَكَ فِي وَشِي الصَّبَا نَضْرًا
مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ أَشْبَعْتَنِي قُبَلًا
أَوْ كَانَ ضَرْكَ لَوْ بَادَلْتَنِي صُورًا
كَانَتْ أَحَبَّ إِلَيَّ نَفْسِي وَإِنْ ظَمِئْتُ
وَاهَا عَلَيْنَا وَرَاحَ الْحُبِّ دَانِيَّةُ
لَا يَنْضُرُ الْحُبُّ إِلَّا مِنْ مُبَادَلَةٍ

وَلِلصَّبَا فِي الْمَعَانِي جَمُّ أَلْوَانِ
فَإِنَّهَا صُورٌ مِنْ رُوحِكَ الْهَانِي
مَنْ الْحَنِينَ فَخَمَّرُ الْحُبِّ إِيْمَانِي
مَنْ الْخَيَالِ وَإِنْ نَاجَاهُ وَجْدَانِي
فَنَكْتَفِي بِشَدَى لِلْحُبِّ رُوحَانِي
فَالْحُبُّ نَشْوَةُ أَرْوَاحٍ وَأَبْدَانِ

تناحر الأضداد

كَمْ أَمَلًا الدُّنْيَا ثَنَاءً أَوْ رَضًا
وَأَنَا الَّذِي أَحْيَا الزَّمَانَ شَقَاوَةً
أَحْيَا بِكُلِّ دَقِيقَةٍ تَمْضِي كَمَا
غَنَيْتُ أَضْعَافَ الَّذِي أُعْطِيتُهُ
كَمْ مِنْ هُمُومٍ قَدْ طَرَحْتُ تَوَجُّعِي
وَحَجَلْتُ مِنْ بَثِّي الْقَلِيلِ كَأَنَّمَا
إِنَّ الْحَيَاةَ جَمِيلَةٌ لَكِنَّمَا

عَنْ لَحْظَةٍ لِلْأُنْسِ وَالْإِسْعَادِ
فَأَعُودُ أَغْفِرُ شِقْوَتِي وَجْدَانِي
أَهْبُ الْحَيَاةَ رَجَاءَهَا بِفُقَادِي
حَتَّى حَسِبْتُ الْمُسْعَدَ الْمُتَهَادِي
مِنْهَا وَطُولَ تَحْرِقِي وَسَهَادِي
عَصَفُ الرِّيَّاحِ يَطِيبُ لِلْأَطْوَادِ
قَتَلَ الْجَمَالَ تَنَاحَرُ الْأَضْدَادِ

في المنفى

نَعَمْ مَنَفَايَ أَشْعَارِي
أَعِيشُ بِهَا عَلَى حِدَةٍ

وَمَلَقَى النُّورِ وَالنَّارِ
وَنَفْيِي عَيْشٌ أَحْرَارِ

حَيَاةٌ مَا لَهَا أَمَدٌ
أُسْجِلُ كُلَّ مَا حَوْلِي
حَزِينًا سَاخِطًا مَرَحًا
أَعِيشُ بِكُلِّ مَعْنَى الْعَيْدِ
كَأَنِّي مَدُّ وَلَدْتُ حَيِّبِ
أُبَادِلُ مَا حَوَاهُ الْكُوْ
فَلَا هُوَ دَائِنِي أَبَدًا
وَإِنْ عَبْدَ الْجَمَالِ بِهِ
وَمَنْ يَحْيَا بِهِذَا النَّهْ
وَلَمْ يَغْبَأْ بِتَمَجِيدِ
يَعِيشُ لِغَيْرِهِ أَبَدًا
فَهَذِي نَفْسِي الْكُبْرَى
تَنَاءَتْ فِي مَجَاهِلِهَا
وَلَمْ تَسْفِرْ لِقَارِيهَا
وَمَنْ يَحْيَا حَيَاةَ الْعُشْ

عَلَى سَفَرٍ وَأَخْطَارِ
وَأَخْلُقُ حُلُمَ أَقْدَارِ
عَتِيًّا غَيْرَ جَبَّارِ
شَحْنٍ أَنَا بِهِ الرَّارِي
تُ فِي يَقْظَاتِ قَهَّارِ
نُ إِحَائِي وَأَنْظَارِي
وَلَا أَنَا عَبْدُهُ الْجَارِي
فُؤَادِي شَبَهُ مُخْتَارِ
ي لَمْ يَحْفَلْ بِأَوْطَارِ
وَإِنْ يَغْبَأُ بِإِيْثَارِ
وَإِنْ لَمْ يَحْظَ بِالْغَارِ
إِذَا أَرْضَاكَ إِصْغَارِي
وَمَنْفَاها بِأَشْعَارِي
إِذَا لَمْ يَقْبَلِ الْقَارِي
بِ لَمْ يَطْفُرَ بِأَغْوَارِي

جو اللقاء

أَوْدُ أَلْقَاكَ لَكِنْ مِلءَ عَاطِفَةٍ
أَيَّامَ كَانَ الْهَوَى دِينًا يُدَانُ بِهِ
لَا تَسْأَلِي شَاعِرًا إِلَّا عَوَاطِفَهُ
أَوْدُ أَلْقَاكَ لَكِنْ حِينَ أَنْظُرُ لَا
دَعِي جَنَانِكَ لِلْأَيَّامِ تَعْبُدُهُ
أَوْدُ أَلْقَاكَ فِي سُكْرِ وَفِي لَهْفٍ
فَنَشْتَفِي بِالْهَوَى مِمَّا يُعَذِّبُنَا
أَوْدُ أَلْقَاكَ وَالْأَقْدَارُ غَافِلَةٌ
فَلَا أَرَاكَ عَلَى خَوْفٍ وَلَا حَذَرٍ
بَلْ كُلُّ مَا فِيكَ أَشْوَاقٌ مُوَجَّجَةٌ

بَلَا حُدُودٍ وَفِي مَاضٍ مِنَ الْحَقَبِ
فِي الْجَدِّ وَالذَّابِ أَوْ فِي اللُّهُوِّ وَاللَّعِبِ
فَإِنَّهَا هِيَ نُخْرِي وَهِيَ مُنْتَهَبِي
أَلْقَى بِعَيْنَيْكَ إِلَّا الْحُبَّ يَنْعَمُ بِي
وَنَاوِلِينِي فَوَادًا عَاشِقًا أَدْبِي
وَفِي تَطْلُعِ طِفْلِ أَوْ مَرَاكِ صَبِي
مِنَ الْحَيَاةِ وَكَمْ فِي الْبُرْءِ مِنْ لَهَبٍ
وَأَنْتِ وَثَابَةٌ كَالْحَمْرِ وَالْحَبَبِ
وَلَا أَرَاكَ عَلَى يَأْسٍ وَلَا غَضَبٍ
وَكُلُّ مَا فِيكَ أَلْوَانٌ مِنَ الطَّرَبِ

الوداع الدائم

وَالْفَنُّ أَنْ يُغْنَى بِقُوَّةِ فَنِّكَ
أَهْوَاهُ مَصْبُوبِ الْمُنَى مِنْ دَنِّكَ
أَسْتَأْفُ رُوحَكَ فِي وَصَالٍ طَالًا
وَصَلُّ وَلَوْ جَعَلَ الْحَيَاةَ وَصَالًا
— إِنْ شِئْتَ — مِنْكَ حَقِيقَةً وَخِيَالًا
أَلْقَاكَ حُلْمًا وَاقِعًا وَمُحَالًا
نَنْسَى الْمُخْبَأً مِنْ رَذَى الْأَيَّامِ
عُمْرَ الْوَدَاعِ فَكَانَ عُمْرَ غَرَامِ

لِلْعَقْلِ أَنْ يُغْنَى بِرُوعَةِ ذَهْنِكَ
أَمَّا أَنَا فَأَرَاكَ سِرًّا غَامِضًا
لَا تَحْسِبْنِي سَوْفَ أَسْأَمُ بَعْدَمَا
مَا كَانَ مِثْلِي مَنْ يُحَقِّقُ رِيَّهَ
سَأَعِيشُ أَرْتَشِفُ الْجَمَالَ مُنَوَّعًا
فَأَظِلُّ جِينَ تَذَوُّقِي جَدِّوَاكَ لِي
لَهْفِي عَلَى الْأَيَّامِ تَمْضِي بَيْنَمَا
لَوْ أَنَّنا نَدْرِي جَعَلْنَا عُمْرَنَا

ساعة الأحياء

وَأَذُوقُ أَحْلَى الْحُلُمِ مِلءَ حَيَاتِي
هَذَا الْجَمَالَ يُطِيلُ مِنْ قُبْلَاتِي
فِي لَوْنِكَ الْخَمْرِيِّ بِالنَّفَحَاتِ
حَجَّ الْجَمَالِ يَنْوُبُ عَنْ عَرَفَاتِ
مَا شِئْتَ مِنْ رُوحٍ وَمِنْ آيَاتِ
حُسْنٍ وَمِنْ حُبٍّ وَمِنْ لَذَاتِ
وَتَمَوُّجِ التَّعْبِيرِ فِي الْخَطَرَاتِ
أَلْقَاهُ أَلَوَانًا تُنِيرُ صَلَاتِي
لَوْنِي وَيُفْجِمُ صَمْتَهُ كَلِمَاتِي
فَكَفَّاكَ أَنْ تُحْيِيَ الْجَمَالَ بِذَاتِي
إِلَّا هَوَى الْفَنِّ الْجَمِيلِ الْعَاتِي
حِينَ الْقُلُوبُ لَدَيْكَ كَالْمِرَاةِ
صَمَّتْكَ فِي شَغَفٍ وَفِي بَسَمَاتِ

الآن أَرْفَعُ لِلْجَمَالِ صَلَاتِي
وَأَقْبِلُ النُّورَ الَّذِي فِي لَثْمِهِ
مُرِّي تَعَالَى يَا نَمَازِجَ وَحْيِهِ
سِيرِي عَلَى شَطِّ الْخَلِيجِ^{٢٢} فَعِنْدَهُ
سِيرِي مُوزَّعَةً عَلَى أَنْفَاسِنَا
مِنْ جِسْمِكَ الْمُتَمَوِّجِ الْحَقَاقِ مِنْ
أَرْنُو فَيُسْكِرْنِي تَمَوُّجُ ضَوْئِهِ
وَتَوَثُّبُ الرُّوحِ الْجَمِيلِ كَأَنَّمَا
وَأَوْدُ أَرْسُمُهُ فَيُعْجِزُ لَوْنُهُ
تَتَجَرَّدِينَ وَمَا التَّجَرُّدُ ضَلَّةٌ
مَنْ ذَا الَّذِي يُرْضِيهِ لَمَسُكَ عَنْ هَوَى
أَوْلَسْتَ إِلَهَةَ الْفُنُونِ جَمِيعَهَا
وَالْبَحْرُ حُضْنٌ لِلطَّبِيعَةِ عِنْدَمَا

^{٢٢} خليج استانبول بالإسكندرية.

سِيرِي بَنَاتِ الْبَحْرِ أَنْتِ فُنُونُهُ
وَتَحْطِرِي وَتَمَهِّلِي فِي سَاعَةٍ
وَوَرِثْتِ مِنْهُ لَنَا أَحَبَّ صِفَاتِ
هِيَ نِعْمَةُ الْأَحْيَاءِ فِي السَّاعَاتِ

المغيب

الشَّمْسُ يَخْطِفُهَا الْمَغِيبُ وَقُرْصُهَا
فَكَأَنَّهُ قَلْبُ الْمَحِبِّ إِذَا ذَوَى
خَطَفَ الْمَغِيبُ حَيَاتَهَا بِحَيَاتِهِ
إِنَّ الْأُنُوثَةَ حِينَ تَمْنَحُ رُوحَهَا
هَاتِي وَقَدْ حَانَ الْوَدَاعُ ذَخِيرَتِي
فَإِذَا لَتَمْتَكِ كَانَ غُنْمِي كُلُّ مَا
فِي رُوعَةٍ وَالنُّورُ فِيهِ يَرِفُ
عِنْدَ الْفِرَاقِ فَرَفَّ وَهُوَ يَجِفُّ
فَعَدَا الْمَسَاءُ مُحَمَّلًا أُسْرَارًا
لِلْخَاطِيفِينَ تَضَاعِفُ الْأَعْمَارَا
مَنْ رُوحِكَ الدَّقَاقُ بِالْإِحْسَانِ
أُودِعْتِ مِنْ حُسْنٍ وَمِنْ أَلْحَانِ

حدائق بابل

حَدَائِقُ بَابِلٍ قَدْ عُدَّتْ فِينَا
نُسَخَتْ فَصِرَتْ أَكْشَاكُ الْغَوَانِي
يَطُوفُ بِكَ الْجَمَالُ عَلَى فُنُونِ
غَوَانٍ لِلْفُتُونِ مُجَرَّدَاتُ
أَبَيْنَ السِّتْرِ إِلَّا حَيْثُ أَمْسَى
وَمِنْ عَجَبٍ يَنْلَنَ عَلَى امْتِنَالِ
فَنَجْنِي كُلَّ مَعْنَى بَابِلِيٍّ
كَمَا عَادَ الْهَوَى آلاَفَ ضِعْفِ
عَلَى بَحْرِ وَجَزَتْ أَحَبَّ قَصْفِ
مَنْ الْأَوْصَافِ تُعْجِزُ كُلَّ وَصْفِ
تَصُونُ الْفَنِّ فِي رَشْفٍ وَقُطْفِ
مَنْ الْإِغْوَاءِ يُبْدِي حِينَ يُخْفِي
مَنْى النَّظَرَاتِ فِي مَنَحٍ وَخُطْفِ
بِلُطْفٍ حِينَ يَغْمُرُنَا بِعُنفِ

الأمواج

(عند خليج استانلي.)

دُنْيَا الْغَرَامِ وَمَسْرَحَ الْأَحْلَامِ
الْعَامُ مَرَّ وَهَا أَنَا فِي عَوْدَتِي
خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ الْمِيَاهَ مَثَابَةً
لِلْحُسْنِ وَاخْتَرْتُ الشَّبَابَ الظَّامِي
مُرِّي بِأَطْيَافِ الْجَمَالِ أَمَامِي
مَا زِلْتُ فِي شَغْفِي وَفِي أَحْلَامِي

يَرْقَى وَيَهْبِطُ فِي حُبُورِ غَرَامِي
يَفْتَرُ بِالْإِشْعَاعِ وَالْإِلْهَامِ
سَقَمِي فَبَدَّدَ لَوْعَتِي وَسَقَامِي
حَظًّا تَنَزَّهَ عَنِ أَدَى وَمَلَامِ
لِلْكُونِ مِنْ مَلَكُوتِهِ الْبَسَامِ
عُلُويَّةٍ وَتَعَثَّرَ وَتَسَامِي
وَالْهَجَرِ فِي حَرْبٍ وَفِي اسْتِسْلَامِ
كَالْبَحْرِ فِي مَنْثُورِهِ الْمُتَرَامِي
مَا لَا يَمُرُّ بِخَاطِرِ الرِّسَامِ
يُذْرِكُ فِي صُورٍ وَفِي أَنْعَامِ
يَتَنَاوَبَانِ بِلَهْفَةٍ وَأَوَامِ
وَمَنْ اضْطَجَاعِكَ جَنَّةَ النُّوَامِ
أَبْدَيْتَ كَالْأَحْلَامِ وَالْأَوْهَامِ
وَيَعُودُ يَفْتَنُ ذَلِكَ الْمُتَعَامِي
أَخْشَى الظَّلَامَ مَتَى لَقِيتُ ظَلَامِي
يَرْعَى الْقُلُوبَ رِعَايَةَ الْإِيْتَامِ

وَجَعَلْتُ مَوْجَ الْبَحْرِ مَرْكَبَكَ الَّذِي
الْمَاءُ أَوْلَى بِالْجَمَالِ فَطُهِرُهُ
الْقَيْتُ عِنْدَ هَدِيرِهِ وَنَثِيرِهِ
وَجَلَسْتُ عِنْدَ الشَّطِّ أَجْمَعُ غَانِمًا
مِنْ كُلِّ جِسْمٍ فِيهِ مَا يَهْبِ الصَّبَا
فِي ضَجْعَةٍ قُدْسِيَّةٍ وَصَبَابَةٍ
صُورُ التَّهَافُتِ وَالتَّبَاعِدِ وَالرِّضَا
الشَّمْسُ تَنْثُرُ فَوْقَهَا قُبْلَاتِهَا
وَالْعَيْنُ تَنْهَبُ مِنْ بَدِيعِ رَوَائِهَا
أَهْلًا عَذَارَى الْبَحْرِ هَلْ غَيْرِي الَّذِي
خَلَّى فُؤَادِي الْمُسْتَطَبَ وَخَاطِرِي
يَسْتَوْحِيَانِ مِنَ الظَّلَالِ مَنَاعِمًا
أَبْدَيْتَ مَا أَخْفَيْتَهُ وَكَأَنَّ مَا
فَالَانَ يَسْجُدُ لِلْجَمَالِ حَفِيَّةُ
وَأُطِيلُ مِنْ نَظَرِي إِلَيْكَ كَأَنَّنِي
وَالْحُسْنَ إِنْ رَزَقَ الْحَنَانَ فَيَأْنِي

وداع البحر

(قالها الشاعر قبيل الشروق من مرتفع فندق وندسور وهو يغادر الإسكندرية.)

فَإِنَّ الْمَكْثَ لَيْسَ لَهُ سَبِيلُ
يَفُوتَ الشَّمْسُ مَا بَثَّ الْعَلِيلُ
سُطُورًا كُلُّهَا شِعْرٌ جَمِيلُ
يُطِلُّ وَرَاءَهُ الْخُلُقُ النَّبِيلُ
كَحُضْنِ الْمَدِينَةِ يَسْتَطِيلُ

وَدَاعًا أَيُّهَا الْبَحْرُ الْجَمِيلُ
سَبَقْتُ الشَّمْسَ فِي مَرَاكَ حَتَّى
أَوْدَعُ هَذِهِ الْأَمْوَاجَ تَحْوِي
وَهَذَا الْجَوْ مُرَبِّدًا وَلَكِنْ
وَهَذَا الْقَوْسُ مِنْ صَخْرٍ وَسَدٍّ^{٢٤}

^{٢٤} شارع الكورنيش.

لَمَّا تَرَوِي النُّجُومَ وَمَا تَقُولُ
مَتَى سَفَرْتُ وَيُرْقِصُهَا الْهَدِيلُ
وَكُلُّ عِنْدَهَا مُلْكٌ جَلِيلُ
مَعَانِي لَا تُنَالُ وَلَا تُنِيلُ
وَبَعْضُ السَّحْرِ لَيْسَ لَهُ مَثِيلُ
عَلَى ظَمَأٍ كَمَا يَظْمَأُ الْقَتِيلُ
إِذَا هَجَرَ الْمُجِبَّ لَكَ الْخَلِيلُ
سِرَاعًا وَالْغِنَاءُ بِهَا عَوِيلُ
وَإِنْ صَحِبَ الْغَزَامُ الْمُسْتَحِيلُ
مُطِيعًا وَالذَّلِيلُ هُوَ الذَّلِيلُ
لِقَوْمِي فَالْمُحِبُّ لَهُمْ دَخِيلُ
أَجُودُ لِيَنْعَمَ الْوَطَنُ الْبَخِيلُ
فَتُجَحِّدُ لِي الصُّحْبَةَ وَالْجَمِيلُ
وَيَطْعَنُنِي الْمَغَرُّو وَالثَّقِيلُ
وَإِنْ يُخَذَّلُ بِهَا الْحُرُّ الْأَصِيلُ
وَفَرْدٍ جِئِنْ يَضْطَهُدُ الْقَبِيلُ
إِلَى حَيْثُ الْكِفَاحُ هُوَ الزَّمِيلُ
فَأَحْتَمِلُ الْعَذَابَ وَلَا أَمِيلُ
وَوَالْهَفِي وَقَدْ حَانَ الرَّحِيلُ

وَمَا تَحْكِي الْقَوَارِبُ وَهِيَ حَيْرَى
فَكَمْ فِي اللَّيْلِ يُشْغِلُهَا التَّنَاجِي
وَأَسْرَابَ الْمَفَاتِنِ لِلْغَوَانِي
تُحْيِيهَا وَكَمْ فِيهَا نُحْيِي
نَظْلُ نَحُومٍ حَوْلَ السَّحْرِ فِيهَا
وَنُقْهَرُ بِالْخَيَالِ وَبِالْأَمَانِي
وَدَاعًا أَيُّهَا الْبَحْرُ الْمُوَالِي
وَدَاعًا هَذِهِ اللَّحْظَاتُ تَمْضِي
وَهَلْ يَقِفُ الزَّمَانُ لِأَجْلِ حُبِّ
وَدَاعًا إِنَّنِي أَمْضِي لِذَلِّي
وَمَا ذَلِّي لِنَفْسِي إِنَّ ذَلِّي
جَفَنِي الْأَرْبَعُونَ^{٢٥} وَقَدْ رَأَتْنِي
أَجُودُ وَكَمْ أَجُودُ بِكُلِّ نَفْسِي
وَيَمْرُحُ فِي الَّذِي أُسْـبِـدِـهِ غِرُّ
بِلَادُ حُبِّهَا بِدَمِي أَصِيلُ
وَلَيْسَ بِحُجَّةٍ إِنْصَافُ فَرْدٍ
أَفَرُّ مِنَ الْجَمَالِ وَمِنْهُ رُوجِي
إِلَى حَيْثُ الْعَذَابُ يَحْزُ قَلْبِي
وَدَاعًا أَيُّهَا الْبَحْرُ الْمُوَافِي

على الشاطئين (شاطئ الجمال وشاطئ الخيال)

و«مِثَالِي» وَيَا جَنَى الْجَنَنِينِ
تَعَالَتْ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَشَيْنِ
فِي غِنَى عَنْ مَدِيحِ رَبِّ وَدَيْنِ

أَرْفَ الْبَيْنُ يَا نَجِيَّةَ رُوجِي
جَنَّةَ الْحُسْنِ تِلْكَ عَزَّزَهَا اللَّهُ
وَسِوَاهَا مِنْ رَوْعَةِ الْفَنِّ صَارَتْ

^{٢٥} ما مرَّ من عمر الشاعر.

جَنَّتَا السَّحَرِ أَنْتَ يَا مَنْ إِلَيْهَا
خَشَعَ الْبَحْرُ وَالْعَوَاطِفُ لِلْخَلِّ
وَأَنَا الْمُلْهُمُ الَّذِي ضَمَّكَ الْأَ
كُلُّ جُزْءٍ مِنِّي حَيَاةً تَسَامَتْ
لَمْ أَقْبَلْهُمَا بِغَيْرِ حَنَانٍ
أَلْفُ قَلْبٍ وَأَلْفُ عَيْنٍ لِمِثْلِي

يَتَنَاهَى فَنِّي وَيُحَمَّدُ دَيْنِي
قِوَاكُلُّ يَرَاكَ فِي نَشْوَتَيْنِ
نَ لِيَبْقَى لَدَيْكَ مِنْ بَعْدِ بَيْنِ
وَتَنَاهَتْ إِلَيْكَ فِي السَّاعِدَيْنِ
دَافِقٍ مِنْ صَمِيمٍ قَلْبِي وَعَيْنِي
فِي وَدَاعٍ يُنَالُ مِنْ نِعْمَتَيْنِ

* * *

وَتَيْقَظْتُ مِنْ جُنُونِي وَأَحْلَا
وَلَقِيتُ الْوَدَاعَ فِي حَسْرَةِ الْهَجْ

مِي فَكَانَ الْجُنُونُ فِي الشَّاطِئَيْنِ
رِ وَنَارِي فِي لُجَّةٍ مِنْ لُجَيْنِ

تباريح

بَحْسَبِي أَنْ أَرَى الْمَاضِي خَصِيمِي
وَكَيْفَ يُعَدُّ مَيِّتًا وَهُوَ حَيٌّ
هَوَاجِسُ نَفْسِي الْحَسْرَى أَمَامِي
صَدَى الْأَمْسِ الْبَعِيدِ فَأَيُّ صَوْتِ
حَبِيبِي لِلَّذِي وَلَّى وَأَمْسَى
حَبِيبِي وَهُوَ فِي آنِ خَصِيمِي
فَكَيْفَ تَلُومُنِي وَالْأَمْسُ ذَاتِي
وَأِنْ صُغْتُ الرِّثَاءَ لَهُ فَإِنِّي
وَلَيْسَ الْمَرءُ إِلَّا مِنْ زَمَانٍ
فَنَفَقَنِي بِالتَّدْرُجِ بَيْنَ صَدَقِ
وَكَمْ مِنْ هَاتِفٍ حَوْلِي لِمَاضٍ
دَعَا «الشَّعْرَ» وَهُوَ صَمِيمُ نَفْسِي
فَكَمْ مِنْ مَيِّتٍ مِنْ صَفْوِ عُمْرِي
أَسْأَلُهُ فَيَهْرُبُ مِنْ سُؤَالِي
غَرِيبَانِ اسْتَطَابَا لِلتَّنَاجِي

وَإِنْ يَكُ قَدْ تَصَرَّمَ مِنْ وُجُودِي
أَحْسُ بِهِ كَطَيْفٍ فِي الْوُجُودِ
وَإِنْ أَكُ عَاجِزًا عَنْ صَدَقِ وَصْفِ
لِذَاكَ الْأَمْسِ كَانَ وَأَيُّ قَصْفِ
حَبِيبِي وَهُوَ جُزْءٌ مِنْ كِيَانِي
فَكَمْ مِنْ لَوْعَةٍ فِيهِ أَعَانِي
فَإِنْ أَحْبَبْتُهَا أَحْبَبْتُ أَمْسِي
لَأَرْتِي بَعْضَ نَفْسِي عِنْدَ نَفْسِي
وَأَحْدَاثُ الزَّمَانِ إِلَى الْفَنَاءِ
وَوَهُمُ فِي الْحَنِينِ وَفِي الرَّجَاءِ
بِأَسْرَارِ الْعَوَاطِفِ وَالْخَيَالِ
تَنَاجِيَنِي بِمَقْبَرَةِ اللَّيَالِي
يُطِلُّ عَلَيَّ بِالْأَحْلَامِ دَوْمًا
وَإِنْ أَكُ مِثْلَهُ أَظْمًا وَيَظْمًا
ظَلَامَ اللَّيْلِ وَالْأَشْخَاصُ تَخْفَى

وَقَدْ كَانَا شَقِيقَيْنِ وَلَكِنْ
لَقَدْ أَصْبَحْتُ لَا شَيْءَ سِوَى مَا
وَبَيْنَ الْأَمْسِ وَالْعَدِ كُلِّ حَيٍّ
هُوَ الزَّمَنُ الَّذِي لَمْ يُبْقِ إِلَّا
يُمَثِّلُهُ حَنِينٌ أَوْ رَجَاءٌ
سَيَفْنِي حِينَ يَبْتَسِمُ الْفَنَاءُ

بكائي الصامت

أَثَرُ الْفَجِيعَةِ فِي حَشَايَ وَحُرْقَتِي
وَأَشَدُّ مَا لَاقَى التَّفَجُّعَ مُفْعَمٌ
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ الَّذِي بَذَلَ الْأَسَى
فَأَقُولُ قَوْلَهُ هَانِي مَهْمَا يَكُنْ
نَزَفَ الْبُكَاءِ دُمُوعَ عَيْنِكَ فَاسْتَعِرْ
مَنْ ذَا يُعِيرُكَ عَيْنَهُ تَبْكِي بِهَا

دَمْعٌ يَجِفُّ فَقَدْ أَبْنَتْهُ النَّارُ
بِالْحُزْنِ لَيْسَ لِعَيْنِهِ اسْتِعْبَارُ
مَنْ دَمَعِهِ مَا صَاغَتْ الْأَشْعَارُ
مُتَفَجِّعًا فَلَذَى الدُّمُوعِ الثَّارُ: ٢٦
عَيْنًا لِغَيْرِكَ دَمْعُهَا مَذْرَارُ
أَرَأَيْتَ عَيْنًا لِلْبُكَاءِ تُعَارُ

بلادي

بِلَادِي بِلَادِي أَنْتِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
حَرَامٌ رَجَاءُ الْمَنْطِقِ الصَّدْقِ صَادِقًا
يُحَارِبُ فِيكَ الْفَضْلُ وَالنُّبْلُ بَيْنَمَا
طُبِعْتُ عَلَى الْحُبِّ الَّذِي قَدْ بَدَّلْتُهُ
فَجُوزِيْتُ بِالْإِيلَامِ مِنْ كُلِّ عَائِرٍ
كَأَنَّ الْجَمْعَ اسْتَوْثَقُوا مِنْ مَحَبَّتِي
وَمَا أَنَا فِي نَفْسِي لِأَطْمَحَ مَرَّةً
وَلَكِنْ طُمُوحِي لِلدِّيَارِ الَّتِي لَهَا
وَلَا بَأْسَ لِي إِلَّا ضَمِيرِي وَمَيْدَنِي
وَأَكْبَرُ ذَنْبِي هِمَّةٌ مَا تَرَاجَعْتُ

بِلَادِي وَإِنْ لَمْ تَعْبَثِي بِرَغَائِبِي
لَدَيْكَ حَرَامٌ يَا بِلَادَ الْعَجَائِبِ
يُمَجِّدُ فِيكَ النِّقْصُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
لِمَجْدِكَ حِينَ الْحُبُّ غَايَةُ خَائِبٍ
أَغْنَتْ وَبِالْحِرْمَانِ مِنْ كُلِّ صَاحِبٍ
وَعَالُوا بِبَأْسِي مَذَّ تَعَالَتْ مَطَالِبِي
لَأَكْثَرَ مِنْ عَيْشِي بِعُزْلَةِ رَاهِبٍ
حَنِينِي وَإِنْ بَاتَتْ دِيَارُ الْمَصَائِبِ
وَلَا مَجْدَ لِي إِلَّا خُلُوصُ مَوَاهِبِي
فَلَنْ يَرْهَبَ الْإِيمَانُ أَقْسَى الْعَوَاقِبِ

النفوس المريضة

(من رسالة.)

وَنَفْسِي الَّتِي تَهْوَى حَيَاةً بَعِيدَةً
يَعِزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَرَى الشَّهْمَ فِي الْوَرَى
شَغِلْنَا بِأَمْرَاضِ الْجُسُومِ وَعِنْدَنَا
لَقَدْ قَالَ فِيهَا شَاعِرُ الدَّهْرِ حُكْمَهُ
إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتْهُ
وَوَضَعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَا
عَنِ الْحَقْدِ وَالْأَلَامِ وَالْكَيْدِ وَالْعِدَى
طَعِينًا لِمَنْ أَعْطَى الْحَيَاةَ لَهُمْ فِدَى
نُفُوسٌ بِأَمْرَاضٍ تَجَاوَزَتْ الْمَدَى
فَرَدَّدَهُ الدَّهْرُ الْحَكِيمُ وَأَيَّدَا: ٢٧
وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا
مُضِرُّ كَوْضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

يوم الوداع



يوم الوداع، للفنان ل. ريدلز.

يَوْمَ الْوَدَاعِ أَرَاكَ يَوْمَ وَدَاعِي
جَلَسَا وَمَا ئِدَةُ الْغَرَامِ تَقَدَّسَتْ
لِلْحُبِّ وَالْأَحْلَامِ وَالْأَطْمَاعِ
بِالزَّهْرِ وَالْأَثْمَارِ وَالْإِشْعَاعِ

٢٧ البيتان التاليان للمتنبّي.

وَهَوَى عَلَى تِلْكَ الْأَنَامِلِ مِثْلَمَا
ضَمَّ الْيَدَ الْمَعْبُودَةَ الضَّمَّ الَّذِي
إِنْ كَانَ أَخْفَى فِي الْخُشُوعِ جَبِينَهُ
فَالدَّهْرُ رَوَّعَهُ الْمُصَابُ وَإِنْ يَكُنْ
وَأَشَاحَتِ الْوَجْهَ الْحَزِينُ كَأَنَّمَا
قَدْ دَقَّ نَاقُوسُ الْوَدَاعِ فَوَدَّعَتْ
قَدْرُ يَسُودُ وَكَمْ يَرَى لِعَبَائِهِ
وَالْفَنُّ خَلَدَ حُكْمَهُ فِي صَمْتِهِ
مَا سَاءَ هَذَا الْكُونُ أَوْلَى أَنْ تَرَى
حَتَّى يَنَالَ الثَّأْرُ مِنْ دُنْيَا الْأَسَى
حَتَّى يَعْيشَ أَوَّلُو الضَّحِيَّةِ عِنْدَهُ

يَهْوِي الْيَتِيمُ عَلَى الْحَنَانِ الدَّاعِي
فِيهِ الْفَجِيعَةُ أَوْ شُعُورُ النَّاعِي
وَالْحُزْنُ يَقْتُلُهُ بِقَسْوَةٍ وَاعٍ
الْمُذْنِبِ الْبَاغِي الْخَثُونَ السَّاعِي
رَغَمَ السُّكُونِ تَثَوُّرٌ لِلْإِزْمَاعِ
بِالصَّمْتِ يَخْجَلُ مِنْهُ يَوْمٌ وَدَاعٍ
يَأْبَى الْجُنُوحَ بِرَحْمَةِ الْمُلتَاعِ
كَالْمَوْتِ يُرْسِلُهُ وَرَاءَ قِلَاعٍ
فِي الْفَنِّ بَيْنَ الْخُلْدِ وَالْإِنْدَاعِ
دُنْيَا الْجُنُونِ وَمَسْرَحِ الْأَوْجَاعِ
شُهَدَاءَ فِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ

مصر الحية

عَيْنَاكِ مَا اكْتَحَلَا وَمَا عَرَفَا السَّوَادَ السَّاحِرَا
إِلَّا وَفِي مَرَاهِمَا خِصْبٌ يُغْذِي الشَّاعِرَا
يَا بِنْتَ مِصْرَ أَنَا الْمَدِينُ إِلَيْكَ بِالْحُبِّ الْمُقِيمُ
وَعَشَقْتُ سُمْرَتَكَ الَّتِي تُشْتَقُّ مِنْ وَطَنِي الْوَسِيمُ
أَنَا عَالِمِي فِي شُعُورِي فِي جَنَانِي فِي الْغَرَامِ
لَكِنِّي أَلْقَاكِ أَسْمَى مَا يُحِبُّ وَمَا يُرَامُ
قَدْ سَاءَ حَوْلِي كُلُّ مَا أَلْقَاهُ مِنْ مَوْتَى الْحَيَاةِ
جُنْتُ وَأَشْبَاحُ وَأَطْيَافُ الْعُتَاةِ مِنَ الْجِنَاةِ
وَمَهَازِلُ لِلصَّاعِرِينَ الطَّاعِينَ الْمُتَقِيزِينَ
الْعَابِثِينَ الْأَثَمِينَ إِلَى الْأُبُوءِ وَالْبَنِينَ
يَا بِنْتَ مَوْطِنِي الْحَبِيبِ وَرَمَزِهِ لِلْأَوْفِيَاءِ
لَمْ يَبْقَ غَيْرُكَ لِلْمَحَبَّةِ وَالطَّهَّارَةِ وَالرَّجَاءِ

العيون الحزينة

شُغِلَ الصَّحَابُ بِهَا فَمِنْ مُتَهَلِّلٍ
أَمَّا أَنَا فَجَعَلْتُ أَزُقْبُ لَحْظَهَا
أَزْنُو بِرُوحٍ لَيْسَ يُشْبِعُهَا غَنَى
نَهْمُ الْمَلَاخَةِ فِي تَعَمُّقِ رَمَزِهَا
هَذَا مَجَالِي فِي الْحَيَاةِ فَخَلَنِي
عَلَيَّ أَرَاهَا فِي جَلَالَةِ حُزْنِهَا
فَرَحَ وَمِنْ دَنِفٍ يَذِلُّ لَدَيْهَا
وَالْحُزْنَ يَمْسَحُ هَادِتًا جَفْنَيْهَا
مَنْ نَضْرَةِ عُبْدَتٍ عَلَى حَالِهَا
نَهْمٌ خُصِصَتْ بِهِ فَقَادَ إِلَيْهَا
أَزْنُو إِلَى سِحْرِ يُطِلُّ عَلَيْهَا
أَلْقَا تَبَسَّمَ عَنْ جَنَى شَفَتَيْهَا

* * *

وَرَأْتُ فَتَاتِي نَظَرْتِي طَالَتْ كَمَا
فَتَبَسَّسْتُ وَتَعَجَّبْتُ وَتَأَمَّلْتُ
وَرَأْتُ دَفِينِ الْحُزْنِ يَمْلَأُ مُهْجَتِي
طَالَ التَّلَهُّبُ فِي لَظَى حَدِيثِهَا
عَيْنِي كَأَنِّي سَاجِرٌ عَيْنَيْهَا
فَاسْتَوْعَبْتُ لَحْظِي فِي لَحْظِهَا

الغد

قَالَتْ سَيَجْمَعُهَا وَيُسْعِدُنَا غَدٌ
فَأَجَبْتُهَا أَنَا لَا أَشْكُ وَإِنَّمَا
مَا كُنْتُ مَنْ يَخْشَى الْغَرِيبَ وَذَا غَدٌ
لَكِنَّمَا طَبَعُ الْغَرِيبِ تَرَدُّدٌ
هَاتِي أَقْلَ الْجُودِ فِي يَوْمِي أَعِشْ
أَتَشْكُ فِيمَا قَدْ يُعِدُّ لَنَا الْغَدُ
أَنَّى الْفُرُوضِ مُجَانِبٌ يَتَوَدَّدُ
هَذَا الْغَرِيبَ وَقَدْ يَسُرُّ فَيُحَمَّدُ
فَمِنْ الرَّجَاحَةِ أَنَّنِي أَتَرَدَّدُ
غَرْدًا وَخَلِّي مَا يَجُودُ بِهِ الْغَدُ

التحية

تُهْدِي الْأَزَاهِرُ فِي الْمُرُوجِ تَحِيَّةً
وَالطُّفْلُ تَفْرِحُهُ الْمُنِيلَةُ مِثْلَمَا
وَقَفَا بِرُوحٍ لِلتَّأَلُفِ حُرَّةٍ
لَا يَذْرُكَانِ سِوَى التَّعَاطُفِ جَامِعًا
فَإِذَا الْحَيَاءُ يَنَالُ مِنْهَا وَهُوَ لَا
عَجَبٌ نَوَامِيسَ الْحَيَاةِ فَإِنَّهَا
لِتَحِيَّةٍ عِنْدَ انْبِثَاقِ حَيَاتِهَا
تَتَبَسَّمُ الْأَزْهَارُ عَنْ أَخَوَاتِهَا
يَتَبَادَلَانِ تَعَجُّبًا وَوَدَادًا
لَهُمَا وَلَا يَتَخَيَّلَانِ مُرَادًا
يَفْتَرُّ يَرْفَعُ زَهْرَةً لِرِضَاهَا
حَتَّى الطُّفُولَةُ لَقْنَتْ مَعْنَاهَا

جنون

خَاصَمْتَ رُوحًا حَبِيبًا
وَمَا رَعَيْتَ جَمَالًا
هَلْ كَانَ شِعْرِي سَوَى مَا
فَالَّفَ الْفَنُّ مِنْهُ
هَلْ الْجَدَاوِلُ أَشْهَى
حَتَّى تَعَافَ خِضَمًّا
هَلْ نَغْمَةُ الْعُودِ أَحْلَى
حَتَّى تَرَى مِلءَ شِعْرِي
يَسُحُّ بِالشُّعْرِ سَحًّا
مِنَ الْجَمَالِ اسْتَوْحَى
وَعَيْتُهُ عَن وُجُودِي
رَوَائِعًا لِلنَّشِيدِ
مِنَ الْبُحُورِ وَأَنْقَى
يَعَافُ حَصْرًا وَرَقًا
مِنَ مَوَكِبِ السَّمْفُونِ
مَظَاهِرًا لِلْجُنُونِ

* * *

لَكِنْ حَرَامٌ سُؤَالِي
وَمَنْ يَعُدُّ حَيَاتِي
مَنْ لَا يُطِيقُ سُؤَالِي
شَبِيهَةً بِالْمَمَاتِ

محاكمة إله

حَفُّوا بِهِ مِنْ شَعَابِ الْكُونِ وَاقْتَسَمُوا
جَمِيعَهُمْ قَدْ رَأَوْهُ سَادَ عَالَمَهُمْ
حَلَّ التَّنَاقُضُ مَا فِيهِ وَإِنْ ظَهَرَتْ
قُوَى تَضِيعُ بِلَا مَعْنَى وَلَا سَبَبٍ
جَاءُوا إِلَيْهِ بِرَحْبٍ لَا وُجُودَ بِهِ
وَسَاءَ لَوْهُ لِمَاذَا لَا يَمُوتُ فَكَمْ
وَكَمْ يَطِيبُ لَهُمْ تَذْيِيرُ عَالَمِهِمْ
فِيمَ التَّحَكُّمِ فِيهِمْ بَعْدَ أَنْ بَلَّغُوا
فَهَلْ لَهُ أَنْ يُؤَلِّيَ فِي الْقَضَاءِ كَمَا
يَمْضِي بِلَا رَجْعَةٍ مَيِّتًا بِلَا أَثَرٍ
وَعِنْدَهَا تَنْتَهِي الْأَوْهَامُ قَاطِبَةً
وَمَا يُخَافُ ظِلَامٌ مِنْ تَبَدُّدِهِ
حِسَابُهُ عَن مَدَى الْمَشْهُودِ مِنْ حَبَلٍ
بِلَا رَجَاءٍ وَأَحْيَا الْكُونُ فِي عَجَلٍ
قَوَى التَّنَاقُضِ فِي شَيْءٍ مِنَ النُّظْمِ
وَكَمْ يُقَالُ لِمَعْنَى جَلٍّ فِي الْعِظَمِ
كَأَنَّهُ عَائِلٌ قَدْ خَانَ أَوْلَادَهُ
يَسُوءُهُمْ جُلُّ مَا قَدْ شَاءَ إِيجَادَهُ
مِنْ دُونِهِ بَعْدَ أَنْ شَاخَتْ مَرَامِيهِ
سِنَّ الرِّشَادِ وَمَاذَا بَاتَ يُخْفِيهِ
وَلَتْ لَهُمْ فِي طَوِيلِ الدَّهْرِ أَحْلَامُ
وَعِنْدَهَا لَا يُرَى ظِلْمٌ وَظِلَامُ
وَيَنْتَهِي كُلُّ مَا فِي الْكُونِ مِنْ زُورٍ
فَالْكَوْنُ يَشْكُو غُبَابَ النَّارِ وَالنُّورِ

وَمَا أَبَيْتُ لَكُمْ إِسْرَاءَكُمْ حَوْلِي
يَضِيعُ فِيهِ عَظِيمُ الْحَوْلِ وَالطُّولِ
وَتَحْسَبُونَ جَمَالَ الْكُونِ فِي الْعَدَمِ
تَخْشَوْنَ مِنْ عَجْزِكُمْ فِي الرُّوحِ وَالْهَمِّ
هَذِي الرِّزَايَا الَّتِي تَشْكُونَ شِدَّتَهَا
هَذِي الْخَلِيقَةُ لِلْأَلَامِ جِدَّتَهَا
مِنْ الْغُرُورِ مَثَارُ الْيَأْسِ فِي الْكُونِ
فَالْكُونُ مِرَاتُكُمْ فِي خَلْقِهِ الْفَنِيِّ
مِنْ الرِّشَادِ لِأَحْبَبَتُمْ عَلَا نَفْسِي
إِلَيَّ مَا قَدْ مَلَكَتُمْ مِنْ غِنَى الشَّمْسِ

فَقَالَ خَالِقُهُمْ قَدْ لُخْتُ فِي طَرَبٍ
لِغَيِّ أَرَى ثَوْرَةَ الْأَقْرَامِ فِي زَمَنِ
أَنَا الْحَيَاةُ فَهَلْ تَرْجُونَ مَيِّتَتَهَا
وَتَعْشَقُونَ فَنَاءً لِلنُّظَامِ وَمَا
لَوْلَا عِنَايَتُكُمْ بِالْهَدَمِ مَا وَجَدْتُ
لَوْلَا الْإِنَانِيَّةُ الْعُظْمَى لَمَا عَرَفْتُ
فَيَا ضِعَافَ أَفِيقُوا لَمْ يَزَلْ بِكُمْ
أَنْتُمْ بَنُوهُ فَإِنْ سُوْتُمْ يَسُوْ أَبَدًا
لَوْ أَنَّكُمْ قَدْ بَلَّغْتُمْ مَا تَخَيَّلْتُمْ
وَكُنْتُمْ شَبَهَ أَرْبَابٍ فَقَرَّبَكُمْ

* * *

إِلَّا التَّفَاتِي لِمَا أَحْيَتْ مِنَ اللَّعِبِ
وَعَقْلُهَا فَاقَ عَقْلِي وَاعْتَلَى أَدْبِي

وَجِينَمَا أَيْقَظْتَنِي طِفْلَتِي وَأَبَتْ
رَأَيْتَهَا أَبْدَعَتْ فِي خَلْقِ عَالِمِهَا

سباق الأموات

بَعْضًا وَأَنْ تَتَسَابَقَ الْأَمْوَاتُ
رُوحَ الْإِخَاءِ وَسَادَتِ الشَّهَوَاتُ
أَيْنَ الْعِظَائِمُ وَالْعُلَا بِصَغَارِ
هِيَ صُورَةُ لِلْمَوْتِ أَوْ لِلْعَارِ
لَهْفِي وَيَا لَهْفِي عَلَى أَخْلَامِهِمْ
بِجُمُودِهِمْ وَعِنَادِهِمْ وَمَلَامِهِمْ
بِخَلَّاصِ شَعْبٍ فَرَّقَتْهُ عَوَادِي
لِتَنَابُذِ الْأَفْرَادِ وَالْقُودِ
وَالْكُلُّ فِي شَغَفٍ بِخَلْقِ أَذَاةٍ
مِنْ عُمْرِنَا وَنَعِيشُ عَيْشَ مَمَاتٍ
يُحْيِي أَخَوَتَنَا غَدَاةَ يُنَادِي

لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يُكْفَنَ بَعْضُنَا
مَاذَا يُرْجَى بَعْدَ أَنْ طَعَنَ الْهَوَى
تَتَحَدَّثُونَ عَنِ الْعِظَائِمِ وَالْعُلَا
رِمَمٌ تَتَوَجَّ بِالْبُطُولَةِ حِينَمَا
أَسْفِي وَيَا أَسْفِي عَلَى تَهْمٍ لَهُمْ
الدَّهْرُ يَمْضِي فَاتِحًا وَجَمِيعُهُمْ
هَلْ لِلرَّعَامَةِ غَيْرُ قُوَّةٍ حِيلَةٍ
كَيْفَ الرَّعَامَةُ تَسْتَحِيلُ مَظَاهِرًا
الْكُلُّ فِي فَرْحٍ بِنَكْبَةِ جَارِهِ
تَمْضِي السَّنُونَ كَأَنَّمَا هِيَ لَمْ تَكُنْ
وَطْنِي الْحَبِيبُ أَلَا مُهَيَّبٌ نَاصِحٌ

إِنَّ النَّدَاءَ يَهْزُ صَخْرًا جَامِدًا مَا بَالُنَا فِي الرُّوحِ دُونَ جَمَادٍ
ضَاعَتْ مَرَاقِفُنَا وَكُلُّ مُؤَمِّلٍ لِمَكَانِنَا الْمَعْدُودِ تَحْتَ الشَّمْسِ
نَحْيَا أَسَارَى لِلْخَيَالِ كَأَنَّمَا شَطَطُ الْخَيَالِ جَلَالَةٌ لِلنَّفْسِ

* * *

وَالآنَ يَا أَبْنَاءَ هَذَا الْوَادِي الْأَسْرِينَ عَوَاطِفِي وَفُؤَادِي
الْحَامِلِينَ أَمَانَةَ الْأَجْدَادِ هَلْ تَقْدِرُونَ نَصِيحَتِي وَوَدَادِي
وَتُبَدِّدُونَ تَنَافُسَ الْأَحْقَادِ إِنَّ الزَّمَانَ لَكُمْ لِبَالِمِرْصَادِ

الناقمون

الْناقِمُونَ نَعَمْ لَكُمْ أَنْ تَنْقِمُوا كَمْ يَفْقِدُ الْمُتَعَلِّمِينَ مُعَلِّمٌ
ذَنْبِي وَجُودِي فِي مَجَاهِلِ بَيْئَةٍ صَحْرَاءَ جَامِدَةٍ تُضِلُّ وَتُسْقِمُ
مَهَّدْتُ مِنْ هَذِي الْمَجَاهِلِ مِثْلَمَا عَلَّمْتُكُمْ بِالْأَمْسِ مَا لَمْ تَعْلَمُوا
فَرَجَمْتُ بِالْحَسَدِ الْعَنِيفِ كَأَنَّنِي فِيمَا أَجُودُ بِهِ أَنَالُ وَأَغْنِمُ
أَسْفًا عَلَى وَقْتِ أَضَعْتُ وَلَا أَسَى مَهْمَا شَكُوتُ فَلَسْتُ مَنْ يَتَنَدَّمُ
مَنْ ذَاقَ مَهْرَلَةَ الْحَيَاةِ فَإِنَّهُ يُعْطِي وَيَسْخَرُ مَنْ تَجَاهِلُ مَنْ عَمُوا
يُعْطِي وَيَأْبَى أَنْ يُدَانَ وَإِنْ يَكُنْ يُنْسَى لَهُ الْفَضْلُ الرَّجِيحُ وَيُرْجَمُ
وَبِكُلِّ أَنْ صَدْمَةً لِشُعُورِهِ وَبِكُلِّ يَوْمٍ لِلْعَوَاطِفِ مَأْتَمٌ

الاندماج

خَمَرٌ مِنَ الْأَضْوَاءِ تُسْكِبُ حُرَّةً وَالْخَمْرُ أَطْهَرُهَا بِنُورِ الشَّمْسِ
غَسَلَتْ بِهَا أَعْضَاءَهَا فَاسْتَمْتَعَتْ بِسُلَافِهَا لِلْجِسْمِ بَلِّ وَالنَّفْسِ
وَتَشَبَّعَتْ مِنْهَا بِأَرْوَعِ سُمْرَةٍ وَكَأَنَّهَا شَمْسَانِ تَحْتَ الشَّمْسِ

النظرات

أَهْيَ الْغَنَى لِكَ مَا لِجِسْمِكَ يَنْتَشِي بِتَتَابُعِ النَّظَرَاتِ وَاللَّهَفَاتِ

وَلَمْ اسْتَبَحْتَ رُقَادَكَ الْحَرَّ الَّذِي
الْبَحْرُ لَمْ يَتْرُكْ مَصُونًا غَالِيًا
سَادَ الْجَمَالِ فَبَاتَ كُلُّ مُجَرَّدٍ
يَا لِلطَّبِيعَةِ لَا يُرَدُّ حَنَانُهَا
قَضَتْ الْحَضَارَةَ بِالتَّهْيِيبِ بَيْنَمَا
وَالآنَ تَمْتَزِجُ الْعَوَاطِفُ حُرَّةً
وَتُبَادِلُ النُّظَرَاتُ وَهِيَ نُفُوسُنَا
لَا يُسْتَبَاحُ بِأَعْجَبِ الْحَانَاتِ
كَلَّا وَلَمْ يَحْقِرْ تَجَرُّدُ حَالِ
لِلْحُبِّ تِمْتَالِ الْجَمَالِ الْغَالِي
فَوْقَ الرَّمَالِ وَقَدْ أُتِيحَ مَجَالُهُ
أَبَتِ الطَّبِيعَةُ أَنْ يَسُودَ خَيَالُهُ
وَأَسِيرَةُ وَالْفَقْرُ وَالْإِحْسَانُ
وَيُبَادِلُ الْإِيمَانَ وَالْكَفْرَانُ

الكنز المعروض

مَنْ ذَا تَسَوَّلُ نَفْسُهُ فِي نَشْوَةٍ
مَنْ يَسْتَطِيعُ وَإِنْ تَجَرَّأَ أَنْ يَرَى
حَرَسَتِكَ أَمْوَاجَ الْمِيَاهِ يَوْتُئِبَهَا
فَأَسْرَتِهِمْ وَجَدَّبَتِهِمْ وَتَرَكْنَهُمْ
لِفُؤَادِهِ أَنْ يَسْتَطِيبَكَ مُتَعَةً
لِكَ لَاثِمًا مَهْمًا تَحْيَلُ لَثْمَةً
وَزَيَّيَرَهَا وَحَمَاكَ رَوْعُ النَّاسِ
فِي حَيْرَةٍ لِمَوَاقِعِ الْحُرَّاسِ

اليثم

أَلْقَاكَ فِي صَمْتِي الْحَزِينِ وَإِنَّمَا
أَلْقَاكَ فِي بَشْرِ الْحَنَانِ بِمُهْجَةٍ
الْعِيدُ كُلُّ دَقِيقَةٍ وَثَابَةٍ
وَالْيَتِيمُ كُلُّ دَقِيقَةٍ قَدْ فَاتَهَا
شَغَلْتُكَ عَنْ قَلْبِي الَّذِي لَمْ يُنْسِهِ
طَلَبَ الْجَمَالَ لِرُوحِهِ وَلِفَنِّهِ
فَكَأَنَّمَا هَذِي الْحَيَاةُ بِأَسْرَهَا
وَكَأَنَّمَا شِعْرِي — الَّذِي أَشْدُو بِهِ
قَلْبِي هُوَ الْبَكَاءُ وَالْبَسَامُ
تَهْتَاجُهَا الْأَتْرَاحُ وَالْأَلَامُ
بِسْنَاكِ يُشْغِلُهَا رِضًا وَغَرَامُ
عُمْرِي إِذَا شُغِلْتُ بِكَ الْآيَامُ
شُغْلُ بَغِيرِكَ لَا وَلَا اسْتِسْلَامُ
فَإِذَا جَمَالُكَ مُلْهِمُ رَسَامُ
لَكَ كَالظَّلَالِ يَحُوطُهَا الْإِلْهَامُ
لَكَ — أَنْتِ أَنْتِ وَلَيْسَتْ الْأَنْغَامُ^{٢٨}

^{٢٨} أي أن هذا الشعر صورتها هي وليست الأنغام صورة شعره.

* * *

الشَّيْبُ أَشْعَلَ عَارِضِيَّ وَلَمْ أَرَلْ
كُنَّا نَخَافُ مِنَ الرَّقِيبِ فَعَلِمْتُ
وَحَيِّتُ مِثْلِكَ كَالْيَتِيمِ وَإِنَّمَا
ذَاكَ الصَّبِيَّ شَرَابُهُ الْأَحْلَامُ
دُنْيَا الْهُمُومِ الْحُبِّ كَيْفَ يُضَامُ
أَنَا وَحَدِي الْبَكَاءُ وَالْبِسَامُ

حمام الشمس

وَقَفْتُ أَمَامَ الشَّمْسِ لَكِنْ لَمْ تَدْعُ
سَقَطَتْ أَشْعَتُهَا عَلَيْهَا مِثْلَمَا
نَفَذْتُ إِلَيْهَا مِنْ تَسَامُحِ كُوَّةِ
النُّورِ يَنْهَلُهُ السَّوَادُ بِلَهْفَةٍ
وَقَفْتُ تَنَاوَبُ حُسْنَهَا مَا أَحْسَنْتُ
فَيَنَالُ نُورَ الشَّمْسِ رَوْعَةً فَتُهِ
مَنْ ذَا الَّذِي يَذْرِي فَكَمَ مِنْ ذَرَّةٍ
وَالشَّمْسُ كَمْ فِيهَا عَوَاطِفُ أَنْفُسٍ
لِلشَّمْسِ إِلَّا لَمَحَّةَ الْمَحْرُومِ
سَقَطَتْ خَوَاطِرُ عَاشِقٍ مَحْمُومٍ
فِي الْغُرْفَةِ الظُّلُمَاءِ كَالْأَحْزَانِ
كَالْمَاءِ يَنْهَلُهُ فَمِ الظُّلْمَانِ
هَذِي الْأَشْعَةُ وَهِيَ تَرَشُّفُ حُسْنَهَا
وَيَنَالُ هَذَا الْجِسْمَ ثَمَّةً فَتُهِ
فِيهَا تَدِينُ بِرُوحِهَا لِلشَّمْسِ
إِنَّ الْعَوَاطِفَ مِنْ شِعَاعِ النَّفْسِ

الظما

فِي كُلِّ رَوْضٍ لِلْجَمَالِ مُؤَمِّلٍ
تَسْتَنْشِقُ الْحُلُوَّ الْعَبِيرَ كَأَنَّهَا
فَتَعُودُ أَظْمَأً مَا تَكُونُ وَإِنْ جَنَتْ
فَكَأَنَّهَا — أَنَّى اسْتِطَابَ حَنِينُهَا
فَتَسِيرُ فِي هَدْيٍ وَدُونَ هِدَايَةٍ
نَقْلُ فَوَادِكَ حَيْثُ شَتَّتْ مِنَ الْهَوَى
رُوحِي تُرْفِرُ لِلْمُحِبِّ وَلِلْخَلِي
تَسْتَنْشِقُ الْعُمَرَ الْجَدِيدَ لِمُجْتَلِي
نِعْمًا مِنَ الْإِحْسَانِ وَالتَّجْدِيدِ لِي
صُورَ الْعَزَاءِ — تَشِيمُ أَوَّلَ مَنْزِلٍ
تَشْدُو بِشَعْرِ «حَبِيبٍ» شَدُو تَجْمُلُ: ٢٩
مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ

التصوف

أَهْوَاكَ أَنْتَ رَفِيقَةً لَوْجُودِي
مَا كَانَ غَيْرُكَ غُنْيَةً لِمَحَبَّتِي
حَتَّى حُرْمَتُكَ فَاسْتَبَحْتُ تَنْقُلِي
فِي كُلِّ رُكْنٍ لِي صَلَاةً تَعْبُدُ
وَأَنَا الْمُوَحَّدُ فِيكَ دِينَ صَبَابَتِي

كَتَبْتُ الصُّوفِيَّ فِي الْمَعْبُودِ
فِي الْحُلْمِ أَوْ فِي الْعَالَمِ الْمَشْهُودِ
بَيْنَ الْجَمَالِ تَنْقُلُ الْمَفْقُودِ
وَالْيَكِ أَنْتَ تَعْبُدِي وَسُجُودِي
فَشَقِيتُ فِي الْحَالَيْنِ بِالتَّوْحِيدِ

* * *

أَوَاهُ مِنْ ظَمَمِي وَهَلْ مِنْ ظَامِي
لَوْ كُنْتُ لِي لَعَرَفْتُ عَيْشِي نَاضِرًا
وَلَكُنْتُ أَرْتَشِفُ السَّعَادَةَ حُلْوَةً
لَكِنْ أَبِي الْقَدْرُ الْعَتِيُّ لِمُهَجَّتِي
يَلْقَاكَ مَحْسُودًا وَفِي لَقْيَاكَ كَمْ
وَيَلَامُ وَهُوَ بِوَصْلِهِ وَبِهَجْرِهِ

مِثْلِي وَهَلْ ظَمًا بَغِيرِ حُدُودِ
خَضَلًا كَعَيْشِ الْبُلْبُلِ الْغَرِيدِ
وَأُنِيلُهَا غَيْرِي بِحُلُوِّ قَصِيدِي
إِلَّا حَيَاةً مُعَذِّبَ وَشَرِيدِ
يَشْقَى وَيَنَائَى عَنْكَ كَالْمَحْسُودِ
عَانَ وَكَمْ عَانَ بِغَيْرِ وَجُودِ

الطائر الميت

يَا لَوْعَةَ الْوَجْهِ الصَّبِيحِ الْوَسِيمِ
جَاءَتْهُ كَالْأَمِّ الْحَنُونِ الرَّءُومِ
فِي لَهْفَةٍ يَا طِفْلَتِي عَانِيَهُ
لَمَسَتْهُ خَائِفَةً عَانِيَهُ
أَيْنَ الْحَبِيبِ الشَّدْوُ مِنْ رُوجِهِ
فَيَذْهَبُ الْحُزْنَ لَدَى وَقْعِهِ
إِنْ تَحْزَنِي يَا طِفْلَتِي فَالْأَسَى
لَمْ يُفْقِدِ الطَّيْرُ وَلَكِنْ مَضَى
لَا تَحْزَنِي أَوْ فَاحْزَنِي بَعْدَمَا
فَالْمَوْتُ كَالْعَيْشِ إِذَا مَا انْتَمَى

لِلطَّائِرِ الْمُلْقَى عَلَى ظَهْرِهِ
لَكِنَّهَا جَاءَتْ إِلَى قَبْرِهِ
وَقَفَتْ فِي حَيْرَةٍ أَوْ ذُهُولِ
رَاجِيَةٍ لَكِنْ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ
وَصَدْحَةً مِنْهُ تُنَاجِي الْحَيَاةَ
كَأَنَّهَا الطَّيْرُ رَسُولُ إِلَهِهِ
لَا شَيْءَ فِي جَنْبِ الْخَسَارِ الْأَلِيمِ
فِي فَقْدِهِ رُوحٌ لِفَنِّ عَظِيمِ
قَدْ خَانَكَ الدَّهْرُ بِمَوْتِ الصَّدِيقِ
لِلْفَنِّ فَالْفَنُّ عَزِيزُ طَلِيقِ

لو كنت لي

لَوْ كُنْتُ لِي لَرَفَعْتُ كُلَّ نَظِيمِي
وَجَعَلْتُ مَجْلِسَكَ الشَّهِيِّ عِبَادَةً
أَمَّا وَحَظِّي مِنْكَ خَطْفُ أَشْعَةٍ
فَدَعِي فَوَادِي يَسْتَتِيبُ بِوَهْمِهِ
فَيَزِيدُ إِيمَانًا بِنِعْمَتِكَ الَّتِي

لَكَ وَاتَّخَذْتُكَ نَشْوَتِي وَنَدِيمِي
تُخْتَصُّ بِالْقُرْبَانِ وَالتَّكْرِيمِ
أَمَّا وَقُرْبِي مِنْكَ قَرُبُ غَرِيمِ
بَيْنَ الْمُنَوَّعِ مِنْ خِيَالِ نَعِيمِ
وَلَتْ وَأَعْقَبَهَا شُبُوبُ جَحِيمِي

* * *

لَوْ تُدْرِكِينَ تَلَهُّفِي كَتَفَجْعِي
لَرَنَيْتُ لِي وَرَأَيْتُ حَالَ مُودَعِ

أُخْفِيهِ فِي صَمْتِ عَرَفَتِ أَلِيمِ
حَدَّعُوهُ قَبْلَ الْمَوْتِ بِالتَّنْعِيمِ

في الحمام

سَارَتْ تَجَاهَ الْمَاءِ وَهُوَ كَأَنَّهُ
غَلَبَتْهُ ظُلْمَةُ حَظِّهِ حَتَّى تُرَى
سَارَتْ عَلَى مَهَلٍ وَمِلءَ رَشَاقَةٍ
سَارَتْ وَكُلُّ تَخَطُّرٍ مِنْهَا حَوَى
لِمَ لَا نَحْجُبُ وَهْيَ سِحْرِ الْوَهْمِ
مَرَأَى عَلَيْهِ مِنَ الطَّهَارَةِ هَالَةً
سُبْحَانَ رَبِّي شَاعِرًا وَمُصَوِّرًا
قَدْ صَوَّرَ الْإِنْسَانَ مِنْ نَفَحَاتِهِ
مَنْ كَانَ يَشْهَدُ ذَلِكَ الْحُسْنَ الَّذِي
فِي غَيْرِ رَوْعَةٍ مَنْ يَدِينُ لِحُسْنِهِ

دُنْيَا تَجَنُّ إِلَى الضِّيَاءِ حَبِينَا
فِيهِ فَيَغْمُرُ بِالضِّيَاءِ فُنُونَا
وَلِكُلِّ جُزْءٍ لَهْجَةٌ وَشُعُورُ
شِعْرًا يُعَبِّرُ عَنْهُ هَذَا النُّورُ
لِمَ لَا تَبِينُ وَكُلُّهَا إِلَهَامُ
وَمُنَى تُرَاقِ حِيَالَهَا الْأَحْلَامُ
مَا حَارَ رِيشتَهُ الْبَدِيعَةَ حَاكِي
صُورًا مِنَ الْأَرْبَابِ وَالْأَمْلاكِ
يَخْتَالُ فِي مَلَكُوتِهِ الْفَنَانِ
بِالرُّوحِ مِنْهُ فَلَيْسَ بِالْإِنْسَانِ

الأصفار

نَابَى مِنَ الْحَيَوَانِ رَمَزَ هَوَانِهِ
مَا هَذِهِ الْأَصْفَارُ أَوْ مَا شَأْنُهَا
أَنَّى اتَّجَهْنَا لَا نَرَى إِلَّا أَدَى
صُورِ الشُّرُورِ تَحَجَّبَتْ بِتَسْوُلِ

وَنُطِيقُ رَمَزَ الدُّلِّ فِي الْإِنْسَانِ
مَا ذَلِكَ الْإِصْغَارُ لِلْأَدْيَانِ
بِتَبَدُّلِ الْأَرْوَاحِ وَالْجَبْدَانِ
وَتَنَاسُلِ الْإِجْزَامِ شَرُّ هَوَانِ

لِمَ لَا يُحَرِّمُ بَلْ لِمَاذَا لَا نَرَى
لِمَ لَا يُخَصُّ الْعَجْزُ بِالْحَرَمَانِ
حَتَّى نَرَى الْإِنْسَانَ فِي عَلَيَّاهُ
عَجَبًا أَنْنَسَى جِنْسَنَا وَحَقُّوقَهُ
الْأَرْضُ قَدْ مِلَّتْ أَحَبُّ شِعَابِهَا
حَتَّى أَكَادُ أَحْسُ أَنْ فَجَاجَهَا
وَعَدْتُ حَرَامًا لِلنَّبُوءِ وَمَرْتَعًا
لِلْعَاجِزِينَ وَوَصْمَةً الْإِنْسَانَ
لِلْعَبْقَرِيَّةِ صَوْلَةَ الدِّيَانِ
وَيُبَاحُ لِلْمَوْهُوبِ وَالْفَنَانِ
رَبًّا مِنَ الْأَرْبَابِ لَيْسَ بِفَانٍ
وَنَسُوقُ فَضْلُ الْعِلْمِ لِلْحَيَوَانِ^{٣٠}
بِمَسَاوِي الْحَشَرَاتِ وَالْدِّيْدَانِ
فَقَدْتُ بِشَاشَةِ حُسْنِهَا الْفَتَانَ
لِلْعَاجِزِينَ وَوَصْمَةً الْإِنْسَانَ

سُبْحَةُ الْفَقِيهِ

وَمُسَبِّحٍ لِلَّهِ يَا أَبَى رَبُّهُ
فِي كُلِّ لَفْظٍ يُسْتَعَادُ شَوَاهِدُ
كَمْ مِنْ فَقِيهِ فِي ثِيَابٍ مُنَزَّهٍ
تَجْرِي أَنْامِلُهُ عَلَى خَرَزَاتِهِ
وَتَلُوحُ سُبْحَتُهُ كَتُغْبَانِ بِلَا
مَنْ ذَا رَأَى التُّغْبَانَ سُبْحَةً عَابِدٍ
هَذَا التَّقَرُّبَ مِنْهُ فِي تَسْبِيحِهِ
عَنْ إِثْمِهِ وَالصَّوْتِ صَوْتُ جَرِيحِهِ
وَيُطِلُّ مِنْ عَيْنَيْهِ رُوحٌ أَثِيمٌ
جَرَى اللَّثَامُ عَلَى جِسَابِ كَرِيمٍ
رُوحٌ سَوَى رُوحِ الْفَقِيهِ الْعَاتِي
وَرَأَى الصَّلَاةَ مُصَابَ كُلِّ صَلَاةٍ

الحياة

هَذِي الْحَيَاةُ عَلَى الْحَيَاةِ تُطَلُّ
تَرْتَوِي إِلَى إِيحَائِهَا بِتَبَسُّمٍ
عَرَضَتْ مَحَاسِنُهَا عَلَى الْحَاطِلِهَا
وَأَبَى وَفَاءُ الْفَنِّ إِلَّا قَبْسَةً
أَلْقَى عَلَى الْأَسْحَارِ عُدَّ مُجَسِّدًا
تَجِدُ الْحَيَاةَ تَحِنُّ مِنْ أَثْنَائِهِ
وَتُشَاقُّ مِنْ أَضْوَائِهَا فَتَعِلُّ
وَمِنْ التَّبَسُّمِ نُورُهَا وَالظِّلُّ
فَتَصُدُّ مَا تُوْجِي بِهِ وَتَزِلُّ
مِنْهَا فَيُعْرِفُ فَنِّهَا وَيُجِلُّ
فِي كُلِّ جُزْءٍ مَا حَكَاهُ الْكُلُّ
شَطْرَ الْحَيَاةِ وَمَا تَقُولُ أَجَلُّ

^{٣٠} يدين الشاعر بالبيوجينية؛ أي إصلاح النسل الإنساني بتعقيم المعتوهين والمجرمين وأشباههم، وبتنمية العبقورية الوراثية ومنح العباقرة من الجنسين حقوقًا تناسلية خاصة.

جُبِلَتْ بِرَاحَةِ عِبْقَرِيٍّ مُفْرَدٍ وَكَأَنَّمَا هُوَ مُكَثَّرٌ وَمُقَلٌّ
وَكَأَنَّمَا هِيَ فِتْنَةٌ لَا تَنْتَهِي حِينَ الْمَفَاتِنُ تَنْتَهِي وَتُمَلُّ
هَذِي الْحَيَاةَ لِمَنْ يَرُومُ بَيَانَهَا فَإِذَا عَبَّثَ بِهِ فَسَوْفَ تَضِلُّ
وَإِذَا عَرَفْتَ غِنَاهُ كَانَ لَكَ الْغِنَى أَوْ لَا فَفَقْرُكَ أَنْتَ حِينَ تَذِلُّ

صوم غاندي

تَصُومُ مُكَفَّرًا عَنْ إِثْمِ دُنْيَا يَسِيرُ بِهَا الْقَوِيُّ عَلَى الضَّعِيفِ
أَبَتْ إِلَّا الْجُنُونَ بِكُلِّ عَصْرِ فَمَا أَذْنَى السَّخِيفِ إِلَى الْحَصِيفِ
تَسِيرُ عَلَى هُدًى وَبَغِيرِ هُدًى كَمَا سَرَتْ الْعَوَاطِفُ فِي الْخَرِيفِ
وَمَا بَرَحَتْ تَقْسَمُ سَاكِينِيهَا صُفُوفًا لِلْخَصِيمِ وَلِلْأَلِيفِ
لَدُنْ غَاشٍ الْجَمِيعُ ضُيُوفَ مَوْتٍ وَبِئْسَ الْجُودُ مِنْ هَذَا الْمُضِيفِ

* * *

أَرَاكَ أَلُوهَةً الْإِنْسَانَ لَاحِثَ وَقَدَ سَحَقَ الْغُرُورُ هُدًى الْأُلُوفِ
وَقَفْتَ مُجَرَّدًا عَنْ كُلِّ مَجْدٍ سَوَى مَجْدِ الْإِبَاءِ عَلَى الْحُتُوفِ
وَكَانَ النَّاسُ عُبْدَانًا لِحَرْبٍ فَحَقَّرْتَ الْعَتَى مِنَ السُّبُوفِ
وَعَلِمْتَ الْأَنَامَ وَأَنْتَ تَشْقَى مَعَانِي الْحُبِّ وَالْبَاسِ الشَّرِيفِ
وَأُخَيِّتَ الضَّمَائِرَ وَهِيَ قَتَلَى فَأَسْعَدَ كُلَّ مَنْبُودٍ أُسَيفِ

* * *

مَسِيحَ الْعَصْرِ رُوحَكَ رُوحَ رَبِّ كَرِيمٍ أَوْ أَبِ حَانَ عَفِيفِ
تَذُوقِ الْمَوْتَ الْوَانَا وَتَحْيَا لِيَرْضَى النَّاسُ بِالْأَلَمِ الْمُخِيفِ
وَلَوْ عَقَلُوا لَعَاشُوا فِي إِخَاءٍ وَهَامُوا بِالتَّسَامِي لَا الْوُقُوفِ
إِذَنْ لَعَدَتْ فَتَوَحَّهْمُو لِنُبُلٍ وَعَاشُوا فِي جَنَى الْخُلْدِ الْوَرِيفِ

* * *

أَتَيْتَ إِلَى الْوَرَى مِنْ قَبْلِ يَوْمٍ يُقَدِّسُ كُلَّ مَا تَعْنِي وَيُوفِي
وَدَنَبُ الْمُصْلِحِينَ إِذَا عَدَدْنَا لَهُمْ ذَنْبًا مُنَاصِرَةً الضَّعِيفِ

النظر الجريء

لَا تَرْهَبِي نَظْرِي الْجَرِيءُ
هُوَ نَشْوَةُ الْحَبِّ الطَّهْوُ
رُوحِي تُطِلُّ عَلَيْكَ مِنْ
وَتَعْبُ مِنْ هَذَا الْحَنَانِ
هُوَ خَلْسَةٌ مِنْ نِعْمَةٍ
خُطِفْتُ مِنَ الْقَدَرِ الْعَتِيِّ
فَعَلَامَ نَخْشَاهَا وَمَا
هُوَ لَنْ يُسِيءَ وَلَوْ أَسِيءَ
رَ وَوَبَّهَ الرُّوحِ الْمُضِيِّ
هُ وَتَجَلَّى الْقُدْسُ الْوُضِيِّ
شَرَابَ كَوْنِهَا الْهَنِيِّ
عُلُوِيَّةَ لَيْسَتْ تَفِيءَ
لَدَى ظِلَالٍ مِنْ هُدُوءٍ
فِيهَا سَوَى الشُّكْرِ الْبَرِيِّ

الناس

أَسِيرٌ فَلَا أَرَى فِي النَّاسِ نَاسًا
إِذَا كَثُرَ الزَّحَامُ وَخَفَتْ مِنْهَا
شُخُوصٌ لَا يُصَانِعُهَا سِوَى مَنْ
وَمَا يُجِدِي لَهَا أَبَدًا مَلَامٌ
لَقَدْ سَادَ الطَّغَامُ الدَّهْرَ حَتَّى
فَدَعْنِي لَا أَحَازِرُ أَوْ أَبَالِي
لَقَدْ قَتَلُوا كِرَامَ النَّاسِ قَتْلًا
وَدَعْنِي فِي إِبَائِي فَهُوَ عِنْدِي
وَلَكِنِّي أَرَى صُورًا أَمَامِي
فَأَقْوَاهَا ضَعِيفٌ فِي الزَّحَامِ
يَذِلُّ عَنِ الشُّخُوصِ مِنَ الْأَنَامِ
فَمَا هِيَ فِي الْيَقِينِ وَلَا الْمَلَامِ
حَسْبُنَا الْمَجْدُ مِنْ فَضْلِ الطَّغَامِ
بِأَوْشَابِ الْمَنَازِكِ الْلُثَامِ
فَحَسْبِي إِنْ أُمْتُ مَوْتُ الْكِرَامِ
أَجَلٌ مِنْ انْتِقَامِكَ وَانْتِقَامِي

التحرُّر

حَيَاتِي لَمْ تَكُنْ يَوْمًا بِعُمْرِي
أَنَا ابْنُ هَوَايَ ثُمَّ أَنَا ابْنُ فِكْرِي
أَعِيشُ بِكُلِّ عَصْرٍ عِبْقَرِي
وَفِي نَفْسِي حُرُوبٌ لَيْسَ تَفْنَى
كَأَنِّي لَسْتُ فَرْدًا فِي صِفَاتِي
لَكِنْ حُرُرْتُ مِنْ إِرْهَاقِ نَفْسِي
وَلَكِنْ بِالتَّصَوُّفِ وَالْمَعَانِي
وَلَسْتُ أَعِيشُ فِي هَذَا الزَّمَانِ
تَأَلَّقَ فِي الشُّعُورِ وَفِي الْبَيَانِ
حُرُوبٌ لِلْسُّمُومِ وَاللَّهْوَانِ
وَلَكِنِّي جُمُوعٌ فِي كِيَانِي
لِنَفْسِي هَانَ عِنْدِي مَا أَعَانِي

كَمَا نَعَيْتَ بِآيَاتِ الْحِسَانِ
حَجَبَنَ فُنُونُ الْوَانِ الْمَعَانِي
وَلَكِنِّي أَرَى صُورَ الْبَيَانِ
وَلَكِن كَيْفَ تُسَعِفُ مُقْلَتَانِ
وَجَزْتُ مَدَى التَّوْبِ وَالْحَنَانِ
وَلَمْ يَعُدْ الرُّمُوزُ بِهَا افْتِتَانِي

دَعَوْهَا الْغَانِيَاتِ ذَوَاتِ دَلٍّ
وَقَلْبِي لَا يَرَى إِلَّا رُمُوزًا
فَلَسْتُ بِمَنْ يَرَى جِسْمًا وَنَفْسًا
فَأُجْهِدُ خَاطِرِي فِيمَا أَرَاهُ
وَلَوْ أَنِّي وَهَيْتُ عُيُونَ دُنْيَا
لَمَا بُلَّغْتُ مَعْنَى كُلِّ حَيٍّ

البسمة الحزينة

عَيْنِيكَ وَالْوَجْدُ الْعَمِيقُ يَبْجُوحُ
لَحْظِيكَ فَاغْتَقَلْتُ لَدَيْكَ الرُّوحُ
تَسْبِي كَمَا قَدْ حَرَرْتُ وَجْدَانِي
خُلِقْتُ مِنَ الْأَفْرَاحِ وَالْأَحْزَانِ
بَيْنَ الْغُيُومِ فَكُنْ رُسُلَ رَجَاءٍ
إِلَّا مَنَى الْإِصْبَاحِ وَالْأَنْدَاءِ
لِلصُّبْحِ عُمُرٌ مِنْ خِيَالِ الْفَجْرِ
مِنْهُ سَوَى دَمْعِ بَعِينِ الزَّهْرِ
أُخْرَى فَأَسْتَجْلِي بِهَا مَعْنَاكَ
مَعْنَاكَ أَبْعَدُ مِنْ مَدَى إِدْرَاكِ
لَهْفِ الَّذِينَ يُحْطَمُونَ إِسَارَهَا
لِنَرَى ضِيَاءَ النَّفْسِ يَصْحَبُ نَارَهَا
يَخْطُرْنَ بَيْنَ رَوَائِعِ الْأَلْوَانِ
أَبَدًا تَحْدُثُ قُدْرَةُ الْفَنَانِ
بِمَوَاكِبِ الْأَشْوَاقِ وَالْإِغْرَاءِ
جَلْتُ عَنِ التَّكْرَارِ عِنْدَ الرَّائِي
نَهُمُ وَبَيْنَ تَعَطُّشِ لِفُؤَادِي
نُشْجِي فَأَوْثِرُ أَنْ أَفِيكَ وَدَادِي

لَمَّا رَأَيْتُكَ وَالْمَآسِي ظَلَّلْتُ
أَرْسَلْتُ رُوحِي فِي قَرَارِكَ نَاطِرًا
حَتَّى ابْتَسَمْتَ فَمَا عَجِبْتُ لِبَسْمَةٍ
إِلَّا لِبَسْمَتِكَ الْحَزِينَةِ إِنَّهَا
مِثْلُ الْأَشْعَةِ أَرْسَلْتُ أَمْوَاجَهَا
هَلْ عِنْدَ بَسْمَتِكَ الْحَزِينَةِ مِنْ مَنَى
لَهْفِي عَلَيْهَا لَا تَعِيشُ فَإِنَّمَا
يَمْضِي إِلَى الْبَحْرِ الْخَضَمُ فَلَا يَرَى
إِذَا سَأَلْتُكَ تَبْسِمِينَ هُنِيهَةً
مَعْنَاكَ مِنْ لُبِّ الْحَيَاةِ وَإِنَّمَا
لَا تَضْحَكِي ضَحِكَ الْمُدَامَةِ إِنْ رَأَتْ
بَلْ فَاْبْسِمِي بِهِوَكَ أَنْتِ حَزِينَةٌ
هَذِي نَمَازُجُ كُلِّ حُسْنٍ سَاجِرٍ
مِنْ كُلِّ قَاهِرَةِ الْجَمَالِ كَأَنَّهَا
يَخْطُرْنَ وَالشَّمْسُ الْمُطَلَّةُ تَنْتَشِي
وَلِكُلِّ فَاتِنَةٍ شَوَاهِدُ فِتْنَةٍ
أَرْنُو إِلَيْهَا بَيْنَ لُبِّ حَائِرٍ
وَأَرَاكَ أَنْتِ بِبَسْمَةِ الْحُزْنِ الَّتِي

منازل النيل

مَنَازِلَ النَّيْلِ مَنْ أَعْطَى الْغَرِيبَ مَدَى
أَنَا ابْنُ مِصْرَ أَنَا الْبَاكِي لِلْوَعْتِهَا
هَذِي الْعُهُودَ فَأَحْيَاهُ وَأَفْنَانِي
أَنَا الْمُخَلَّدُ نَجَواهَا بِالْحَانِي
لِكَيْ أُعَبَّرَ عَنْهَا مِلءَ أَحْزَانِي
وَأَشْجَانَهَا هَمِّي وَأَشْجَانِي
فَإِنَّ أَفْرَاحَهَا لَيْسَتْ سِوَى فَرْحِي

* * *

مَنَازِلَ النَّيْلِ هَذَا حَالُنَا عَجَبُ
كَأَنَّمَا عِظَةُ التَّارِيخِ مَا عَرَفْتُ
فِيمَ الْجُنُودِ وَفِيمَ الْقَائِدُونَ لَهُمْ
نَسْتَعْرِضُ الْجَيْشَ وَالنِّيرَانَ صَارِخَةً
فَكُلُّنَا قَائِدٌ فِي قَيْدِهِ عَانٍ
أَوْ أَنَّ أَحْدَانَهُ أَحْدَاثُ بُهْتَانٍ
وَهُمْ بِلاَ خُطَّةٍ تُرْجَى وَمِيدَانٍ
وَنَحْنُ نُشْعِلُ نِيرَانًا بِنِيرَانٍ

* * *

مَنَازِلَ النَّيْلِ مَا لِي حَائِراً وَجِلاً
هَذَا الشُّرُوقُ يُحْيِيَنِي فَأَهْجُرُهُ
وَهَذِهِ نَحْبُ الْأَزْهَارِ بِاسْمَةٍ
وَالنَّيْلِ، وَالنَّيْلِ يَجْرِي كُلُّهُ تَرَحُّ
أَنَا الشَّجَاعُ وَمَا لِي طَيِّ أَكْفَانٍ
وَذَا الْغُرُوبُ غَرِيبٌ حِينَ نَادَانِي
كَمَا عَهْدْتُ وَلَكِنْ دُونَ إِيمَانٍ
كَأَنَّ أَتْرَاحَهُ مِنْ نَبْعٍ وَجْدَانِي

* * *

مَنَازِلَ النَّيْلِ هَذِي جَنَّةٌ أُتِفُّ
كَيْفَ الْعَبِيدُ لِسُكْنَاهَا وَمَا خَلَقْتُ
أَيْنَ الْبُطُولَةَ غَنَيْنَا بِهَا زَمَنًا
حَتَّى تُعِيدَ جَلَالًا بَاتَ مُنْصَرِمًا
فَكَيْفَ تَتْرَكَ خُلُوعًا دُونَ جَنَانٍ
يَوْمًا لِمَسْكَنِ أَنْجَاسٍ وَعُيُودَانٍ
وَلَا نَزَالُ نُنْغِنِي مِلءَ أَزْمَانٍ
فَلَنْ يَقُومَ جَلَالٌ بَعْدَهُ ثَانٍ

* * *

مَنَازِلَ النَّيْلِ كَمْ أَنْسَى وَكَمْ غَزَلُ
مَا بِأَلْهَا الْيَوْمُ وَالْأَحْدَاثُ صَاحِبَةٌ
أَكَاذُ أَحْرِقْ يَا أَسَا كُلَّ مَا جَمَعْتُ
كَأَنَّ صَحْرَاءَ عَيْشِي أَشْعَلْتُ أَسْفِي
نَظَّمْتُ فِيكَ وَكَمْ رَاحَ وَرَيْحَانٍ
أَعَافُهَا وَأَعَافُ الْآنَ دِيوَانِي
صَحَائِفُ الشُّعْرِ مِنْ شَدَوِي وَأُورَاقِي
فَصِرْتُ أَبْغَضُ أَطْيَارِي وَبُسْتَانِي

* * *

مَنَازِلَ النَّيْلِ مَا غَنَيْتُ فِي طَرَبِي
كُلِّي عُيُونَ وَأَذَانٌ وَعَيْتُ بِهَا
إِلَّا وَحُسْنُكَ صَدَّاحٌ لِأَذَانِي
جَمَالَكَ الصَّفْوُ فِي عَزْفٍ وَالْوَانِ
عَنْهُ وَلَا خُنْتُ يَوْمًا عَهْدَ أَوْطَانِي
كَأَنَّمَا هُوَ مِنْ إِحْيَاءِ شَيْطَانِ
فَمَا لِأَرْوَعِ شَعْرِي بَاتَ يُؤْلِمَنِي

* * *

مَنَازِلَ النَّيْلِ كَمْ فِي النَّاسِ ذِي ظَمًا
وَكَمْ شَكَاةٌ عَلَى طَرَسٍ وَفِي صُحُفٍ
يَكْفِيهِ رِيٌّ فَيُمْسِي غَيْرَ ظَمَانٍ
تُتْلَى وَتُنْسَى كَمَا يُنْسَى الْجَدِيدَانِ
كَأَنَّمَا لَمْ تَقُمْ يَوْمًا بِأَذْهَانِ
وَإِنْ نَسِيتُ فَمَا أَحْيَا لِلنِّسْيَانِ
وَكَمْ حَوَادِثُ يَمْضِي الْخَائِضُونَ بِهَا
أَمَّا أَنَا فَحَيَاتِي كُلُّهَا ظَمًا

* * *

مَنَازِلَ النَّيْلِ يَجْرِي النَّيْلُ مُتَجِّهَاً
إِلَّا هَوَايَ لِأَرْضِ رُوحَهَا بِدَمِي
إِلَى الْخِضَمِّ وَيَجْرِي الْعَالَمُ الْفَانِي
وَجَوْهَا بِمَعَانِي الْحُبِّ أَحْيَانِي
رَثِيئَتُهَا وَكَأَنِّي قَدْ رَثَيْتُ بِهَا
نَفْسِي وَأَهْلِي وَأَحْبَابِي وَخَلَائِي
لَوْ أَنَّنَا أُمَّةُ الْأَحْرَارِ مَا خَذَلْتُ
رُوحٌ تَتَوَرَّ عَلَى ظَلَمٍ وَأَوْثَانِ

ذكرى شوقي

عَادَ الْخَرِيفُ فَلَحَ وَأَنْتَ بَعِيدُ
لَيْسَ الرَّبِيعُ وَإِنْ نَأَى بِمَغِيبِ
فِي الذُّكْرِ فَالذُّكْرُ الْمُؤْتَلُ عِيدُ
إِنَّ الْخَرِيفَ يُبِيدُهُ وَيُعِيدُ
أُمْعَلَمَ الْأَطْيَارِ مِنْ إِنْشَادِهِ
لِلطَّيْرِ بِاسْمِكَ فِي الْحَيَاةِ نَشِيدُ
وَمُجَدِّدَ الْأَعْمَارِ فِي الْخَانِهِ
فَنْ كَفَنْكَ طَبْعَهُ التَّخْلِيدُ
إِنْ كَانَ غَيْبُهُ الْمُحِيطُ فَمَاؤُهُ
هَذَا الْغَمَامُ يَزِيدُهُ التَّجْدِيدُ

* * *

يَا شَاعِرَ التَّصْوِيرِ يَا لَحْنَ الْأَسَى
أَبْكَيْتَ فِي الْإِسْكَندَرِيَّةِ رَاثِيَا
وَالْحَظُّ عُمْرَكَ نَشْوَةً وَقَصِيدُ
مَنْ ذَا الَّذِي يَزِيحُكَ حِينَ يُجِيدُ

إِنْ كَانَ يُعْجِزُنِي الرَّثَاءُ فَهَذَا أَنَا
بِالْأَمْسِ شَعْرَكَ رَنْ يَرْتِي حَافِظًا
فَإِذَا بِحَفْلِ الْأَمْسِ^{٣١} يَرْجِعُ بَاكِيًا
بِهَوَى الْبُنُوءِ لَا أَزَالُ أَجِيدُ
وَالدَّهْرُ مُسْتَمِعٌ إِلَيْكَ شَهِيدُ
وَإِذَا بُكَاءُ الْيَوْمِ فِيكَ فَرِيدُ

* * *

شَوْقِي سَأَلْتُ الدَّهْرَ عَنْكَ فَلَمْ يُجِبْ
أَتَرَكَ مِلءَ عَوَالِمٍ مَحْجُوبَةٍ
هَيْهَاتَ يَدْرِي لِلْخُلُودِ حَقِيقَةٌ
شَابَهَتْ صَاحِبَكَ الزَّمَانَ تَعَمُّقًا
مَا كَانَ مِثْلَكَ لَوْ يَغِيبُ يَبِيدُ
عَنْهُ وَعَنَّا أَمْ عُلَاكَ وَحِيدُ
فَإِنْ وَمَا يَدْرِي السُّمُوَّ عَبِيدُ
وَمَدَى فَوْحِيكَ رَائِعٌ وَمَدِيدُ

* * *

غَرِيدَ هَذَا الْعَصْرِ كَمْ بِوُجُودِهِ
هَذِي الْمَمَالِكُ فِي التَّرَابِ سَمِيعَةٌ
وَرَوَى الطَّبِيعَةَ لَا تَهْشُ لِحَالِمٍ
وَلِلَّالِ «طَبِيعَةٌ» فِي الرَّدَى مَشْبُوبَةٌ
مَنْ ذَا الَّذِي عِنْدَ ادِّكَارِكَ لَا يَرَى
لَمْ يَذْهَبِ الْعَامُ الْحَزِينُ بِبَعْضِهِ
مَا كُلُّ يَوْمٍ شَاعِرُ الدُّنْيَا الَّتِي
إِنْ مَاتَ مَاتَ بِكُلِّ لُبٍّ شَاعِرٍ
وَإِذَا سَلَكَ النَّاسُ لَمْ تَسْلُ الْعُلَا
مُصْغٍ فَأَيْنَ الْبُلْبُلُ الْغَرِيدُ
وَالنَّيْلُ سَيْرُ الْوَحْيِ فِيهِ وَئِيدُ
أَوْ لَا تَبِينُ وَقَاتَهَا التَّمَجِيدُ
فَكَأَنَّ فَنَّاكَ فَاقَدَ وَفَقِيدُ
وَجَلًّا وَهَذَا الْخَطْبُ فِيكَ شَدِيدُ
لَوْ كَانَ فِي الذِّكْرِ الْحَزِينِ سَعِيدُ
تَفْدِيهِ لَوْ يَرْضَى الْفِدَاءَ وَجُودُ
أَمَلٌ أَحَقُّ بِمِثْلِهِ التَّرْدِيدُ
مَنْ كَانَ يُنْشِدُ بِاسْمِهَا وَيُشِيدُ

* * *

دُنْيَا الْحَقِيقَةِ قَدْ بَكَتْ دُنْيَا الْهَوَى
كَلَّتَاهُمَا فِي الرُّزْءِ بَعْدَكَ شَاعِرًا
وَأَجَلُ رُزْءٍ لِلْجَمَالِ فَرُوحُهُ
الْحُبُّ فِيهِ مَوَائِدُ لَا تَنْتَهِي
وَالْحُسْنُ وَانْصَرَمَتْ مَنَى وَعُهُودُ
بِهِمَا يُفِيءُ عَلَيْهِمَا وَيَجُودُ
بِجَمَالِ شَعْرِكَ خَافِقُ مَشْهُودُ
وَالْحُسْنُ فِيهِ مُؤَلَّهُ مَعْبُودُ

^{٣١} إشارة إلى حفلة التابئين التي أقامتها له «جماعة الأدب المصري» في الإسكندرية.

وَكَاَنَّ مُوسِيقَى الْحَيَاةِ جَمِيعَهَا
لَفْظٌ يَسِيلُ وَفِي جَنَاهُ حَلَاوَةٌ
كَالْجَدُولِ الْجَارِي أَوْ الْبَحْرِ الَّذِي
وَجَمِيعُهُ صُورُ الْجَمَالِ فَلَيْسَ فِي
مَا يُبْدِعُ التَّصْوِيرُ وَالتَّوْلِيدُ
حَيْنًا وَحَيْنًا ثَوْرَةً وَوَعِيدُ
يَدَوِي وَأَنَا شُعْلَةٌ وَرُعُودُ
صُورِ الْجَمَالِ مُقَيَّدٌ مَحْدُودُ

* * *

فِي ذِمَّةِ التَّارِيخِ رَقَدَتْكَ اللَّتِي
مَا مَاتَ مَنْ وَهَبَ الْجَمَالَ حَيَاتُهُ
هِيَ يَقْظَةٌ حِينَ الْأَنَامِ رُقُودُ
إِنَّ الْجَمَالَ أُلُوهَةٌ وَخُلُودُ

التناؤد

أَبْنَاءَ مَوْطِنِي الذَّلِيلِ بِخُلْفِكُمْ
بَكَّرْتُ فِي أَقْوَالِنَا وَجَهَادِنَا
وَلَى الشَّبَابِ وَكَمْ طَفَرْتُ بِرُوجِهِ
اللَّهُ يَصْفَحُ عَنْ حِمَاسَةِ مُهْجَتِي
إِنَّ الشَّجَاعَةَ لِلْحَقِيقَةِ وَحْدَهَا
ذَهَبَ التَّحَرُّبُ بِالْبِلَادِ وَأَهْلِهَا
وَبَدَا التَّضَامُنُ بِاسْطِطَا يَدِهِ لَنَا

إِنَّ التَّنَاؤْدَ خَلَفَهُ اسْتِسْلَامُ
فَإِذَا جُھُودُ الْقَائِلِينَ كَلَامُ
وَأَتَى الْمَشِيبُ وَكُلُّهُ آلَامُ
إِنَّ الْحِمَاسَةَ كُلُّهَا أَوْهَامُ
غَيْرُ الْحِمَاسَةِ خَلَفَهَا الْأَحْلَامُ
إِنَّ التَّحَرُّبَ غَالِبًا هَذَا
وَالرُّشْدُ يَصْحَبُهُ فَكَيْفَ نَضَامُ

الغبين

وَطْنِي أَهْوَنُ عَلَيْكَ حِينَ دَقَائِقِي
جَاوَزْتُ هَذِي الْأَرْبَعِينَ كَأَنَّنِي
خَاصَمْتُ نَوْمِي وَاسْتَبَحْتُ مَوَاهِبِي
وَطْنِي أَمْثَلِي لَيْسَ يُنْصَفُ مَرَّةً
أَظَلُّ أَشَقَى هَكَذَا فِي مَحْنَتِي
مَنْ يُبْلَغُ الْأَحْرَارَ أَنِّي عَبْدُهُمْ
هِيَهَاتَ لِي مَجْدٌ سِوَى مَجْدِ لَهُمْ

وَقُفْ عَلَيْكَ أَلِلُوفَاءِ أَهْوَنُ
مُنْذُ انْتَبَهْتُ مُسَخَّرُ مَغْبُورُ
لِعُلَاكَ فِي زَمَنِ يَسُودُ الدُّونُ
أَمْ أَنَّ إِنْصَافَ الْأَبِيِّ جُنُونُ
حِينَ الْجُحُودِ بِشَقَوَتِي مَفْتُونُ
لَكِنَّ قَلْبِي طَيِّعٌ وَمَصُونُ
فَإِذَا حِجَايَ مُحَارِبٌ مَدْفُونُ

الجمال الإنساني

يَنْبِضُ الْكَوْنُ بِالْجَمَالِ وَلَكِنْ
فِي جَمَالِ الْإِنْسَانِ لِلشَّاعِرِ الْـ
كَيْفَ أَغْضِي عَنْ وَصْفِهِ وَهُوَ كُلُّ
كَمْ جَمَالٍ حَيَّالَنَا لَا نَرَاهُ
فَنَّا نَمَعْنَى يُطِلُّ مِنْهُ الْإِلَهُ
حِينَمَا الْجُزْءُ كُلُّ حُسْنٍ سِوَاهُ

لعبة ابنتي

(أبيات ارتجالية.)

أَنْتِ يَا لُغْبَةَ ابْنَتِي
أَنْتِ عِنْدِي عَزِيزَةٌ
أَنْتِ مَثَلَتْ طَبْعَهَا
هَرَّةٌ أَنْتِ إِنَّمَا
إِنَّ عَيْنَيْكَ فِيهِمَا
أَتَرَى حَزْتَ سِحْرَهَا
كَمْ تَوَسَّدَتْ جَنْبَهَا
كَمْ تَمَلَّيْتُ رُوحَهَا
كَمْ تَشَاكَيْتُمَا عَلَى
كَمْ تَصَاحَبْتُمَا عَلَى
فَإِذَا أَنْتِ رَمَزُهَا
ذَاتُ رُوحٍ وَخَفَّةٍ
وَهِيَ عِنْدِي عَزِيزَتِي
فِي صَفَاءِ الْمَحَبَّةِ
أَنْتِ لِي غَيْرُ هَرَّةٍ
سِرُّ لُبٍّ وَفِطْنَةٍ
كَمْ لَدَى الْحُبِّ آيَةٌ
فِي فَرَّاشِ بِنِعْمَةٍ
فِي حَنَانٍ وَرَحْمَةٍ
نَظْرَةٍ بَعْدَ نَظْرَةٍ
كُلُّ يُسْرِ وَشِدَّةٍ
رُبَّ رَمَزٍ بِدُمِيَّةٍ

سكّان الهواء

أَنَا بَى الْأَرْضِ وَهِيَ أَبُّ وَأُمُّ
وَنَعَشَقُ أَنْ نَطِيرَ بِهَا كَأَنَّا
تَنَفَّسْنَا الْهَوَاءَ بِهَا شَهِيًّا
وَنَكْتَسِحُ الْفَضَاءَ بِلا سُدُودٍ
وَنَعْرِضُ تَحْتَنَا الدُّنْيَا كَأَنَّا
فَنَغْبِطُ كُلَّ سَكَّانِ الْهَوَاءِ
دَنَوْنَا مِنْ عُلَا رَبِّ السَّمَاءِ
نَقِيًّا لَمْ يُلَوِّثْ بِالرِّيَاءِ
وَكَمْ فِي الْأَرْضِ سَدٌّ لِلْغِبَاءِ
خَلَقْنَاهَا لِسَجْنِ الْأَدْنِيَاءِ

مَشَاهِدُ كُلِّهَا لِعَبِّ تَرَاءَتْ
وَبَعْضُ الْوَهْمِ إِنْقَادٌ لِرُوحِ
تَطِيرُ وَكُلُّهَا وَهُمْ لِرَائِي
تَفِرُّ مِنَ الشَّقَاءِ إِلَى الشَّقَاءِ

البقية

أَرْعَى بَقِيَّةَ أَعْوَامِي كَأَنَّ بِهَا
قَدْ شَوْهَنْتَنِي صُرُوفُ الدَّهْرِ جَانِبَهُ
وَمَرَّقَتْنِي الْمَاسِي فِي مَعَارِكِهَا
لَكِنْ بَكَيْتُ عَلَى قَوْمٍ وَفَيْتُ لَهُمْ
مَا أَصْغَرَ الشَّعْبَ إِنَّ هَانَ الصَّدِيقِ بِهِ
وَأَحْقَرَ النَّاسَ فِي خِزْيٍ وَمَا شَعَرُوا

بَقِيَّةً مِنْ جَرِيحِ الْحَرْبِ تُخَيِّهِ
فَمَا بَقَايَايَ إِلَّا مِنْ عَوَادِيهِ
فَمَا رَثَيْتُ لِعُمْرِي حِينَ أَبْكِيهِ
فَكَافَتْوَنِي بِتَعْذِيبٍ وَتَسْفِيهِ
وَسَادَ فِيهِ لَيْتِي مِنْ أَعَادِيهِ
كَأَنَّمَا الْخِزْيُ مِنْ أَوْهَامٍ مَعْتُوهُ

السفهاء

وَلَوْ حَرَصَ السُّوَّاسُ لِلنَّاسِ دَائِمًا
لَمَا نِدِمْتُ هَذِي الْبَسِيطَةُ مَرَّةً
وَكُنَّا نَرَى الْإِنْسَانَ أَشْرَفَ عَامِلٍ
تَأَلَّقَ مِنْ عَيْنَيْهِ وَحْيُ الْوَهْمَةِ
وَمَا قَالَ يَوْمًا مُحْسِنٌ عُدَّ مُجْرِمًا
وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا

عَلَى نَسْلِهِمْ وَاسْتَبَعَدُوا كُلَّ جَارِمٍ
عَلَى كَرَمٍ بَلْ أَشْرَقَتْ بِالْمَكَارِمِ
وَأَصْلَحَ مَخْلُوقٍ وَأَنْبَلَ رَاجِمٍ
وَمَا وَحْيُهَا إِلَّا رَدَى كُلَّ ظَالِمٍ
عَلَى فَضْلِهِ بَيْنَ الْأَذَى وَالْمَغَارِمِ: ٣٢
وَبِالنَّاسِ رَوَى رُمُوحَهُ غَيْرَ نَادِمٍ

حنين الشجرة

تَهْتَزُّ أَفْرُعُهَا وَيَنْتَرُ زَهْرُهَا
فَيْرَى التَّهَافُتُ ثَمَّ فِي أَوْرَاقِهَا
وَكَأَنَّمَا حَمَلَ النِّسِيمُ حَبِيبًا
وَعُصُونَهَا مُتَتَابِعًا وَعَجِيبًا

وَالزَّهْرُ تَنْثُرُهُ تَحِيَّةٌ قَلْبِهَا
وَكَذَاكَ حَالِي فِي إِسَارٍ دَائِمٍ
وَتَعِيشُ فِي خِصْبٍ وَلَكِنِّي أَنَا
فَالزَّهْرُ أَصْدَقُ مَنْ يَسُوسُ قُلُوبًا
فَأَزُفُ شِعْرِي زَهْرَةً وَنَسِيبًا
فِي الْجَدْبِ أَلْقَى الْأَسْرَ وَالْتَعَذِّيبَا

المطية

يُرِيدُونَ مِنَّا أَنْ نَكُونَ مَطِيَّةً
فَيَا هَوْلَ يَوْمٍ يَغْتَدِي فِيهِ مُذْعِنًا
عَلَى أَيِّ وَهْمٍ ذَلِكَ الْخَلْفُ دَائِمًا
سَبِيلُكُمْو تَدْوِيخُهُمْ بِصَلَابَةِ
سَبِيلُكُمْو أَنْ يَيَاسُوا مِنْ خُصُومَةٍ
دَعُونَا مِنَ النُّصْحِ السَّخِيفِ لِحُضْمِكُمْ
لَقَدْ حَكَمَ الدُّنْيَا الْعَرِيضَةَ حَذْقُهُ
وَهَلْ مِنْ سِلَاحٍ فِي صِرَاطِهِ قَطْعُهُ
إِذَا جَهِلُوا رُوحَ التَّآخِي مُنْزَهَا

تُسَاقُ وَإِلَّا أَنْ نُسَاوِمَ فِي الْحَقِّ
إِلَى الرَّقِّ مَنْ قَدْ ثَارَ قَبْلًا عَلَى الرَّقِّ
وَهَلْ يَعْرِفُ الْخِصْمُ الْحَقُّوقَ لِمُنْشَقِّ
بَنَاهَا التَّآخِي لَا الْعِنَادُ مَعَ الْحُمُقِ
وَأَنْ تَهْزِمُوهُمْ بِالْمَتَانَةِ فِي الْخُلُقِ
فَكَمْ هُوَ أَدْرَى بِالْقَسَاوَةِ وَالرَّفَقِ
فَهَلْ مِثْلُهُ يَحْتَاجُ مِنْكُمْ إِلَى الْحَذَقِ
أَحَدٌ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْحَقِّ وَالصَّدَقِ
عَنِ الْيَأْسِ كَانَ الرَّقُّ أَجْدَى مِنَ الْعِتَقِ

الفدائية

لِمَنْ الْفِدَاءُ لِمَصْرٍ وَهِيَ الَّتِي
لَأَعَزِّ أَهْلِي حِينَ طَابَ لَجْمُهُمْ
لَأَحَبِّ صَحْبِي حِينَ أَكْثَرَهُمْ أَبَى
ضَيَعْتُ عُمْرِي فَادِيًا أَوْ رَائِدًا
وَمِنَ الْعَجَائِبِ لَا أَزَالُ أَحْنُ فِي

لَطَمَتْ وَسَاءَتْ هِمَّتِي وَكَفَاجِي
لَوْمِي كَأَنِّي مِنْ ضَحَايَا الرَّاحِ
إِلَّا التَّفَلُّسُفَ فِي أَدَى وَمُزَاحِ
فَرَجَعْتُ فَوْقَ مُحَطَّمِ الْأُلُوحِ
عَرَقِي حَنِينَ الرَّائِدِ الْمَلَّاحِ

* * *

دُنْيَا الْإِسَاءَةِ لَيْسَ تَعْرِفُ مَرَّةً
تُشْقِيهِ وَهُوَ كَأَنَّهُ عَبْدٌ لَهَا
فَيَظَلُّ فِي أَبَدِيَّةٍ مِنْ سَجْنِهِ

أَنْ تَسْتَغِلَّ مَوَاهِبَ الْمَنَاجِ
وَتَرْدُهُ بِسَلَاسِلِ الْأَتْرَاجِ
رَغَمَ الْفِدَاءِ لِمُجْرِمٍ وَوَقَاحِ

* * *

لَا تُضِجْ كُونِي بِالْمَدِيحِ فَإِنِّي مُتَعَذِّرٌ خَجَلًا عَلَى أَمْدَاحِي
بَلْ فَانْعَمُونِي بِالْجُنُونِ لِأَنَّي آمَنْتُ بِالْأَخْلَاقِ وَالْأَرْوَاحِ
وَنَسِيتُ أَنِّي سَابِقُ زَمَنِي وَمَا زَمَنِي بِدُنْيَا اللُّؤْمِ وَالْأَشْبَاحِ

لاعبات التنس

يَا جَارِيَاتِ فِي الْهَوَاءِ وَطَائِرَاتِ فِي الْهَوَاءِ
وَالضَّارِبَاتِ اللَّاعِبَاتِ لَنَا عَلَى أَكْرِ الضِّيَاءِ
وَكَأَنَّهَا بَعْضُ النُّجُومِ الْوَائِبَاتِ مِنَ السَّمَاءِ
أَنْتُنَّ مَا تَهَبُ الرِّشَاقَةُ وَالْمَلَاخَةُ وَالرَّجَاءُ
لِأُولِي الرَّجَاءِ مِنَ الْمَعَانِي الْمَانِحَاتِ لَنَا الْبَقَاءُ
فَالْفَنُّ يَنْبِضُ بِالْعَوَاطِفِ وَالتَّحَرُّرُ فِي الْعَطَاءِ
نَحْيًا بِاللَّوْنِ نُنَاجِيهَا لَدَيْهِ بَلَا انْتِهَاءُ
بَيْنَ التَّوَتُّبِ وَالتَّحْفِظِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْوَفَاءِ
أَنْتُنَّ ثَوْرَةٌ حُسْنِكُنَّ عَلَى تَقَالِيدِ الرِّيَاءِ
فِيَكُنَّ مِنْ رُوحِ «الْأُلْمَبِ» حَرَارَةً لِلْأَوْفِيَاءِ
تُوجِي لَنَا مَعْنَى النُّصَارَةِ وَالتَّحَرُّرِ وَالْإِبَاءِ

* * *

فَتَيَاتِ مَضْرُومٌ لَمْ الْخُمُولُ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ
مِثْلَ الرُّوَابِي النَّائِمَاتِ عَلَى الْحُقُولِ بَلَا ارْتَوَاءُ
لَا خَيْرَ فِي مَوْتِ الْحَيَاةِ يُصَاغُ فِي رَسْمِ الْحَيَاءِ

قطي مشمش

رَأَيْتُهُ يَبْكِي وَكَمْ مِنْ أُنَيْنِ لَهُ نَمَّ كَمْ مِنْ مُوَاءِ حَزِينِ
فَقُلْتُ يَا «مَشْمَشُ» فِيمَ الْبُكَاءِ وَقَدْ كُنْتَ بِالْأَمْسِ ذَاكَ اللَّعِينِ
فَأَذْهَلَهُ مِثْلُ هَذَا السُّؤَالِ لَدُنْ تَكَلُّ الْقِطْطَةِ الْغَالِيَةِ

الَيْسَتْ «مَثَلًا» لَهُ فِي الْجَمَالِ
وَلَكِنَّهُ قَدْ أَبَى أَنْ يُجِيبَ
وَأَيُّ أَسَى بَعْدَ رُوعِ الْأَسَى
فَأَشْعَرْتُ مِنْهُ بَأْنَ الْجَمَالِ
وَمَا هَانَ فِي قَدْرِهِ عِنْدَنَا
يَكَادُ يَعْيشُ الْوَرَى لِلْخِيَالِ
وَمَا نِسْبُ النَّاسِ غَيْرَ الصَّلَالِ
وَزَوَّجَتْهُ الْحُلُوءَ الْغَانِيَةَ
سُؤَالِي بِغَيْرِ سُكُوتِ الْأَسَى
إِذَا قَيَّدَ اللِّسْنَ وَالْأَنْفُسَا
لَنَا رُبَّمَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ
تَمَثُّلُهُ فِي الْمُنَى حَدَّهُ
إِذَا عَاشَ غَيْرُ الْوَرَى لِلْحَقِيقَةِ
وَلَكِنَّهُمْ قَدْ أَحْبَبُوا بَرِيقَهُ

مأتم الدنيا

عَيِّتُ بِمَأْتَمِ الدُّنْيَا فَإِنِّي
أَتَيْنَاهَا ضُيُوفًا ثُمَّ جَادَتْ
فَإِنَّ الْمَوْتَ غَايَتَهَا وَعُقْبَى
فَدَعْنِي مُنْصِفًا دَعْنِي أُنَاجِي
لَأَقْطِفَ مِنْ أَزَاهِرِهَا شَمِيمِي
أَشْهَدُ هَذِهِ الْجَنَّاتِ حَوْلِي
وَأَخْتَرُ الْجَمَالَ نَعِيمَ نَفْسِي
لِمَنْ هَذِي «النَّمَاذِجُ» فِي سُفُورِ
الْأَيْسَتْ لِلْفُنُونِ خُلُقْنَ حَتَّى
فَكَيْفَ أَفَوَّتْهَا تَفْنَى فَنَائِي
وَكَيْفَ أَعِيشُ مُرْتَقِبًا مَمَاتِي
إِذَا نَالَ الْجَمَالَ الصَّفْوَ قَلْبِي
لَقِيتُ بِهَا الْمَمَاتَ عَلَى التَّوَالِي
لَنَا بِالْمَوْتِ مِنْ دُونِ السُّؤَالِ
هَذَايَاهَا إِلَى ضَيْفٍ وَآلِ
مَفَاتِنَهَا إِذَنْ قَبْلَ ارْتِحَالِي
فَتِلْكَ أَحَبُّ مِنْ زَهْرِ الْخِيَالِ
وَأَحْلُمُ بِالْخِيَالِ وَبِالْمُحَالِ
غَدًا وَأَنَا الْمُوَطَّنُ فِي الْجَمَالِ
بِقُرْبِي وَالْجَنَى الْغَالِي حِيَالِي
تُخَلِّدُ فِي الضِّيَاءِ وَفِي الظَّلَالِ
وَأَحْرُمُهَا دُعَائِي وَابْتِهَالِي
كَأَنَّ الْحُبَّ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِي
فَحَتَّى الْمَوْتَ يَرْضَاهُ احْتِمَالِي

في بورسعيد

أَهْلًا عُرُوسَ الْبَحْرِ لَمْ يَظْفَرْ بِهَا
تَتَلَفَّتْ الدُّنْيَا إِلَيْكَ بِمَوْضِعِ
إِنِّي رَسُولُ الشَّعْرِ جِئْتُ مُمَثَّلًا
بَحْرٌ وَلَا أَرْضٌ وَلَا أَجَوَاءُ
فَدُ كَمَا تَتَلَفَّتْ الْجَوَازُءُ
لِبَنِيهِ مُذْ غَنَى بِكِ الشُّعْرَاءُ

تَحْيَيْنَ أَنْتِ نَقِيَّةً وَعَزِيْزَةً وَالسُّفْنَ شَتَّى فِي حِمَاكِ إِمَاءُ
فِي الْبَحْرِ أَمْ فِي الْبَرِّ أَمْ فِي الْجَوْ قَدْ رَاعَتْكِ أَحْلَامُ لَهَا وَرَجَاءُ

* * *

الصَّيْفُ جَاءَ فَكُنْتُ مِنْ أَطْيَارِهِ وَأَتَيْتُ يُزْجِينِي إِلَيْكَ حَنِينُ
هَذِي الشَّرَاكَ لِمُهْجَتِي مَنْصُوبَةً وَأَنَا قَرِيرٌ عِنْدَهَا وَغَبِيْنُ
أَهْلًا شَرَاكَ الْحُبِّ كُلِّ مَلِيْحَةٍ أَهْفُو إِلَى نَظَرَاتِهَا وَأَدِيْنُ
مَثْلَنْ فِتْنَةً «أَفْرُدَيْتِ» وَهَكَذَا يُهْدِي الْجَمَالَ عَنِ الْجَمَالِ أَمِيْنُ
مَنْ نَالَ هَذَا الْأَسْرَ مِنْ شُهْدَائِهِ فَلَهُ الْحَيَاةُ وَمَنْ عَدَاهُ دَفِيْنُ

* * *

يَا سَاعَةً عِنْدَ الْغُرُوبِ كَأَنَّهَا خُطِفَتْ مِنَ الْأَحْلَامِ وَالْأَجْيَالِ
مَا بَالُ هَذِي الشَّمْسِ تُرْسِلُ وَجَدَهَا فَوْقَ اللَّهَبِ عَلَى الْمِيَاهِ حِيَالِي
مَا بَالُ هَذَا الْمَوْجِ يَخْفِقُ هَكَذَا خَفِقَ الْحَيَاةِ تَوَثَّبَتْ لِرِزَالِ
مَا بَالُ هَذَا الْحُسْنِ يَبْعَثُ شَوْقَهُ فَوْقَ الرِّمَالِ إِلَى نَهْيِ وَرِمَالِ
مَا بَالُ هَذَا الْجَوْ أَشْبَعَ رُوحَهُ بِالْخَوْفِ وَالْأَلَامِ وَالْأَمَالِ

* * *

السُّفْنَ تَبْدُو مِنْ قَنَاتِكَ مِثْلَمَا تَبْدُو الرَّجَاءُ لِتَائِهِ الصَّخْرَاءِ
حُمِّلَنْ بِالْأَرْزَاقِ مِثْلَ مَدَائِنِ وَبَسَمَنْ بِالْأَحْلَامِ وَالْأَضْوَاءِ
وَكَأَنَّهَا لَعَبُ الزَّمَانِ يَسُوقُهَا وَيُشَاقُ مِنْ جَوَلَاتِهَا بِالْمَاءِ
شَابَ الزَّمَانُ وَلَمْ يَزَلْ بِطُفُولَةٍ وَيَظَلُّ طِفْلَ الْوَهْمِ وَالْأَهْوَاءِ
وَالنَّاسُ إِنْ خَدِعُوا بِهِ فَلَأَنَّهُ قَدْ يَمْرُجُ السَّرَّاءِ بِالضَّرَّاءِ

* * *

هَذَا الْمَسَاءُ يُظِلُّنَا بِوَلَاتِهِ وَالْجَوْ فِيهِ مِنَ الْوَلَاءِ صَلَاةُ
لِلْفَيْلَسُوفِ بِهِ مَجَالُ رَوَائِعِ فَلِكُلِّ شَيْءٍ حِكْمَةٌ وَحَيَاةُ
وَالنَّاجِتِ الرَّسَامِ يَقْبِسُ فَنَّهُ مَا تُضْمِرُ الْخَطَرَاتُ وَالنَّظَرَاتُ
وَالشَّاعِرُ الْمُوهُوبُ يَسْأَلُ غَامِضًا فَتَجِيبُهُ الْأَسْرَارُ وَالْآيَاتُ
وَالنَّاقِشُ الْوَاعِي بِرُوحِ مُلْحَنِ يَزُنُو فَيُوجِي النُّورَ وَالْأَصْوَاتُ

* * *

هَذَا كِتَابٌ لِلطَّبِيعَةِ مَا لَهُ
كُلُّ امْرِيٍّ يَلْقَى بِهِ إِلَهَامَهُ
شَتَّى الْعَوَاطِفِ وَالشُّعُورِ حَيَالَهُ
إِنْ شِئْتَ كُنْتَ أَمَامَهُ فِي غَفْلَةٍ
أَوْ شِئْتَ صَافَحْتَ إِلَهَهُ مُحَدِّثًا
عُمْرُ سَوَى مَا شَاءَهُ الْفَنَانُ
وَلَكُمْ تَنَوُّعٌ عِنْدَهُ الْإِيمَانُ
وَكَذَلِكَ الْأَنْوَابُ وَالْأَلْوَانُ
لَا أَنْتَ مَوْهُوبٌ وَلَا إِنْسَانُ
وَقَرَأْتَ مَا أَوْحَى بِهِ الدِّيَانُ

هداة الشاعر

مَا بَالُ سَخْطِي يَسْتَحِيلُ مَحَبَّةً
مَا بَالُ أَطْيَافِ الرَّبِيعِ تَحَوَّلَتْ
مَا بَالُ عُمْرِي لَوْعَةً لَا تَنْتَهِي
وَأَعِيشْ فِي دُنْيَا التَّفَاوُلِ نَاسِيًا
أَكْذَا يَعِيشُ الْمُلْهُمُونَ وَهَكَذَا
كَالنَّارِ سَاعَةً تَسْتَحِيلُ ضِيَاءً
شَجَنًا وَعَادَتْ نَشْوَةٌ وَصَفَاءً
فَأَجَامِلُ الْأَيَّامَ وَالْأَرْزَاءَ
دُنْيَا تَفِيضُ قَسَاوَةً وَعَدَاءً
يُحْيِي الزَّمَانَ الْمَجْدَ وَالشُّهَدَاءَ

عيد الوطن الاقتصادي

ضُمُّوا الصُّفُوفَ مَوَاجِبًا وَنَشِيدًا
النَّابِضِينَ بِحُبِّهِمْ لِبِلَادِهِمْ
وَالنَّائِرِينَ عَلَى مَهَانَةِ قَوْمِهِمْ
نَفْضُوا السُّبَاتَ وَأَشْعَلُوا إِقْدَامَهُمْ
يَتَذَقُّونَ حِمَاسَةً عُلُويَّةً
مِصْرُ الْقَدِيمَةِ بَارَكْتَ أَحْلَامَهُمْ
يَمْشُونَ فِي مِثْلِ الْأَشْعَةِ جَلِيَّةً
يَمْشُونَ مِنْ جَوْفِ الظَّلَامِ هِدَايَةً
وَيُجَدِّدُونَ لَنَا مَوَاقِيقَ الْعُلَا
عَرَفُوا جَلَالَهَ عَصْرِهِمْ فَتَشَبَّهُوا
وَدَعُوا الشَّبَابَ يَزِينُ هَذَا الْعِيدَا
وَالرَّافِعِينَ لِوَاءِهَا الْمَعْقُودَا
الْوَارِثِينَ عَنِ الْجُدُودِ خُلُودَا
وَأَتُوا كَمَا يَأْتِي الصَّبَاحُ جَدِيدَا
وَمِنَ الْحِمَاسَةِ مَا يَكُونُ سَدِيدَا
وَاسْتَعَذَبَتْهُمْ نَشْوَةٌ وَقَصِيدَا
وَنَفَاسَةٌ وَصَرَاحَةٌ وَوُجُودَا
وَيُهَيِّئُونَ لَنَا الْغَدَ الْمُنْشُودَا
مَنْ بَعْدَ أَنْ صَارَتْ هَوَى مَفْقُودَا
بِأُصُولِهَا وَتَسَابَقُوا تَشْيِيدَا

فَأَبَوْا لِمِصْرَ الدُّلِّ وَالتَّقْيِيدَا
فَرِحَ وَلَكِنْ لَا يَسُوقُ عَبِيدَا
أَقْصَاهُ جُبْنَ السَّابِقِينَ مَدِيدَا
فَذُِّ وَلَيْسَتْ غُضْبَةً وَوَعِيدَا
جَمَعَتْ طَرِيفًا لِلْعُلَا وَتَلِيدَا
فَإِذَا مَضَى الْبَانُونَ عَاشَ فَقِيدَا
دَرَسَتْ إِذَا لَمْ تَصْحَبِ التَّجْدِيدَا
وَأَقْلَّ فِينَا النِّفْعَ وَالتَّأْيِيدَا
يَعْيَا الْبَنُونَ الْحَامِلُونَ قُيُودَا
لَكُمْ الزَّعَامَةُ فِي الصَّلَاحِ رَشِيدَا
الصَّانِعِينَ الْبَازِلِينَ جُهُودَا
إِلَّا الْمُمَجَّدَ إِزْنَتَهَا الْمَعْبُودَا

عَرَفُوا الصَّنَاعَةَ لِلْسِّيَادَةِ مَنَعَةً
فِرْعَوْنُ فِي هَذِي الْمَوَاقِبِ مَائِلُ
جَذَبَتْهُ أَطْيَافُ الْبُطُولَةِ حِينَمَا
إِنَّ الْبُطُولَةَ فِي شَجَاعَةِ مُصْلِحِ
هَذَا جَلَالِ الْمِهْرَجَانِ بِنَايَةِ
يَحْيَا الزَّمَانِ عَلَى ثَرَاثِ بِنَاتِهِ
مَا قَامَتِ الدُّوَلَاتُ بِأَسْمِ مُفَاخِرِ
مَا أَكْثَرَ الْهُدَامِ مِلءَ رُبُوعِنَا
مَا أَعْظَمَ الْعِبَاءَ الَّذِي فِي حَمْلِهِ
فَتَقَدَّمُوا زَيْنَ الشَّبَابِ تَقَدَّمُوا
وَزَنُوا الْكِرَامَةَ بِالْوَفَاءِ لِأَهْلِنَا
لَيْسَ ابْنُ مِصْرَ وَلَيْسَ رَافِعُ مَجْدِهَا

النسيم المأسور

أَلَمْ وَقَدْ حُوصِرْتَ فِي الْأَشْجَارِ
أَنْتَ الطَّلِيْقُ أَصِرْتَ رَهْنِ إِسَارِ
يَا مُؤْنِسَ الْعُشَّاقِ وَالسُّمَّارِ
حَتَّى الْغَرَامُ يَنَالَهُ بِالنَّارِ

أَغْضَبْتَ يَا هَذَا النَّسِيمُ أَصِحْتَ مِنْ
أَتَرَى جُرِحْتَ مِنَ الْكِفَاحِ خِلَالِهَا
لَهْفِي عَلَيْكَ تَنْنُ أَنْتَ مُوجِعِ
إِنَّ الْجَمِيلَ عَلَيْهِ غَرْمُ جَمَالِهِ

كلبي الرقيب

مَنْ شُرْفَةٍ حَرَكَاتِ هَذِي النَّاسِ
أَمْ أَنْتَ بَيْنَ مَخَافٍ لِلْيَاسِ
عَبْتُ وَإِحْسَاسُ بِلَا إِحْسَاسِ
شَيْءٍ لِدَهْنِ الْكَاشِفِ الْحَسَاسِ
فَالْكُلُّ أَوْهَامُ بَغِيرِ أَسَاسِ
أَنْفَاسُهُمْ مَا شَاقَ مِنْ أَنْفَاسِ

«بَنُجُو» أَطَلْتَ تَأْمَلَاتِكَ رَاصِدَا
أَتَرَكَ كَالْفَلَكِيِّ يَرِصُدُ عَالِمَا
ذَهَبَ الْوَفَاءُ فَكُلُّ مَا تُعْنَى بِهِ
لَمْ يَبْقَ مِنْ قِيمِ الْحَيَاةِ وَأَهْلِهَا
لَا تَرِصُدَنَّ كَبِيرَهَا وَصَغِيرَهَا
قَدْ لَوْنُوا دُنْيَا الْجَمَالِ وَأَفْسَدَتْ

زهر الشتاء (الود المكذوب)

لَيْسَتْ تَحِيَّاتُكَ الْحَسَنَاءُ مُنْبِئَةً
كَالزَّهْرِ فَوْقَ أَدِيمِ الْأَرْضِ مُنْبَسِطًا
عَمَّا تُكِنُّ لِنَفْسِي مِنْ تَحِيَّاتٍ
لَكِنَّهُ فِي ثُلُوجٍ لَا حَرَازَاتِ

وحي البحر

عَنْ أَيِّ مَعْنَى مِنْ مَبَاهِجِ نَفْسِهِ
نَرْنُو إِلَيْهِ بِلَهْفَةٍ وَبِنَشْوَةٍ
أَتُرَى نَحْنُ إِلَى أَوَائِلِ عَيْشِنَا
أَمْ أَنَّهُ سَفَرُ الْحَيَاةِ وَمَوْجُهُ
كَتَبَ إِلَهُ عَلَيْهِ مِنْ آيَاتِهِ
رَمَزَ إِلَهُ لَنَا بِهَذَا الْبَحْرِ
ظَمَأَى كَنُورِ النُّجْمِ قُرْبَ الْفَجْرِ
بِالْبَحْرِ فِي أَقْصَى عُصُورِ الدَّهْرِ
إِحَاوُهَا بِالنَّظْمِ أَوْ بِالنُّثْرِ
سُورًا وَنَحْنُ بِجُلُهَا لَا نَدْرِي

الخليج

عَبْنَا تَحَاوُلَ لِلتَّفَاهُمِ مَسْلَكًا
سَنَعِيشُ أَبْعَدَ مَا نَكُونُ لِأَنَّنَا
مَا دُمْتَ لَا تَجِدُ الْمَشَاعِرَ تَلْتَقِي
أَسْفِي عَلَى هَذَا الْفَقِيرِ بِرُوحِهِ
أَتَخَالُ أَنِّي بَعْدَ هَذَا أَرْتَجِي
شِعْرِي لِنَفْسِي ثُمَّ بَعْدَ لِمَنْ لَهُ
هَذَا الْخَلِيجُ مُبَاعِدٌ مَا بَيْنَنَا
فِي الرُّوحِ أَبْعَدُ مَا نَكُونُ وَفِي الْمَنَى
فَمَنْ التَّوَهُّمُ أَنْ يَرَى الْفَقْرَ الْغِنَى
يَأْبَى الْغِنَى وَيَذُمُّ رُوحَ مَنْ اغْتَنَى
حُبُّ الَّذِي يَجِدُ التَّسَامِي مَطْعَنَا
نَفْسِي وَلَيْسَ بِمَا يُبَاعُ وَيُقْتَنَى

الأصداء

أَرَى كُلَّ شَيْءٍ حَيَالِي مِثَالًا
وَهَلْ هَذِهِ غَيْرُ أَصْدَاءٍ كَوْنٍ
وَقَدْ يَتَجَسَّمُ هَذَا الصَّدَى
وَكَمْ فِي الْأَثِيرِ حَدِيثِ الزَّمَانِ
فَأَيْنَ الْأَصِيلُ لِهَذَا الْمِثَالِ
خَفِيَّ أَرَاهُ بِعَيْنِ الْخَيَالِ
كَمَا يَتَلَشَّى بِبَحْرِ الْمُحَالِ
وَأَصْدَائِهِ فِي مَدِيدِ انْتِقَالِ

نَحَاذِرُهَا عِنْدَ صَيْدِ الْغِنَاءِ ٣٢
وَيَا رَبِّمَا مَلُؤَهَا فِي اصْطِدَامِ
نِدَاءِ الْأُلُوهَةِ وَالْمُرْسَلِينَ
وَأَنْظُرْ حَوْلِي وَجُودًا عَجِيبًا
فَمَا لِي أَحْمِلُ نَفْسِي الْأَسَى
إِذَا لَمْ أَكُنْ غَيْرَ صَوْتِ الْخِيَالِ
وَفَيْمَ الْبُكَاءِ عَلَى عَالَمِي
وَنَحْسَبُهَا دُونَهُ فِي الْجَمَالِ
جَلَالُ الْخُلُودِ وَوَهْنُ الزَّوَالِ
تَمُوجُ بِهَا وَنِدَاءُ الضَّلَالِ
وَلَكِنَّهُ الْوَهْمُ فِي كُلِّ حَالٍ
وَأَعْبَاءَ جِيلٍ يِعَافُ الْجَلَالَ
وَرَجَعَ الصَّدَى مِنْ قَدِيمِ اللَّيَالِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ غَيْرَ بَعْضِ الظَّلَالِ

طلاقة الفن

إِنْ شِئْتَ خُذْ مَا أَبَاحَ الْفَنُّ مِنْ صَوْرِي
هَيْهَاتَ لِي أَنْ أَصُوغَ الْفَنَّ زَحْرَفَةً
هَيْهَاتَ أَتْرُكُ وَقَعَ الْفَنِّ فِي خَلْدِي
إِنِّي أَصُوبُ شُعُورِي كَيْفَ أَعْرِفُهُ
مَا كَانَ لِي نَقْصُ شَيْءٍ مِنْ طَبِيعَتِهِ
شُعْرِي أَغَارِيدُ نَفْسِي كَيْفَ أَعْرِفُهَا

الإله المتنكر

هَذِي الْأُلُوهَةُ أَشْرَقَتْ وَتَنَكَّرَتْ
فَإِذَا عَبْدَنَاهَا فَلَمْ نَعْبُدْ سِوَى
مَا لِي وَأَوْهَامُ الشُّرُوحِ وَعِنْدَهَا
وَالْمَرْءُ يَعْرِفُ عَيْشَهُ مِنْ لُبِّهِ
حَتَّى الْإِلَهُ يَرَى التَّنَكَّرَ وَاجِبًا
عَافُوا الصَّرَاحَةَ وَاسْتَبَاحُوا قَدْرَهَا
فَبَدَتْ لَنَا صُورَةُ (الْحَسَنَاءِ)
رَبِّ الْحَيَاةِ بِرَمْزِهِ الْمُتَرَائِي
قَلْبِي يُجَسُّ بِجَاذِبِيَّةِ رَبِّهِ
فِي حِينٍ يَعْرِفُ أَصْلَهُ مِنْ قَلْبِهِ
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَمَامَ النَّاسِ
فَكَأَنَّمَا عَاشُوا بِلَا إِحْسَاسِ

٣٢ إشارة إلى الطفيليات الجوية التي نسمعها بالراديو.

العطر المستتر

لَمْ يَكْفِنِي نَظْرِي إِلَيْكَ وَلَا مَدَى
بَلْ طَابَ لِي أَنِّي أَشْمُكَ مِثْلَمَا
تَتَعَجَّبِينَ وَتَضْحَكِينَ وَإِنَّمَا
أَهْوَاهُ مِنْ إِشْرَاقِ جِسْمِكَ سَاحِرًا
جِسْمٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ لُطْفِ النَّدَى
وَيَبْتُ مِنْ أَثْنَائِهِ عَبَقَ الْهَوَى
قَالُوا جُنُونُ الْحُبِّ أَتْلَفَ لُبَّهُ
ذَمُّوا عِبَادَاتِ الْجُسُومِ وَمَا دَرَوْا
دُنْيَا تَنَارِي أَهْلَهَا أَنْ يَنْعَمُوا
وَيُؤْمَلُونَ مِنَ الْجِنَانِ نَعِيمَهُمْ

لَمْ يَكْفِنِي جَمَالُكَ فِي فُتُونِ غَرَامِي
يَقْضِي تَلَهُّفُ نَشَوْتِي وَهَيَامِي
قَلْبِي الْعَلِيمُ بِعِطْرِكَ النَّمَامِ
لُبِّي وَسُلْطَانًا عَلَى أَحْلَامِي
أَلْقَا وَمِنْ نَبْضِ الصَّبَا إِلْهَامِي
لِلْمُلْهَمِينَ بِنُورِهِ الْبَسَامِ
إِنَّ الْجُنُونَ تَغَاوُلُ الْمُتَعَامِي
أَنَّ الْجُسُومَ مَنَازِلُ الْإِلْهَامِ
فَيَقُولُ غَافِلُهُمْ نَعِيمٌ حَرَامِ
فَإِذَا الْجِنَانُ مَسَارِحُ الْأَوْهَامِ

الشعاع الخافي

لِي مِنْ حَنَانِكَ أَنْتِ نُورُ رَجَائِي
كَالْفَجْرِ بَيْنَ الصُّبْحِ وَالظُّلَمَاءِ
مُتَالِّقًا لِلشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ
عَنْ نَظْرَتِي وَتَلَهُّفِي وَدُعَائِي
إِلَّا لَدَيْكَ فَكُلُّهَا مُتَرَائِي
لِلنَّاسِ فَهِيَ عَلَى السَّوَاءِ إِزَائِي
أَخْتَصَّ بِالتَّمْيِيزِ وَالْإِيْحَاءِ
وَرُؤْيَى وَالْوَانَا مِنَ الْأَضْوَاءِ
مِنْ حُسْنِكَ الْمُتَسَتِّرِ الْوَضَاءِ
مِنْ هَذِهِ النَّفَحَاتِ لِلْأَحْيَاءِ

أَمَنْتِ أَمْ لَمْ تُؤْمِنِي بِوَفَائِي
أَهْوَاكَ قُرْبِي فِي الظُّلَامِ أُنَيْسَةً
لَمْ يَدْرِهْ أَهْلُ الظُّلَامِ وَإِنْ يَكُنْ
خَافِي شُعَاعِكَ لَيْسَ يَخْفَى وَحْيُهُ
جَعَلُوا الْأَشْعَةَ فِي الظُّهُورِ مَرَاتِبًا
إِنْ كَانَ مِنْهَا ظَاهِرٌ وَمُحَجَّبٌ
إِنِّي رَسُولُ الْعَاشِقِينَ فَكَيْفَ لَا
وَأَنَا الَّذِي عَرَفَ الْجَمَالَ حَلَاوَةً
فَدَعَيْ تَهَافَتَ نَاطِرِي بِنَشْوَةٍ
عَلَيَّ أَنَالُ ذَخِيرَةَ أَحْيَا بِهَا

كلمة ختامية

لمحة سريعة

لما أُتيح لي إصدار ديواني «أشعة وظلال» منذ عامين، تعمّدت تجريبه من كل تصدير ودراسة؛ نزولاً على ملاحظات صديقي الناقد المجيد صديق شيبوب، الذي رأى ويرى أن يُترك الشعر لقُرّائه يتذوّقونه كما يشاءون ويفسرونه حسب تجاوبهم له، ولكن التجربة أقتعتني أن هذا لا يتفق وحال الثقافة الحاضرة في العالم العربي؛ ولذلك لم يسعني إلا الترحيب بالمؤازرة الأدبية التي تفضّل بها عليّ في دراسة هذا الديوان ونقد شعري عامة صفوة من خيرة شعرائنا ونقادنا، ويكفي أن تُذكر أسماء مطران وناجي والصيرفي وإبراهيم المصري.

إن غاية ما أطمح إليه من نشر هذه المجموعة وسواها من شعري، إنما هو ردّ الجميل، أو بعضه إلى الحياة، وإلى أهلها الذين تجاوبت روحي وأرواحهم، فليس حتماً عليّ تحليل هذا الشعر وشرحه لغيرهم؛ لأنني لا أطمح في أن يعنى به مَنْ لا تجاوب بيني وبينهم، ولكنني في الوقت ذاته لا أريد أن أحول دون هذا التجاوب ولا دون مضاعفته لدى مَنْ عندهم بفطرتهم استعداد وجداني له إذا كانت أمثال هذه الدراسات مما يفسح أفق التأمل والتجاوب أمامهم.

ونزولاً على هذا المبدأ سمحت في مجلة «أبولو» بمنبرها العام الذي هو غاية في الحرية النقدية، حتى ينقد في غير استثناء شعراء العصر — بما لهم وما عليهم — النقد الوافي أثناء حياتهم، فيستفيد الأدب من الحوار ومن الدراسات المتنوّعة ويتاح لهم في الوقت

ذاته الدفاع عن آرائهم الفنية، وهكذا يستفيدون ويفيدون مهما قَسَا النقد عليهم أو شَطَّ أحياناً، ولو أن بعض حضرات الشعراء والنقاد الذين عَنُوا بدرس هذا الديوان تفضَّل عليَّ بما فيه انتقاص له لما ترددت لحظة في نشر نقدهم؛ وذلك نزولاً على مبدئي السالف الذكر، وتقديساً مني لحرية النقد الأدبي.

وإذا كنت أتقبل بارتياح ما تَكرَّموا به عليَّ من تقدير بالغ ومدحة غالية، فإنما يرجع ارتياحي إلى شعوري بأن أريحيتهم موجَّهة إلى مدرسة أدبية محترمة لا إلى شخصي وحده؛ إلى مدرسة تقدِّر شخصيات أعضائها وغير أعضائها، وتعنى بتدوين روائعهم، وتعتبر كرامتها مقترنة بإظهار حسنات المجموع وإطراح التمجيد الفردي والأناانية، وأي قيمة لأي فرد تقارن بمجموع القيم الممتازة المتنوعة لأفراد؟

ليس معنى الشعر في روحه إثارة المشاعر بل التعبير عنها؛ إذ مبلغ إثارة المشاعر يختلف أسبابه بين بيئة وأخرى وبين شاعر وآخر، وقد يبقى الشاعر شاعراً في قدره الممتاز ولو عبَّر بلغة غير ذائعة، فالتعبير عن عواطف الشاعر قبل الاتصال بمشاعر غيره والتأثير فيها هو أساس الشعر، وليس العكس هو الصحيح كما يذهب فريق من النظميين الذين يجارون الجمهور بمقالات منظومة وفق أهوائه، لها من التأثير فيه ما لها لاعتبارات وقتية، ثم يسمون هذا اللغظ شعراً.

وقد صدق رسكن في قوله: إن «الشعر إبراز العواطف النبيلة من طريق الخيال». بلغة الكلام؛ إذ ليس حتماً أن يكون الشعر نظماً ولا أن يكون مقفًى، وإنما يستحسن ذلك في ضروب من الشعر لاعتبارات إيقاعية وسيكولوجية، وإشراكاً للموسيقى اللفظية مع الخيال والعاطفة في الإبراز الفني للغة الشاعر وفي خدمة ملكته الأصيلة إفصاحاً وأنغاماً؛ ذلك لأن ائتلاف الفنون الجميلة مما يضاعف بهاء المجموع ووقعه في النفوس، وليس لأن أحدها حقير في ذاته وهو مستقل، بل بالعكس قد يزداد وقع الشعر أحياناً في «تقشُّفه» وفي ابتعاده عن البهرج، كما هو شأن الشعر المرسل والشعر الحر في مناسباتهما الخاصة.

وبهذا يرد على الذين يقولون: إنه من المحال ترجمة الشعر شعراً؛ لأن الروح الشعرية جوهر حي وإن تغلغلت في أسلوب الشاعر وموسيقاه وألفاظه المختارة وقوالبه الملائمة، ولكن إذا وُجد الشاعر الذي تنسجم نفسه ونفسية الشاعر المنقول عنه وتتجاوب معها

فليس أمر الترجمة الشعرية محالاً ولا لغواً، وحسبنا أن نشير إلى الروائع الشعرية الفاتنة التي أخرجها صديقي الشاعر الموهوب الفنان الدكتور إبراهيم ناجي حينما ترجم «دعاء الراعي» عن هيني، فقال:

يَا أَيُّهَا الْحَمَلُ الْوَدِيعُ أَنَا الَّذِي	يَحْنُو عَلَيْكَ أَنَا الْحَبِيبُ الرَّاعِي
كَمْ لَيْلَةٌ وَالرُّعْبُ يَمْشِي فِي الدُّجَى	وَالْهَوْلُ مُنْتَشِرٌ عَلَى الْأَصْقَاعِ
أَغْفَيْتَ فِي كَنَفِي وَفِي ظِلِّ الْكَرَى	كَالطُّفْلِ فِي أَمْنٍ مِنَ الْأَوْجَاعِ
يَا رَبِّ قَدْ وَهَتِ الْعَصَا وَاسْتَأْثَرْتُ	غَيْرُ اللَّيَالِي بِالْقَوِيِّ الْبَاعِ
يَا رَبِّ إِنْ تَكْ قَدْ حَكَمْتَ بِفُرْقَةٍ	وَأَذْنَتَ لِلرَّاعِي بِوَشِكِ زَمَاعِ
فَانْظُرْ إِلَى الْحَمَلِ الْوَدِيعِ وَوَقَّهِ	شَرَّ النُّفُوسِ وَفِتْنَةَ الْأَطْمَاعِ
نَضَّرَ لَهُ الدُّنْيَا وَمَدَّ رَبِيعَهَا	وَأَنْشَرَهُ مُؤْتَلِفًا بِكُلِّ شُعَاعِ
وَاجْعَلْ لَهُ الْأَيَّامَ ظِلًّا وَارِقًا	وَخَرِيرَ أَنْهَارٍ وَخَضَبَ مَرَاعِي

وقس عليها قصيدة «التذكّار Le Souvenir» التي عربّها عن ألفريد دي موسيه، والتي يقول في مُستهلّها:

بِي نُزُوعٍ إِلَى الدُّمُوعِ الْهَوَامِي	غَيْرَ أَنِّي أَخَافُ مِنَ الْآمِي
أَيُّهَذَا الْمَكَانُ يَا غَالِي التُّرْبِ	وَمَثْوَى عِبَادَتِي وَاحْتِرَامِي
أَنْتَ مَثْوَى الذِّكْرَى وَمَدْفَنُهَا الْغَا	لِي الْقَصِي الْمَجْهُولُ فِي الْأَيَّامِ

إلى آخر أبياتها البديعة.

ومثلها أيضاً قصيدة «البحيرة Le Lac» للامرتين؛ فإن ترجمتها من فرائد ناجي المعدودة، وقس عليها قصيدة «جسر التنهّدت» عن توماس هود، فقد أبدع فيها كذلك أيّما إبداع، وما السر في كل هذا التوفيق إلا التجاوب الروحي والفني بين شاعرنا النابغة وأولئك الشعراء النوابع، فانعكست شاعريتهم الجميلة في مرآة شعره أبهى انعكاس، وكان عكس ذلك في ترجمة البستاني للإلياذة، وفي تراجم أخرى صناعية مجرّدة عن الروح والصفاء والعذوبة.

وبديهي أنه ما من لغة تقابل الأخرى تمامًا، فالترجمة الشعرية تحمد إذا ما رددت أو عكست الروح الشعرية الأصيلة في موسيقى وأسلوب ملائمين للموضوع وللغة المنقول إليها، وإنما العبرة الأولى بقوة الروح الشعرية.

والشاعر السطحي الذي لا ينظر خلف مظاهر الحياة ويستنتق رموزها ليس جديرًا بهذه التسمية العظيمة، وتأتي بعد هذه النظرة أو معها موسيقية الشعر التي تختلف باختلاف ضروبه وموضوعاته اختلافًا شاسعًا، ولم يجعل الشعر أقل تقدُّمًا من غيره سوى عبودية الشعر للموسيقى فيما نرى، ومن ثمة كانت جهود الشعراء المجددين للتححرر من هذه العبودية بطرائق فنية شتى من خير ما خُدم به الشعر العربي؛ لأن العاطفة التي يعبر عنها الشعر هي في المعتاد حيّة وثّابة، وليست ممّا يعوق تقدُّم التعبيرات الشعرية في أي زمن.

وهذه النظرة الشعرية هي التي تجعل الناس تتطلع إلى الشاعر كنبّي هادٍ يفسح أمامهم آفاق الجمال، ويعلمهم روح التسامي والإنسانية في حياتهم، ويرشدهم إلى معاني الحرية والكرامة، وكل هذا يفيض به الشعر الحديث، بحيث يجعلنا نؤمن بأن الشعر العربي في هذا العصر قد أخذ يؤدّي رسالته أحسن تأدية، وليس ما يُقال خلاف ذلك إلا لونا من المكابرة التقليدية أو الببغاوية الشائعة.

وجميل من ناجي ألا يشجع غرور الشباب والمجدّدين، ولكن الواقع أن شعراءنا المحدثين لا يقلُّون إبداعًا في الغالب عن نظرائهم في الغرب، وهذا ناجي نفسه في قصيدته العصماء «الحياة في شارع» يبرز تصوير الشاعر الإنجليزي الفحل والفيلسوف الاجتماعي د. ه. لورنس في قصيدته «من شُبَّك الكلية»، ووجه الشبه بين الشاعرين عواطفهما المشبوبة وثورتهم النفسية وتأملاتهما النافذة، وهذا العقاد في غزله الفلسفي العميق ليس بأقل منزلة من شبيهه الشاعر جفري جونسون، وكذلك الصيرفي في أسلوبه الرمزي المركب الخيال، وفي أناشيده الغزلية يحملنا على أن نقرنه في مناسبات كثيرة بالشاعر لورنس هاوسمان، فمن الحق إذن ألا نبخس شعراءنا النابهين — ولو كانوا شبابًا — فضلهم وآثارهم الممتازة، فالسن لا اعتبار لها أمام النبوغ، ولا جدوى من التغالي سواء أكان تفخيماً أو انتقاصاً.

إن التجديد في الشعر يقوم على تأكيد حرية التعبير، وإبراز الشخصية، والتغلغل في صميم الكون، وهي عناصر الحياة التي ذهبت بها الصناعة في الماضي، وليس التجديد بما ينافي التضلع اللغوي واحترام الأدب الكلاسيكي، ولا بما يعني الثورة الغاشمة، فالشاعرة جرتريد ستين تعرف لغتها خير معرفة، ولكنها تعبر أسهل تعبير كأنها تنظم بلغة الأطفال وتتجلى شخصيتها ومواهبها في كل شعرها، ومثلها الشاعر جويس الذي يشعر شعورًا عميقًا بأن اللغة أداة وليست غاية؛ ولذلك كان في طليعة الشعراء ابتكارًا للمعاني الجديدة للكلمات الشعرية، فخدم كلاهما اللغة أحسن خدمة بروح الابتكار والتجديد التي تثيرها جرأتها وحرية الفنية.

وأما الشخصية الثائرة القوية — شخصية د. هـ. لورنس — فقد خلقت منه شاعرًا فنانًا منقطع النظير في القرن العشرين، وهكذا تفعل الحرية الفنية مع الجراءة والذهنية الناضجة الأعاجيب في خلق الآثار الأدبية الخالدة.

إن الشعر القوي لا بد أن تدعمه عاطفة وشخصية وحرية، فهل كان التأزر بين الشعراء في «جمعية أبولو» مثلًا بالذي يقضي على شيء من هذه العناصر؟ كلا ثم كلا! إن التأزر بين الشعراء حليف التجارب، وهو لون من الاطلاع والتبادل، وليس ثمة غبار على ذلك، بل هذه هي الروح الأدبية الخالصة التي تزجي النهضة المنشودة، وإنه ليسرني أن أنسبها أولًا إلى نفسية ومواهب أستاذي مطران الذي جمعتني به صلة التلمذة والمحبة منذ ثلاثين عامًا، وأقر صديقي الدكتور ناجي على ما ذكره إشادة بفضلته في زهاء نصف قرن، حيث خلق أقوى حركة تجديدية عرفها الشعر العربي في جميع عصوره، ولئن فاته التأثير البليغ في مدرسة البارودي التي كان من أعضائها حافظ إبراهيم وحفني ناصف فقد أنجب مدرسة أخرى قوية من أعضائها مصطفى نجيب وأحمد شوقي وإسماعيل صبري، ومع ذلك لبث الزعيم المتواري لا يضيره أن يتحدث عن إمارة هذا وأستاذية ذاك.

ونحن لا يرضينا أن يعيد التاريخ نفسه فنفجع بالجديد من الدكتاتوريات الأدبية وضروب الإمارات والزعامات الشعرية، وبشتى المنافسات والحروب الشخصية العجيبة؛ ولذلك نشبت بإنصاف المواهب الشعرية أيًا كانت ونعبر بقوتها المجتمعية لا بعناصرها المتفرقة وإن احتمت هذه العناصر خلف النعوت والألقاب، لا يعيننا إقلال الشاعر أو إكثاره ولا نزعة عواطفه، وإنما يعيننا أن يكون قدوة في حرية التعبير ومثالاً لنضوج

الشخصية والتعلق بمثل فني، فلو لم يكن مثلاً للشاعر المقل محمود أبو الوفا سوى قصيدتيه «رثاء نفسي» و«ضحية العيد» لكفاه ذلك إثباتاً لشاعريته، ونحن الذين ندين لمطران بهذه المبادئ نعدّها من خير الذخائر والنفائس التي تلقيناها عنه، وستتفرع عليها بحكم الطبيعة مدارس جديدة وتعاليم جديدة، ولكننا نعتقد أن مبادئه الحية التي عرضناها في هذه اللوحة السريعة ستبقى أبداً خالدة.

ضاحية المطرية

في ٢٥ أغسطس سنة ١٩٣٣

أحمد زكي أبو شادي

